The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Religion Basics
Master of Interpretation & Sciences of Quran



الجـــامعة الإســـلاميــة بـغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـلـيــــــة أصــــول الـــديـــــــن
مـاجستير التفسيـر وعلـــوم القــرآن

حياة القلوب ونجاة الدروب في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

Hearts' Life and Paths' Survival in Light of the Holy Quran

(An Objective Study)

إِعْدَادُ البَاحِثَةِ

نرجس حسن العجرمي

إشراف

الدكتور/ صبحي رشيد اليازجي

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

محرم/ 1440هـ- سبتمبر/2018م

إقــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

حياة القلوب ونجاة الدروب في ضوء القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

Hearts' Life and Paths' Survival in Light of the Holy Quran
(An Objective Study)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University’s policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name	**نرجس حسن العجرمي**	**اسم الطالب:**
Signature	**نرجس حسن العجرمي**	**التوقيع:**
Date	**2018/09/30م**	**التاريخ:**





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref
التاريخ 2018/09/30م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **نرجس حسن محمود العجرمي** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

حياة القلوب ونجاة الدروب في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية

Hearts' Life and Paths' Survival in Light of the Holy Quran - An Objective Study

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاحد 19 محرم 1440**هـ الموافق **2018/09/30**م الساعة **الواحدة مساءً**، في قاعة مبنى **اللحيدان** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. صبحي رشيد اليازجي	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. وليد محمد العمودي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. نمر محمد أبو عون	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: +970 (8) 264 4400 هاتف Fax: +970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

ملخص الدراسة

هدف الدراسة:

هدفت إلى دراسة قرآنية موضوعية لبعض آيات القرآن الكريم.

عينة الدراسة:

حياة القلوب ونجاة الدروب في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية.

منهج الدراسة:

اتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي حسب منهجية التفسير الموضوعي في جمع الآيات التي تتحدث عن حياة القلوب ودلائل نجاتها.

وكان من أهم نتائج الدراسة:

1. القلب عضوٌ فعالٌ في جسم الإنسان، لا يقتصر على ضخ الدماء؛ إنَّما يتعدى لتحديد هوية الإنسان الدينية.
2. حياة القلب ونعيمه وسروره، ونجاته غايةٌ لا تدرك إلاَّ بالإيمان الخالص من كل الشوائب.
3. تتنوع القلوب، وتتعدد أمراضها، لكنَّ مفتاح علاجها تدبر القرآن، وتقوى الله، والاحتراز عن المعاصي، والزهد في الدنيا.
4. ضمان سلامة الدرب الموصل إلى الجنة مرتبط بقواعد أولها تخلية القلب من رواسب الجهل والكفر، وتحليته بالإيمان، يليها مجاهدة النفس، ثمَّ محاسبتها، وأخيراً استقامة القلب.
5. لحياة القلب أثرٌ واضحٌ على صلاح الفرد، والمجتمع، والأمة.

أما أهمَّ التوصيات تتمثل فيما يلي:

1. ضرورة الكتابة وتأليف الكتب والرسائل التي تبين أهمية القلب ومدى دوره الفعال في صلاح السلوك الإنساني أو فساده.
2. أوصي طلاب العلم بالإقبال على كتاب الله، واستلهام العبر والعظات من آياته العطرة التي تكلمت عن القلب ونظائره في القرآن الكريم.
3. على المسلمين التسلح بالعلم الشرعي، وفهم النص القرآني فهماً جيِّداً يتناسب مع طبيعة المرحلة التي يمر بها المسلمون.
4. التصدي والوقوف كسدٍ منيعٍ في وجه كل المؤامرات التي تحاك ليلاً ونهاراً ضد الإسلام والمسلمين.
5. الوقوف وقفةً حازمةً، في وجه الظلم والطغيان، والاضطهاد، وصيانة كرامة الأمة الإسلامية.
6. التربية الصالحة للأجيال، والمحافظة على هويتهم العقائدية من التسمم الفكري .

Abstract

Study aim: to present an objective Qur'anic study for some verses of the Quran.

Study sample: consisted of the verses that cover the meanings of hearts' life and paths' survival in the holy Quran.

Study methodology: the researcher followed the inductive descriptive approach according to the objective explanation approach in gathering verses of hearts' life and survival clues.

Most important findings of the study:

1. Although the heart is considered an active organ in the human body, its mission is not only limited to circulate the blood but also to identify the human's religious identity.
2. The life of the heart, its happiness, pleasure, and survival are unreachable ends unless accompanied with pure faith in Allah.
3. Hearts vary from one to another, so do their illnesses. The key of their remedy is the Quran pondering, righteousness, avoidance of sinful deeds, and religious devotion.
4. The safety of the leading path to paradise is linked with the following cornerstones; purifying the heart of ignorance and disbelief remains, adorning it with faith in Allah, and then strife against self, soul-searching, and lastly heart's straightness.
5. The life of the heart has clear influence on the righteousness of individuals, society, and the Islamic nation.

Most important recommendations by the researcher:

1. To write and compose books and articles that show the importance of the heart and its vital role in correcting or corrupting humans' behavior.
2. Students are urged to further study the Holy Quran and extract life lessons from its verses, especially those speak about the heart and its peers.
3. Muslims should rely on Sharia science and fathom the Quranic text that apply to the nature of the phase they encounter.
4. It is important to stop and take stand against the continuous conspiracies tailored for Muslim world.
5. All should stand together in facing injustice, despotism and persecution as well as preserving the Islamic nations' dignity.
6. It is vitally necessary to raise Muslim generations on the right path, and keep their doctrinal identity from poisonous ideologies.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوْا الأَلْبَابِ﴾

[ص: 29]

الإهداء

- إلى روح أبي وأمي وابنتي نور ... أسكنكم الله الفردوس الأعلى.
- إلى زوجي الغالي محمد ... شكراً على عطائك اللامحدود ودمت لي سنداً.
- إلى أولادي شموع دربي نهى، أحمد، أسامة، أنس، بلال، براء... أحبكم.
- إلى إخوتي الأعزاء خالد، محمد، علاء، عمر، سامي... أضنانا الفراق، والاشتياق لقاؤنا قريب بإذن الله.
- إلى زميلاتي في دراسة البكالوريوس والماجستير... أحمد الله على صحبتكن الطيبة.
- إلى مهجة قلبي ابني الصغير عبد الله ... لن يثنيني التعب، ولن ينال من عزيمتي اليأس وسأبقى متمسكةً بأمل شفائك.
- إلى كل من علمني حرفاً في كلية الدعوة الإسلامية، والجامعة الإسلامية في ميزان حسناتكم.
- إلى الذين ضحوا بدمائهم في سبيل الله... لكم الجنة بإذن الله.
- إلى الأسرى القابعين خلف الزنازين ... فرجكم قريب إن شاء الله.
- إلى كل طالب علم تحمل الصعاب من أجل أن يرتقي، وتحدى الظروف التي يعيشها الشعب الفلسطيني المكلوم وأثبت نجاحه.
- إلى كل من حمل هم هذا الدين، والوطن الجريح ...أعانكم الله.

إليهم جميعاً ... أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وتقدير

عملاً بقوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19].

فإني أتوجه بالحمد والشكر لله تعالى أن منَّ عليَّ ووفقني لدراسة العلم الشرعي، ولإنجاز هذا البحث المتواضع فالفضل والشكر كله لله أولاً و آخراً، ظاهراً وباطناً.

ثمَّ أتوجه بالشكر إلى والديَّ الحبيبين رحمهما الله اللذان غرسا في قلبي حب العلم منذ الصغر أسأل الله أن يتغمدهما بواسع رحمته.

كما أتوجه بالشكر لرفيق الدرب زوجي العزيز باعث الأمل، وزارع البسمة، لمساعدتي ومساندتي، وتوفير الدعم النفسي والمادي، كما أشكر إخوتي الأعزاء لدعمهم لي وتشجيعهم المستمر، وأخص منهم أخي عمر، وأخي سامي دمتم لي فخراً وعزاً.

والشكر موصول لمشرفي **الدكتور الفاضل/ صبحي رشيد اليازجي حفظه** الله الذي لم يدخر وسعاً في مساعدتي بتوجيهاته، وتقديمه النصائح التي أضفت طابعاً مميزاً على الرسالة.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى عضوي لجنة المناقشة كل من:

الدكتور الفاضل/ وليد محمد العامودي حفظه الله مناقشاً داخلياً.

الدكتور الفاضل/ نمر محمد أبو عون حفظه الله مناقشاً خارجياً.

حيث تشرفت بقبولهما مناقشة هذه الرسالة وتصويب ما بها من خطأ أو زلل.

ولا يسعني في هذا المقام إلاَّ أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى القائمين على الجامعة الإسلامية الغراء منارة العلم الصادق ممثلةً بمجلس أمنائها ورئيسها وموظفيها أكاديميين وإداريين، الذين لم يدخروا جهداً من أجل رفعة الجامعة وطلابها.

والشكر أيضاً إلى كلية أصول الدين ممثلةً بعميدها وطاقمها الأكاديمي والإداري لجهودهم في خدمة طلبة العلم والباحثين، والشكر موصولٌ أيضاً للأستاذ/ هاني الصوص (أبو خليل) لجهوده الطيبة في تنسيق الرسالة وترتيبها.

ولن أنسى التقدم بالشكر والعرفان لكل من مد يد العون لي ولم يبخل عليَّ بالنصيحة أو المساعدة كصديقتي وزميلتي الأستاذة أسماء دردس، جزاهم الله خير الجزاء.

الباحثة/ نرجس العجرمي

قائمة المحتويات

مقدمة

الحمدُ لله الذي هدانا سبلَ الرشاد ومنَّ علينا إذ رزقنا قلوباً وأفئدةً تحيى بذكرِهِ وميّزنا بتقواها كمسلمينَ عن سائرِ العباد وجعل لنا عقولاً نرتقي بها ونسمو ونبلغُ أعلى الدرجات وأصلي وأسلم على عبده المصطفى، ورسوله المجتبى، خيرته من خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، أقام الله به الشريعة الغراء، وأنار به القلوب العمياء، ومحا به دولة الباطل، وطمس به معالم الشرك، وأصلي وأسلم على آله وصحبه الذين جعلوه لهم قدوة وأسوة، واتبعوا النور الذي جاء به، فكانوا على المحجة البيضاء، يقرون بالحق ويدعون إليه، ويجاهدون في سبيل إعلائه حتى ظهر أمر الله، وأصبح الدين كله لله، **وبعد...**

إنَّ الناظرَ في حالِ أمةِ محمدٍ ﷺ اليوم وما أصابها من تفرقٍ وتمزقٍ وابتعادٍ عن المنهج السوي ينتابه الألم وتعتريهِ الحسرةُ لابتعادها عن تعاليمِ الكتابِ الكريم الذي يضمُ بين ثناياه الخير العظيم حيثُ أصبحت قلوبهم شتى، فتباعدت خطاهُم، وانحرفت اتجاهاتهُم وأصبحَ الهوى مرشِدَهُم الوحيد والضلالُ دليلهُم الأول، فما كان لقلوبِهم إلا أن تموتَ وتتحجر فلا حياةَ فيها، توقفَ نبضُها وانقطعَ خفقانُها.

إنَّ الدين الإسلامي دينٌ سماويٌ عظيمٌ، ذو طابع رباني، قائم على الرفعة والسمو، ومن بيان هذه العظمة أن رزقنا الله قلوباً، ترق وتلين، ويحتكم لها الإنسان فتيسره لطريقين لا ثالث لهما، إما للخير، أو الشر؛ ومعايير الأمور ومقاليدها راجعةً لها، ولقد آثرت الكتابة في موضوع يحاكي واقع الأمة المرير، الذي بات للجهل والتخلف أسير، وهو في أمس الحاجة للإصلاح والتغيير، إذ إنَّ القسوة تفشت في جسد الأمة دون شفقةٍ أو رحمة، واستباحت حرمة القلوب، وألحقت بها الضرر.

إنَّ كل ما تمر به الأمة يرجع لهجر كتابِ الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وإذا تأملنا النصوصِ الشرعيةِ نجد أنَّها اعتنت عنايةً فائقةً بإظهار أهمية هذا العضو الصغيرِ في الحجمِ، الكبيرِ في الأثرِ المترتبِ على صلاحهِ أو فسادهِ، والذي سُمي قلباً لكثرةِ تقلبه بين الخيرِ والشرِ، أو الكفرِ والإيمانِ وما يؤكدُ ذلك ما جاء في حديث النبي ﷺ: **(ألا وإنَّ في الجسدِ مضغه إذا صلحت صلحَ الجسدُ كُله، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كله، ألا وهي القلب)** [1] لذلك كان من الضروريِّ أن نحاول إنقاذ كرامة الأمة والحفاظ عليها من خلال بيان أمراضه وخطورتها، ومحاولة إيجاد وسائل للشفاء والتعافي منها، لذلك اخترتُ رسالتي بعنوان:

---

(1) صحيح البخاري: كتاب: الإيمان، باب: من استبرأ لدينه ،ح: (52) 28/1.

(حياةُ القلوب ونجاةُ الدروب في ضوءِ القرآن الكريم)

دراسةً موضوعية

تحدثت فيها عن حياةِ القلوب بإحياء الدين فيها وتمسكها بكتاب الله وسنة نبيها، مبينةً أنواعَ القلوبِ وأمراضها، وسبلَ علاجها، مرشدةً لطريقِ النجاة والفوز بالجنة مستعينةً بعون الله وتوفيقه.

أولاً: أهمية الموضوع:

1. ارتباط الموضوع بواقع الحياة.
2. الحاجة الملحة اليوم للتذكير بهذا الموضوع وبيان أثره على المجتمع المسلم.
3. تعلق هذا الموضوع بالقلب البشري الذي يمثل أساس صحة العبادات.
4. بيان أهمية حياة القلوب من جديد وبيان خطورة النتائج المترتبة على موت القلوب أو قسوتها.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1. جفاف منابع الإحساس وتصلب قلوب أبناء الأمة الإسلامية.
2. حال الشباب المسلم الذي أصبح أسيراً للتقليد الأعمى، وبات بعيداً كل البعد عن الدين الإسلامي.
3. الغزو الفكري الذي سيطر على العقول المسلمة، وتدرج بهم وأنشأ منهم عقولاً هشة وقلوباً فارغة.
4. كثرة أمراض القلوب من حسد وكبر ورياء وغلظة في هذا العصر.
5. افتقار المكتبة الإسلامية إلى موضوع قرآني يتناول هذا الموضوع من جميع أطرافه وزواياه.

ثالثاً: أهداف البحث:

لهذا البحث أهداف أخص أهمها بالذكر:

1. طلب مرضاة الله ﷻ وثوابه.
2. محاولة إرجاع الحياة للقلوب الميتة علها تنبض بالإيمان من جديد، وتعود إلى الله.
3. خدمة القرآن من خلال دراسة موضوع من موضوعاته المهمة والشيقة.

4. ابراز أهمية حياة القلب وصلاحه لسلامة الدرب.
5. المساهمة في إحياء قلوب أمة محمد ﷺ واستعادتها لقوتها برجوعها لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.
6. بيان أهمية الالتزام بقواعد الإسلام للحفاظ على قلوب نابضة بالحياة.
7. إلقاء الضوء على أساس جودة كل عمل المتمثلة في إخلاص النية لله ﷻ.
8. غرس جذور المحبة والاكتراث لهموم الأمة الإسلامية.

رابعاُ: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية، وكذلك مراسلة مركز الملك فيصل للرسائل العلمية بالرياض بالمملكة العربية السعودية تبين لي عدم كتابة رسالة بنفس العنوان الذي اخترته وعقدت العزم على الكتابة فيه وهو**(حياة القلوب ونجاة الدروب في ضوء القرآن الكريم)**، إلا أنني عثرت على رسالة ماجستير بعنوان: **(القلب في القرآن الكريم)** للباحثة ابتهال عيس شحروج، وقد تحدثت فيها بتوسع عن أهمية القلب وأسباب صلاحه، كما وجدت دراسة أخرى بعنوان: **(أنواع القلوب وحجب الذنوب)** للشيخ عارف فرد والتي جعلها من جزأين خص الأول بالحديث عن القلب والعقل، أما الثاني فذكر فيه أنواع القلوب في القرآن، أما رسالتي فهي تختلف عن كليهما، حيث أفردت فصلا للحديث عن أنواع القلوب وأمراضها وفصلا آخر عن وسائل شفائها، وفصلا ثالثًا عن الأثر المترتب على حياة القلوب وصلاحها والالتزام بقواعد النجاة لإقامة مجتمع إسلامي دستوره القرآن والسنة، وأساس حكمه العدل والمساواة.

خامساُ: منهجية البحث:

اعتمدت في هذا البحث بعون الله على المنهج الاستقرائي الوصفي وفق الخطوات التالية:

1. جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن حياة القلوب وقواعد النجاة وسلامة الدروب.
2. توثيق الآيات القرآنية في متن البحث.
3. تفسير الآيات القرآنية تفسيراً يتناسب وطبيعة البحث في التفسير الموضوعي.
4. توثيق الأحاديث النبوية الشريفة في الهامش، وبيان حكمها إن كانت في غير الصحيحين.

5. الاستدلال بأقوال العلماء والمفسرين، وتوثيق ذلك في الحاشية والاستعانة بمصادر عامة تخدم البحث ما أمكن.
6. الترجمة للأعلام المغمورين الذين وردوا في هذا البحث.
7. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق وذكر جميع المراجع في الحاشية.
8. إعداد الفهارس اللازمة في نهاية البحث.
9. كتابة أهم النتائج والتوصيات آخر البحث.

سادساً: خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث وخطة البحث.

التمهيد

وقفات مع التعريفات اللغوية والاصطلاحية والسياق القرآني

ويتكون من:

أولاً: مفهوم حياة القلوب لغةً واصطلاحًا.

ثانياً: القلوب في السياق القرآني.

ثالثًا: نظائر القلب في القرآن الكريم.

رابعًا: مفهوم نجاة الدروب لغةً واصطلاحاً ومدلولاتها القرآنية.

الفصل الأول

أمراض القلوب وأنواعها في ضوء القرآن الكريم

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: أنواع القلوب في القرآن الكريم.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القلوب السليمة.

المطلب الثاني: القلوب السقيمة (المريضة).

المطلب الثالث: القلوب القاسية.

المبحث الثاني: أمراض القلوب في القرآن الكريم.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم أمراض القلوب.

المطلب الثاني: أنواع أمراض القلوب.

الفصل الثاني
وسائل شفاء القلوب وقواعد نجاتها

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: وسائل شفاء أمراض القلوب.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تدبر القرآن.

المطلب الثاني: تقوى الله .

المطلب الثالث: الاحتراز عن المعاصي.

المطلب الرابع: الزهد في الدنيا.

المبحث الثاني: قواعد نجاة الدروب.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القاعدة الأولى (التخلية قبل التحلية).

المطلب الثاني: القاعدة الثانية (مجاهدة النفس).

المطلب الثالث: القاعدة الثالثة (محاسبة النفس).

المطلب الرابع: القاعدة الرابعة (استقامة القلب).

الفصل الثالث

أثر إحياء القلوب وصلاحها

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر إحياء القلب وصلاحه على الفرد.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: إصلاح النفس وجمع شتاتها.

المطلب الثاني: بناء الشخصية المسلمة القوية.

المبحث الثاني: أثر إحياء القلب وصلاحه على الأسرة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم الأسرة.

المطلب الثاني: اختيار الأزواج الصالحين وأثره على صلاح الأبناء.

المبحث الثالث: أثر إحياء القلب وصلاحه على المجتمع .

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: صيانة المجتمع من التفكك.

المطلب الثاني: تحقيق العدل والمساواة.

المبحث الرابع: أثر إحياء القلب وصلاحه على الأمة.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: خصائص الأمة الإسلامية.

المطلب الثاني: إحياء القلوب وأثره على صلاح الأمة.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس

وفيها: الآيات والأحاديث والأعلام والمراجع والموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام المترجم لها.

فهرس المصادر والمراجع.

الفصل التمهيدي
وقفات مع التعريفات اللغوية والاصطلاحية
والسياق القرآني

المطلب الأول

مفهوم حياة القلوب لغةً واصطلاحاً

أولاً: مفهوم الحياة لغَة واصطلاحًا:

1- الحياة لغةً:

حي : " الحاء والياء والحرف المعتل أصلان أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة" [1]، والحيُّ ضد الميت" [2].

وهناك معاني أخرى للحياة منها:

- **القوة النامية:** وهي الموجودة في النبات والحيوان قال تعالى: **﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾** [الروم: 24] [3].
- **الخلق الأول:** قال تعالى: **﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** [البقرة: 29] "[4].
- **الهدى:** في قوله تعالى: **﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام:122]"[5].
- **البقاء:** في قوله تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [البقرة:179]"[6].
- "**الحياة بعد الموت:** في قوله تعالى: **﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** [آل عمران:49]" [7].

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج122/2).

(2) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (ج512/2).

(3) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، (ج181/1).

(4) الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص150).

(5) نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، (ج254/1).

(6) الوجوه والنظائر، البلخي، (ص220).

(7) الوجوه والنظائر، العسكري، (ص193).

- **الحياة التي يوصف بها الله ﷻ**: فإذا قيل فيه تعالى: **(هو حي)** فإنَّه لا يصح عليه الموت وليس ذلك إلا لله ﷻ[1].

2- الحياة في الاصطلاح:

- الحياة " ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل ما يوجب كون الشيء حياً وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر " [2].

- تعلق الروح بالبدن واتصالها به [3].

- صفة تمنح صاحبها العلم والقدرة [4].

- الحياة هي البقاء ويوصف بها الخالق **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [البقرة:255]؛ لأنَّ العلم الشامل والقدرة التي لا تنتهي والبقاء الدائم من أوصاف الله تعالى، فهو الحيُّ الذي لا يموت وهو الباقي الخالد [5].

بعد جولةٍ في كتب اللغة روت ظمأ جهلنا بالمعرفة والعلم، وأرستنا على شواطئ البيان والفهم وجدت الباحثة أنَّ أهل اللغة قد عرَّفوا الحياة بأنَّها نقيض الموت، أما التعريفات الاصطلاحية فقد عرفتها بأنَّها صفة توجب لصاحبها العلم والقدرة،**(أما ما تميل الباحثة إليه كتعريفٍ للحياة، أنَّها هبةٌ من الله ومنَّة، وهبنا إياها ووهب لنا الأفئدة والسمع والأبصار، وأعطانا القدرة على التفكير والاختيار لنفوز بالجنة ونقي أنفسنا أهوال النار).**

ثانياً: مفهوم القلوب لغةً واصطلاحًا:

1. القلوب لغةً:

قلب: "القاف واللام والباء أصلان صحيحان أحدهما يدل على خالص الشيء وشريفه، والآخر على رد شيء من جهة إلى جهة: فالأول قلب الإنسان وغيره سميّ لأنه أخلص شيء فيه وأرفعه وخالص كل شيء فيه وأرفعه قلبه، والقلب نجم يقولون أنه قلب العقرب، وقلبت

---

(1) ينظر: الحياة في القرآن، أحزمي جزولي، (ص31).

(2) الكشاف، الزمخشري، (ج4/ 575).

(3) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ج308/5).

(4) ينظر: التعريفات، الجرجاني، (ص83).

(5) ينظر: جامع الأحكام، القرطبي، (ج271/3).

النخلة نزعت قلبها، والأصل الآخر قلبت الثوب قلبًا" [1].

أ- وهو "الفؤاد" [2].

ب- "أقلَبه وقَلَّبَهُ حوله عن وجهه وقلبّ الشيء وقلبّه :حوله ظهراً لبطن، وقَلَبَ الله فلاناً إليه بمعنى توفاه "[3].

ت- قلب الإنسان سمي به لكثرة تَقَلُّبِهِ" ويعبر بالقلب عن المعاني المختصة به من روح وعلم وشجاعة، وتقليب الشيء تغييره من حال إلى حال، وتقليب الأمور تدبيرها"[4].

ث- القلب يطلق على معنيين: "**أحدهما** جعل أعلى الشيء أسفل منه **والثاني** : جعل ظاهر الشيء باطنه" [5].

ج- "القلب محل النفس والعقل والعلم والفهم والعزم" [6].

2. استعمالات لفظة القلب:

إنَّ لفظة القلب تدور حول ثلاثة معاني:

الأول: القلب" بمعنى العقل: كقوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** [ق:37]"[7]، **(لَهُ قَلْبٌ)** يعني: عقل لأنَّه يعقل بالقلب [8].

الثاني: القلب بمعنى الرأي: كقوله تعالى : **﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾** [الحشر:14][9].

الثالث: "**حقيقة القلب الذي في الصدر**: كقوله تعالى: **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** [الحج :46] " [10].

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج17/5)، المفردات، الأصفهاني، (ج531/1).

(1) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص127).

(2) مختار القاموس، الزاوي، (ص509).

(3) التوقيف على مهمات التعاريف، الميناوي، (ص2741).

(4) الكليات، الكفوي، (ص703).

(5) نزهة الأعين النواظر، الجوزي، (ج482/1).

(6) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (ج288/4).

(8) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (ج833/3).

(9) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص388).

(10) نزهة الأعين النواظر، الجوزي، (ج483/1).

3. القلب اصطلاحاً :

للقلب تعريفات اصطلاحية منها:

أ- تطلق العرب القلب على اللحمة الصنوبرية وتطلقه على الإدراك والعقل [1].

ب- هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف، والمخاطب والمعاتب [2].

ت- القلبُ" بضعة صغيرة خلقها الله في الآدمي وجعلها محلاً للعلم فيحصي به العبد من العلوم مالا يسع في أسفار، يكتبه الله تعالى فيه بالخط الإلهي ويضبطه فيه بالحفظ الرباني حتى يحصيه ولا ينسى منه شيئًا، وهو بين لمتين، لمة من الملك ولمة من الشيطان وهو محل الخطوات والوسواس، ومكان الكفر والإيمان وموضع الإصرار والإنابة، ومجرى الانزعاج والطمأنينة" [3].

فالقلب إذاً هو العضو الصغير النابض بالحياة الذي يعمل على مدار الساعة دونما توقف، وتتجلى في دقته وانضباطه قدرة الخالق في تنظيم عمله وفق منظومة دقيقة لا مجال فيها للخطأ أو النسيان فهي غاية في الدقة والإتقان، ويعتبر بهذا الوصف سيد الأبدان المعول عليه في الفوز أو الخسران.

بعد النظر في التعريفات اللغوية والاصطلاحية، وجدت الباحثة أنّ التعريفات اللغوية جعلت للقلب عدة معاني منها: التحويل من حالٍ إلى حالٍ، أو من جهةٍ إلى جهةٍ أخرى، وبعضهم قال هو الفؤاد أو العقل والرأي والتدبر، كما قال آخرون أنه يعبر به عن حقيقة القلب الذي في الصدر، بل هناك من قال أنه بمعنى الوفاة، أما إذا نظرنا إلى المعاني الاصطلاحية فقد بينت حقيقة ذلك العضو، وأهميته وعلاقته بصلاح حال صاحبه أو فساده؛ لذلك تجد الباحثة أنَّ المعاني اللغوية والاصطلاحية مكملةً لبعضها البعض، وبالنظر لكليهما يتضح المعنى الحقيقي (**للقلب فهو الذي أذهل الخلق وأعجزهم عن إدراك سره في كونه أشرف الأعضاء، وأدقها عملاً، وهو المقر الرئيسي الذي تصدر منه الأوامر وتسن فيه التشريعات لبقية الأعضاء التي عادة ما تكون مخلصة لصاحبها**).

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج255/1).

(2) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج3/3).

(3) جامع الأحكام، للقرطبي، (ج163/13)، والبضعة: هي القطعة من اللحم: ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس(64/1).

ثالثاً: مفهوم حياة القلوب:

عندما تحدثت عن حياة القلوب لم أقصد بالحياة الحياة المحسوسة التي يشترك فيها الإنسان مع باقي الكائنات الحية، وإنما قصدت بها حياة الروح وحياة المشاعر وإن صح التعبير أقول حياة النفوس التي في الصدور.

إنَّ حياة القلب تعني امتلاءها بنور القرآن الذي هو ربيعها، وامتناعها عن القبائح التي تفسدها [1]، إنَّما تحيا القلوب عندما تنتفع بالقرآن الذي يتضمن أمرين هما: روحٌ تحيا به القلوب، ونور تستضيءُ وتشرق به. يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52][2].

إنَّ حياة القلب ونعيمه وسروره وبهجته بالإيمان بالله ومعرفته ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، وعبادته، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

فإنه لا حياة أطيب من هذه الحياة، ولا نعيم فوق نعيمها إلا نعيم الجنة الذي يجتمع فيه كمال الإيمان، وكمال النعيم.

وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح فطابت كما طاب، وإذا كانت القلوب متوجهة إلى الله والأجساد مزينة بالسنن، فتحت للإنسان أبواب الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71]، فإذا أحب الله عبداً، قربه إليه، وأدخله بيته، وأشغله فيما يحب، واستعمل قلبه وجوارحه فيما يحب [3].

وما أطيبه ذلك القلب وما أنقاه الذي تسربلت إليه نسائم الإيمان فتكفلت بحفظه من الغفلة والنسيان وأعادته لطريق الرشد والاطمئنان وأحيته من جديد، وأنارت في جميع أركانه وزواياه مشاعل ومصابيح القرآن.

---

(1) ينظر: أمراض القلوب وشفاؤها، ابن تيمية، (ص ص 125-131).

(2) ينظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم، (ص ص30-32).

(1) ينظر: الخلاصة في فقه القلوب، الشحود، (ص ص 28- 29) .

المطلب الثاني:
القلب في السياق القرآني

أولاً: القلب في الآيات القرآنية:

وردت لفظة القلب ومشتقاتها في القرآن الكريم بصيغ متنوعة بين الآيات المكية والمدينة، زهاء مائة واثنين وثلاثين مرة[1]، وكانت في كل مرة تضفي رونقًا جميلًا على الآيات وعمقًا دلاليًا معبرًا يتماشى مع السياق، وقد جاءت اللفظة ومشتقاتها بصيغ المفرد والجمع والمثنى وأسند إليها مختلف الضمائر، وهذا إن دل فإنَّما يدل على أهمية القلب وارتباطه الوثيق بسائر الجوارح فهو الموجه لها، والقائم بأعمالها، وهو السيد والآمر الذي تنصاع لأوامره بقية الأعضاء.

وحتى نتعرف على مدلولات هذه اللفظة في السياق القرآني نحوت منحنى يخالف من سبقني من الباحثين، حيث جرت العادة أن تستخرج الآيات التي وردت فيها اللفظة في السياق القرآني المكي أو المدني وهذا يكون غالبا بالرجوع للمعاجم المفهرسة للقرآن الكريم، أما ما قمت به هو ذكر صفات القلوب الواردة في القرآن الكريم مستعينة بتقسيم الدكتور بليل عبد الكريم وهو كالتالي:

(1) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي ،(ص ص 549-510).

1- **الصفات الإدراكية المعرفية** [1]:

م	الصفة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	النزول
1-	الفقه	﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾	الأعراف	179	مكية
2-	الزيغ	﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾	التوبة	117	مدنية
3-	الإنكار	﴿فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾	النحل	22	مكية
4-	العقل	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾	الحج	46	مدنية
5-	العمى	﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	الحج	46	مدنية
6-	العلم	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾	الروم	59	مكية
7-	التدبر	﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	محمد	24	مدنية
8-	الظن	﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾	الفتح	12	مدنية
9-	الهداية	﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	التغابن	11	مدنية

(1) ينظر: القلب وأحواله في القرآن الكريم، د.بليل عبد الكريم، تاريخ المقالة: 2009/11/7م

2- الصفات الإرادية المعرفية[1] :

م	الصفة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	النزول
1.	الغلظة	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	آل عمران	159	مدنية
2.	الحسرة	﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾	آل عمران	156	مدنية
3.	الشرب	﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾	البقرة	93	مدنية
4.	الإثم	﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾	البقرة	283	مدنية
5.	القسوة	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾	البقرة	74	مدنية
6.	الكسب	﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾	البقرة	225	مدنية
7.	الغلف	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾	البقرة	88	مدنية
8.	الإيمان	﴿وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُم ﴾	المائدة	41	مدنية
9.	التآلف	﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	الأنفال	63	مدنية
10.	الوجل	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	الأنفال	2	مدنية
11.	الإباء	﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾	التوبة	8	مدنية
12.	الغيظ	﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾	التوبة	15	مدنية

(1) ينظر: القلب وأحواله في القرآن الكريم، د.بليل عبد الكريم، تاريخ المقالة: 2009/11/7م

م	الصفة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	النزول
13.	النفاق	﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾	التوبة	77	مدنية
14.	الريبة	﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾	التوبة	110	مدنية
15.	الاطمئنان	﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾	النحل	106	مكية
16.	اللهو	﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾	الأنبياء	3	مكية
17.	التقوى	﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	الحج	32	مدنية
18.	الإخبات	﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾	الحج	54	مدنية
19.	التقلب	﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾	النور	37	مكية
20.	السلامة	﴿إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	الشعراء	89	مدنية
21.	المرض	﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُم اللهُ مَرَضًا﴾	البقرة	10	مدنية
22.	التعمد	﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾	الأحزاب	5	مدنية
23.	الطهر	﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾	الأحزاب	53	مدنية
24.	الرعب	﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾	الأحزاب	26	مدنية
25.	اللين	﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾	الزمر	23	مكية
26.	الاشمئزاز	﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾	الزمر	45	مكية

م	الصفة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	النزول
27.	السكينة	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾	الفتح	4	مدنية
28.	الحمية	﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	الفتح	26	مدنية
29.	الحب	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾	الحجرات	7	مدنية
30.	الإنابة	﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾	ق	33	مكية
31.	الخشوع	﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾	الحديد	16	مدنية
32.	الغل	﴿وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	الحشر	10	مدنية
33.	الرأفة	﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾	الحديد	27	مدنية
34.	الصغو	﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	التحريم	4	مدنية
35.	الوجف	﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾	النازعات	8	مكية
36.	الغلظة	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾	آل عمران	159	مدنية

3- الصفات الواقعة على القلب (أفعال الله في القلوب) [1]:

م	الصفة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	النزول
.1	الإنزال	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	البقرة	97	مدنية
.2	الإلقاء	﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾	آل عمران	151	مدنية
.3	التأليف	﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾	آل عمران	103	مدنية
.4	التمحيص	﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾	آل عمران	154	مدنية
.5	التطهير	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾	المائدة	41	مدنية
.6	الحول	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾	الأنفال	24	مدنية
.7	التقطع	﴿إِلاَّ أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾	التوبة	110	مدنية
.8	الصرف	﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ﴾	التوبة	127	مدنية
.9	الشد	﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾	يونس	88	مكية
.10	السلك	﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾	الشعراء	200	مكية

(1) ينظر: القلب وأحواله في القرآن الكريم : د.بليل عبد الكريم، تاريخ المقال: 2009/11/7م

م	الصفة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية	النزول
11.	الربط	﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	القصص	10	مكية
12.	القذف	﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾	الأحزاب	26	مدنية
13.	الطبع	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	غافر	35	مكية
14.	الختم	﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾	الشورى	24	مكية
15.	الإقفال	﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	محمد	24	مدنية
16.	التزيين	﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾	الحجرات	7	مدنية
17.	الران	﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	المطففين	14	مكية
18.	الكتابة	﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾	المجادلة	22	مدنية

من خلال استعراض الآيات التي وردت فيها صفات القلوب تجد الباحثة أنَّ القلب في القرآن له صفات متنوعة، منها صفات إدراكية معرفية كالفقه والعقل والهداية، وصفاتٌ إرادية معرفية، وصفاتٌ هي أفعال الله في القلب كالربط والطبع، والناظر في هذه الصفات يجد أنَّ منها ما أحبها الله وحث عباده على الاتصاف بها كالرأفة والسكينة والحب والخشوع والتقوى، وهناك صفات يبغضها الله وقد ذم المتصفين بها كالقسوة والطبع واللهو النفاق والاشمئزاز، وهذه الصفات في تنوعها ودقتها ما هي إلاَّ مؤكدٌ جديدٌ يؤكد أهمية القلب ويبين مدى ارتباطه وتشعب علاقته مع بقية الأعضاء، وقد تحدثت بشيء من التفصيل عن بعض من هذه الصفات.

المطلب الثالث

نظائر القلب في القرآن الكريم

أولًا: الفؤاد:

فأد: "الفاء والألف والدال أصلٌ صحيح يدل على حمى وشدَة حرارة، ومن ذلك فَأَدْتُ اللحم: شويته ومما هو قياس الباب الفؤاد سمي بذلك لحرارته"[1]، فَأَدَ:" الفؤاد كالقلب لكن يقال له إذا اعتبر فيه معنى الفؤاد أي التوقد" [2].

لقد ذكر الفؤاد في القرآن الكريم في ستة عشرة موضعًا [3]، منها قوله تعالى: **﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** [الأنعام:110] وقوله تعالى:**﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾** [الأنعام: 113] وقوله تعالى:**﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾** [القصص:10] وقوله تعالى:**﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾** [الفرقان32] وقوله تعالى:**﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾** [هود:120] وقوله تعالى:**﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾** [إبراهيم:37].

هذه بعض المواضع ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر.

"والفؤاد غشاء القلب، إذا رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله"[4] "وهو باطن القلب وحبته وسويداه"[5].

والبعض فرق بين القلب والفؤاد فقال: القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد دون ما يكتنفها من الشحم واللحم، ومجموع ذلك هو الفؤاد، ومنهم من قال: القلب والفؤاد لفظان مترادفان، وكيف كان فيجب أن يعلم أنَّ من جملة العضو المسمى قلباً وفؤادً موضعاً، هو الموضع في الحقيقة للعقل والاختيار وأنَّ معظم جرم هذا العضو مسخر لذلك الموضع، كما أنَّ سائر الأعضاء مسخرةٌ للقلب، فإنَّ العضو قد تزيد أجزاؤه من غير ازدياد المعاني المنسوبة إليه أي العقل والفرح والحزن، وقد ينقص من غير نقصان تلك المعاني، فيشبه أن يكون اسم القلب

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج469/4).

(2) المفردات، للأصفهاني، (ج499/1).

(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لعبد الباقي، (ص 510).

(4) معجم الفروق اللغوية: العسكري، (ج433/1).

(5) الكليات، الكفوي، (ص 696).

اسمٌ للأجزاء التي تحل فيها المعاني بالحقيقة، واسم الفؤاد يكون اسمًا لمجموع العضو [1].

والفؤاد اختص ببعض الأحوال منها الفراغ والتثبيت والصغو والهوى والتقليب[2]، وتفصيلها كالتالي:

1. **الفراغ**: كقوله تعالى: **﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [القصص :10]، حيث يقول تعالى مخبرا عن فؤاد أُم موسى حين ذهب ولدها في البحر، أنه أصبح فارغا أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى [3].
2. **التثبت**: كقوله تعالى: **﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [هود :120]، يقول الله ﷻ: وكل أخبارٍ نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم من المحاجات والخصومات وما احتمله الأنبياء من الأذى والتكذيب وكيف نصر الله حزبه المؤمنين وخدل أعداءه الكافرين كل هذا نثبت به فؤادك يا محمد أي قلبك ليكون لك بمن مضى من إخوانك أسوة [4].
3. **الهوى**: كقوله تعالى: **﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾** [إبراهيم: 37]، أي: تنزع إليهم، يقال: "هوى نحوه إذا مال"[5].
4. **الصغو**: كقوله تعالى: **﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾** [الأنعام: 113] والصغو: "أصلٌ صحيح يدل على الميل ومن ذلك قولهم: صغو فلان معك أي ميلهُ"[6].
5. **التقليب**: كقوله تعالى: **﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** [الأنعام: 110].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، للإمام الرازي، (ج186/24).
(2) ينظر: القلب ووظائفه في القرآن والسنة، سليمان اليماني، (ص58).
(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ص 1410).
(4) ينظر: المرجع السابق، (ص973).
(5) جامع الأحكام، القرطبي، (ج 373/9).
(6) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج289/3).

" ومثل الفؤاد في القلب كمثل الحدقة في سواد العين، وكمثل المسجد الحرام في داخل مكة، وكمثل المخدع والخزانة في البيت، وكمثل الفتيلة في موضعها وسط القنديل، وكمثل اللب في داخل اللوز وهذا الفؤاد موضع المعرفة وموضع الخواطر والرؤية، كلما يستفيد الرجل يستفيد الفؤاد أولا ثم القلب" [1].

ثانيًا: الصدر:

"الصاد والدال والراء أصلان صحيحان أحدهما يدل على خلاف الورد والآخر صدر الإنسان وغيره: فالأول: قولهم صدر عن الماء، وصدر عن البلاد، إذا كان وردها ثم شخص عنها والآخر فالصدر للإنسان والجمع صدور"[2]، وقد ذكر الصدر أربعاً وأربعين مرّة في القرآن الكريم[3].

وقد نسبت إليه أفعالٌ تدل على أنه ذو علاقة بالقلب، وهذه العلاقة بينهما لا تنفي التغاير في بعض الصفات والاشتراك في بعضها.

ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الصدر قوله تعالى: **﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾** [التوبة:15]، أي أن يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره، ويُذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الأمور الجالبة للغيظ وحرج الصدر.

فإن قيل: شفاء الصدور وإذهاب غيظ القلوب كلاهما بمعنى واحد فيكون تكراراً! قيل في الجواب : إن القلب أخصُّ من الصدر، وقيل: إنَّ شفاء الصدر إشارة إلى الوعد بالفتح ولا ريب أنَّ الانتظار لانجاز الوعد مع الثقة به فيهما شفاءٌ للصدر[4].

وللصدر كما للفؤاد أحوالٌ وصفاتٌ اختصت به منها: الضيق والكبر والرهبة والحصر والغل[5]، والابتلاء والحرج [6].

---

(1) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب، الترمذي، (ص:4).
(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج 337/3).
(3) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، (ص403).
(4) ينظر: فتح القدير، الشوكاني،(560/1).
(5) ينظر: وظائف القلب في القران والسنة، اليماني، (ص ص70- 75).
(6) ينظر: المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة، بليل، (ص 538).

1. **الضيق:** يقول تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـارُونَ﴾ [الشعراء :13]، إنَّ ضيق القلب سببٌ لتعثر الكلام على من يكون في لسانه حبسة، وعند ضيق القلب تتقبضُ الروح إلى باطن القلب، فتزيد الحبسة في اللسان[1].

ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله ومحبة سواه وتعلق القلب بغيره والغفلة عن ذكره [2].

2. **الابتلاء:** في قوله تعالى: ﴿وَلِيَبتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِـيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران :154]، أي ليختبر الله الذي في صدوركم من الشك فيميّزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم [3].

3. **الرهبة:** في قوله تعالى: ﴿لَأَنـتُمْ أَشَـدُّ رَهْبَـةً فِي صُـدُورِهِم مِّـنَ اللَّهِ ذَٰلِـكَ بِـأَنَّهُمْ قَـوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[الحشر :13]،" والرهبة هي التحرز مع المخافة" [4]، لقد وصف الله المنافقين " بأنَّهم يرهبون من المؤمنين أشدُّ ممَّا يرهبون من الله، ولا يجتمع في قلبٍ خوفٌ من الله وخوفٌ من شيءٍ سواه، فالعزة لله جميعاً "[5].

4. **الغل:** في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جاءَت رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُـودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف 43]، أذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أنَّ الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم وقالوا حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم، وما كنا لنوفَّق لولا أَنْ هدانا الله سبحانه لسلوك هذا الطريق، وثبتنا عليه[6].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج24/493-494).

(2) ينظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، (ج2/32).

(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج6/196).

(4) المفردات، الأصفهاني، (ج1/269).

(5) في ظلال القرآن، قطب، (ج28/3528).

(6) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج1/155).

5. **الحصر**: في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾[النساء:90]، أي ضاقت صدورهم عن القتال فأمسكوا عنه، والحصر: الضيق والانقباض، وقد حصرت صدورهم عن قتالكم والقتال معكم[1].

6. **الكبر**: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:56]، أي: ما في قلوبهم إلا تكبر عَنِ الْحَقِّ يَحْمِلُهُمْ عَلَى تَكْذِيبِكَ، وقيل في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها[2].

7. **الحرج**: في قوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف :2]، أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ[3]، لأنَّ هذا الكتاب أنزله الله عليك وإذا علمت أنَّه تنزيل الله تعالى فاعلم أنَّ عناية الله معك، وإذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرجٌ، لأنَّ من كان الله حافظاً له وناصراً لم يخف أحداً وإذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالإنذار، والتبليغ والتذكير اشتغال الرجال الأبطال لم يبال بأحدٍ من أهل الزيغ والضلال[4].

" وبالنظر لمواقع استعمال القرآن لكلمة الصدر مفرداً وجمعاً، والحكم عليها بالضيق، والحرج، والحصر نجدها ترشدنا إلى أنَّ المقصود منه القوى النفسية المستودعة فيه"[5].

ثالثاً: النفس:

هي" الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية"[6]، والنفس الإنسانية "هي لطيفة نورانية من صنع الله وهي التي تحرك هيكل الإنسان المادي" [7].

---

(1) ينظر: فتح القدير، الشوكاني،(572/1).

(2) ينظر: المرجع السابق، (ج579/4).

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،(160/7).

(4) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج196/14).

(5) مجالس التذكير، ابن باديس، (ج373/2).

(6) التعريفات، الجرجاني، (ص204).

(7) النفس في القرآن الكريم، هاشم، (ص 112).

وردت لفظة النفس في القرآن الكريم ستًا وثمانين ومائتي مرة [1]، وجاءت على عشرة وجوهٍ: "القلب، منكم، الإنسان، بعضكم يقتل بعضًا، الروح، أهل دينكم، جملة الإنسان والعقوبة، الأم، الغيب" [2]، وما يهمنا هو الوجه الأول وهو القلب في قوله تعالى في سورة النجم: ﴿**إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى**﴾ [النجم:23]، أي القلوب، وفي سورة الإسراء ﴿**رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾ [الإسراء:25]، يعني قلوبكم.

إذن" القلب يسلم باستقامة النفس ويفقه بصحوتها أما إذا التوت النفوس وران على القلوب ما يشينها مرضت هذه وتلك" [3].

وقد وصف سبحانه النفسَ في القرآن بثلاث صفات: المطمئنة، والأمّارة بالسوء، واللّوامة [4]، تظهر في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ**﴾[الفجر:27] فالنفس إذا اعترتها السكينة، واطمأنت واستأنست بذكر الله وقربه فهي مطمئنة، أمَّا النفس التي تندم على ما فات وتلوم عليه فهي النفس اللّوامة فيقول تعالى: ﴿**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾[القيامة:2] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف:53] فالنفس الحاضنة لكل سوء والمتبعة للشهوات والهوى هي الأمارة بالسوء [5].

---

(1) ينظر: المعجم المفهرس، عبد الباقي، (ص 710-714).

(2) قاموس القرآن، للدامغاني، (ص462).

(3) النفس وحقيقتها في القرآن الكريم، نظمي، (ص30).

(4) ينظر: إغاثة اللهفان: ابن القيم، (ج126/1).

(5) ينظر: المرجع السابق، (ص ص127-130).

المطلب الرابع
نجاة الدروب مفهومها ومدلولاتها القرآنية

أولًا: مفهوم النجاة لغةً واصطلاحاً:

1- النجاة لغة: نجو:

" النون والجيم والحرف المعتل أصلان، يدل أحدهما على كشط وكشف، والآخر على ستر وخفاء ونجا الإنسان ينجو، ونجاء في السرعة؛ بمعنى الذهاب والانكشاف من المكان"(1). "ونجاءً ونجاةً ونجايةً :خلص، وأنجاه الله ونجّاه" (2).

وجاءت بمعنى:

أ- **الانفصال من الشيء:** ومنه نجا فلان وأنجيته ونجيته، وقال: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [النمل:53].

ب- " **المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله:** وقيل :سمي لكونه ناجيًا من السيل"(3).

ت- " **الإنجاء:** أخلصه قبل وقوعه في المهلكة، ونجا أخلصه بعد الوقوع" (4).

وجاءت النجاة على عدة معاني منها:

الأول: الخلاص من العقوبة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة :49].

الثاني: السلامة من الهلاك، كقوله تعالى:﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء:65].

الثالث: النجوة من النجاة، كقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:92].

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج5/397).
(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص337).
(3) المفردات، للأصفهاني، (ج1 /625).
(4) الكليات، للكفوي، (ص201).

الرابع: النجاة التوحيد كقوله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّـارِ﴾ [غافر: 41] [1].

- "النجاة والخلاص والسلامة متقاربة في المعنى"[2].

2- النجاة اصطلاحاً:

النجاة: "هي الخلاص من مكروه وتختلف عن الفوز في كون الثاني خلاص من المكروه مع الوصول للمحبوب"[3]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:71]، أي فوزاً لا يُقادر قدره، ولا يبلغ غايته[4].

فلا يكفي المسلم النجاة إنَّما يحتاج لما بعدها وهو الفوز بالجنة، وكذلك جاءت كلمة النَّجاة بمعنى:

أ- الخلاصُ من الهلكة كالخلاص من الغرق والعذاب[5].

ب- التوحيد والطاعة [6].

ت- " الإيمانُ بالله واتباع الأنبياء" [7].

(بعد النظر في التعريفات اللغوية والاصطلاحية تجد الباحثة أنَّها تتفق في كون النجاة عبارة عن الخلاص والستر إذن النجاة هي الإيمان بالله، واتباع رسله، والسير على نهجه والثبات على عهده للفوز بالجنة).

ثانيًا: النجاة في الآيات القرآنية:

من خلال تتبع الآيات المكية والمدنية التي وردت فيها لفظة النجاة ومشتقاتها في القرآن الكريم والاستعانة بالمعجم المفهرس وجدتها ذكرت ستةٍ وستين مرة[8]، كما في الجدول التالي :

---

(1) ينظر: قاموس القرآن، الدامغاني، (ص450)، نزهة الأعين النواظر، أبو الفرج الجوزي، (ج583/1).
(2) نزهة الأعين النواظر، أبو الفرج الجوزي، (ج582/1 -583).
(3) الفروق اللغوية، العسكري، (ص210).
(4) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج117/7).
(5) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (ج35/1).
(6) ينظر: بحر العلوم، السمرقندي، (ج207/3).
(7) جامع البيان، الطبري، (ج390/21).
(8) ينظر: المعجم المفهرس، عبد الباقي، (ص ص 689 -690).

أ-السور المكية: عدد الآيات: (واحد وستون آية):

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية
1-	نجا	﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾	يوسف	45
2-	نجوت	﴿قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	القصص	25
3-	نجاكم	﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾	الإسراء	67
4-	نجانا	﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	المؤمنون	28
5-	نجاهم	﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	العنكبوت	65
6-	نجاهم	﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾	لقمان	32
7-	نجينا	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾	هود	94
8-	نجينا	﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	فصلت	18
9-	نجينا	﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾	الدخان	30
10-	نجيناك	﴿وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً﴾	طه	40
11-	نجيناه	﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾	يونس	73
12-	نجيناه	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾	الأنبياء	71
13-	نجينا	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾	هود	58

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية
14-	نجيناه	﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ﴾	الأنبياء	74
15-	فنجيناه	﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	الأنبياء	76
16-	نجيناه	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾	الأنبياء	88
17-	نجيناه	﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾	الشعراء	170
18-	نجيناه	﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	الصافات	86
19-	نجيناه	﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾	الصافات	134
20-	نجيناهم	﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾	القمر	34
21-	نجيناهما	﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾	الصافات	115
22-	ننجي	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾	يونس	103
23-	ننجي	﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾	مريم	72
24-	ننجيك	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾	يونس	92
25-	ننج	﴿كذلك حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	يونس	103
26-	ينجي	﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	الزمر	61
27-	ينجيكم	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	الأنعام	63
28-	ينجيكم	﴿قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾	الأنعام	64

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية
29-	نجنا	﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	يونس	86
30-	نجني	﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الشعراء	118
31-	نجني	﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾	الشعراء	169
32-	نجني	﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	القصص	21
33-	فنجي	﴿وحَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا ..﴾	يوسف	110
34-	أنجانا	﴿لَئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	الأنعام	63
35-	أنجاكم	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	إبراهيم	6
36-	فأنجاه	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾	العنكبوت	24
37-	أنجاهم	﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	يونس	23
38-	أنجيتنا	﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	يونس	22
39-	أنجينا	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾	الأعراف	165
40-	أنجينا	﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾	هود	116
41-	أنجينا	﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾	الشعراء	65

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية
42-	أنجينا	﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	النمل	53
43-	أنجيناكم	﴿وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾	الأعراف	141
44-	أنجيناكم	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾	طه	80
45-	فأنجيناه	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾	الأعراف	72
46-	فأنجيناه	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾	النمل	57
47-	فأنجيناه	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾	الشعراء	119
48-	فأنجيناه	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	العنكبوت	15
49-	فأنجيناه	﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾	الأعراف	83
50-	ننجي	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾	الأنبياء	88
51-	ينجيه	﴿وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ﴾	المعارج	14
52-	ناج	﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾	يوسف	42
53-	نجَّيْنَا	﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً﴾	هود	66
54-	لننجينه	﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾	العنكبوت	32
55-	نجيا	﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيّاً﴾	يوسف	80
56-	النجاة	﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى	غافر	41

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية
		النَّارِ﴾		
57-	منجوك	﴿وَقَالُوا لا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ﴾	العنكبوت	33
58-	منجوهم	﴿إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	الحجر	59
59-	نجيناهم	(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ)	هود	58
60_	فأنجيناه	فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ	الأعراف	63
61-	فأنجيناهم	﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾.	الأنبياء	9

ب- السور المدنية: عدد الآيات: (أربعة آيات):

م	الكلمة	الآية التي وردت فيها	السورة	رقم الآية
1.	نجيناكم	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.	البقرة	49
2.	أنجيناكم	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾.	البقرة	50
3.	تنجيكم	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.	الصف	10
4.	نجني	﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ونَجِّنِي مِن فِرعَونَ وَعَمَلِهِ ﴾.	التحريم	11
5.	نجني	﴿وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ﴾.	التحريم	11

من خلال تتبع الآيات المكية والآيات المدنية نجد أنَّ المواضع التي ذكرت فيها لفظة النجاة كانت في سبعٍ وعشرين سورة، أربع وعشرون سورة منها مكية وثلاثة سورٍ مدنية وتفصيلها كالتالي:

- **الآيات المكية:** في واحد وستين موضع، منها خمسة وأربعون موضعا جاء من باب الإخبار بالنجاة لبعضهم والهلاك للبعض الآخر كقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل:57]، حيث يخبر الله ﷻ عن امرأة لوط كيف أهلكها الله لرضاها بسوء وفاحشة ما كان يفعله قومها، أما بقية المواضع المكية فقد وردت من باب التذكير بالنعمة كقوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجانا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام:63]، وهنا يُذكِّر الله ﷻ عباده بإنقاذهم من مخاوف ظلمات البر والبحر ومن شدائدهما وأهوالهما، وأنَّه وحده بيده خلاصهم ونجاتهم[1].

- **الآيات المدنية:** في خمسة مواضع، منها ما يُذكر بالنعمة كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَاب يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:49]، بمعنى واذكروا نعمتنا عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه وهم الذين أذاقوكم أصنافًا شتى من العذاب بذبح أبنائكم وامتهان بناتكم فهذه نعمة تستوجب الشكر[2].

ومنها ما يرغِّب بالنجاة كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم﴾ [الصف:10]، بمعنى هل أدلكم على تجارة تضمن لكم النجاة؛ أي ينجيكم قبولها والعمل بها من عذاب مؤلم موجع[3].

ومنها ما ضرب الله به مثلاً للمؤمنين الذين صدَّقوا الله وعبدوه بإخلاص كامرأة فرعون في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:11]، يذكر الله عز وجل امرأة فرعون كنموذج يقتدى به في التمسك بالطاعة والثبات على الدين[4]، حال مخالطة

---

(1) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (ج130/2).

(2) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج8/1).

(3) ينظر: البداية والنهاية، مكي بن أبي طالب، (ج7442/11).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الطبري، (ج202/98).

الكفار والتعامل معهم، فقد كانت امرأة فرعون في عصمة أشد الكافرين بالله فدعت ربها متضرعة أن ينقذها من بطشة وعذابه.

نلاحظ أنَّ غالب الآيات التي وردت فيها لفظة النجاة مكية، فالقرآن المكي يدعو للتوحيد وسلامة العقيدة في وقتٍ كان أهل مكة يتميزون فيه بالفصاحة والبلاغة والذكاء، فناسبهم الخطاب الموجز، والعبارات القارعة التي تستولي على المشاعر وتلجم الألسنة عن المعارضة، فكانت تارةً بإخبارهم عن السابقين ليعتبروا، وتارةً بتذكيرهم بالنعمة ليشكروا [1]، والتي بدورها تنتهي بصاحبها إلى النجاة.

ثالثاً: مفهوم الدروب لغةً واصطلاحاً:

1. **الدروب لغةً:**

الدُروبُ: "جمع دَرْبٍ وهو باب السكة الواسع" [2]، الدَّرْبُ: "الدال والراء والباء الصحيح منه أصل واحد، وهو أن يغري بالشيء ويلزمه، يقال دَرِبَ بالشيء إذا لصق به" [3].

الدَّرْب: "المضيق في الجبال والمدخل الضّيق وكل مدخل إلى بلاد الرّوم وكل طرِيق يُؤدّي إلى ظاهر البلد وباب السكَّة الواسع والموضع يجعل فيه التَّمر ليجف دروب وأَدْراب ودِراب" [4]، وقيل:

- كلُّ طريقٍ يصلُ بين مكانين.
- مدخلٌ ضيقٌ(دربٌ مطروقٌ).

مدخل بين جبلين[5] .

2. **الدرب اصطلاحاً:**

(أما التعريف الاصطلاحي للفظة الدرب، فقد صاغت الباحثة تعريفاً بسيطاً وهو: أنَّه مسلك الإنسان وسبيله الذي يقصده في الوصول لمراده أو وجهته).

---

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن، القطان، (ج50/1).
(2) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي،(ص 83)، وينظر: معجم الكليات، الكفوي، (ص451).
(3) مقاييس اللغة ،لابن فارس، (ج274/2).
(4) المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، (ج277/1).
(5) ينظر: معجم اللغة العربية، عمر، (ج733/1).

رابعاً: مفهوم نجاة الدروب:

نجاة الدروب: الالتزام بطريق الهداية والمحافظة على خط السير الآمن باتجاة الهدف الأسمى، والغاية العظمى؛" لأنَّ الدنيا جسر للآخرة، فمن أحسن العبور بالعمل الطيب لنفسه وأمته، فقد أصاب الهدف، وكان متعقلا واعيا" [1].

" إنَّ من نُحّي عن النار وأدخل الجنة، فقد فاز فوزاً عظيمًا، لأنَّ روحه سمت وغلبت صفاته الطيبة على نوازعه الشريرة، واتجه بعمله لإرضاء الله سبحانه.فالواجب على العاقل ألاَّ يغتر بالدنيا وألاَّ يسرف في حبها، وإلاَّ أصابه شررها عند فراقها" [2].

في هذه الحياة لا يوجد شيءٌ بالمجان، وكل سلوكِ ابن آدم وأعماله الصغيرةُ والكبيرة توزن بميزان، وبما أنَّنا محاسبون لا يجوزُ لنا أن نهمل فاتورة الحساب، ونتجاهل الثمن الذي يتوجبُ علينا دفعه عاجلاً أم آجلاً، فهذا الدرب السائرون فيه محفوفٌ بالشهوات والمحرمات والفتن والابتلاءات، وهو طريقٌ نعرف بدايته ولكننا لا نعلم متى تكون نهايته وهو بالتأكيد شاقٌ للمتمسك بعقيدته القابض على دينه، هينٌ على من أطاع هواه وأهمل مسؤوليته ووظيفته في هذه الحياة، ولم يُعد العدّة ويحزم حقائب أعماله بانتظار الرحيل.

لذلك لن ينجو غداً إلاَّ من لقيَّ الله بقلبٍ سليم ليس فيه سواه، فمن لم يحترق اليوم قلبه بنار الأسف على ما سلف، أو بنار الشوق للقاء الحبيب، فليعلم أنَّ نار جهنَّم أشدُّ حرًا [3].

ومن هنا تتضحُ العلاقة بين حياة القلوب ونجاة الدروب، فكلما كان القلب نابضاً بالإيمان كان طريقه أقرب للنجاة والفوز وكان دربه أكثر أماناً ويسراً، فلا يتكلف فيه غربة السفر ولا مشقة الطريق، بل يجد كل الجوارح تندفعُ بهمةٍ وعزم لتصل إلى مرادها، وما أحوجنا اليوم لإحياء قلوبنا وبث الإيمان فيها؛ لتحيا من جديد وسط ما نعيشه اليوم من فتنٍ وابتلاءات وانتهاكات أعمت العيون وذرت فيها رماد القسوة، وأصبح أقل وصفٍ يمكن أن نصف به أمتنا، أنّها أمةٌ متهالكة، ضعيفة نخرها الذل والتفرق، كما ينخر السوس الخشب، أسأل الله أن يعيد لها مجدها وعزها.

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج269/1).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي (ج269/1).

(3) ينظر: التوحيد، ابن رجب الحنبلي، (ص ص67-68).

الفصل الأول:
أنواع القلوب وأمراضها في القرآن الكريم

المبحث الأول:
أنواع القلوب في القرآن الكريم

المطلب الأول:
القلوب السليمة

أولاً: السليم لغةً واصطلاحاً:

1. السليم لغةً:

أ- سليم: صفةٌ مشبّهةٌ مشتقّةٌ من السَّلامة وهي الخلاصُ من العللِ والأدواء[1].

ب- السلامة: "البراءة من العيوب" [2].

ت- السلامة : " أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى" [3].

ث- الخلاص من أي شيء يؤدي إلى الخوف[4].

ج- السلامة:" التعري من الآفات الظاهرة والباطنة"[5].

2.القلب السليم في اصطلاح المفسرين:

1. القلب السليم:" خالص من الشرك "[6].
2. القلب السليم: " أن يعلم أنَّ الله حق وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها وأنَّ الله يبعث من في القبور القلب السليم هو القلب الصحيح وهو قلب المؤمن" [7].
3. سلامة القلب سلامته من آفة الكفر والمعاصي [8].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج173/23).
(2) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، (ص1121).
(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج91/3).
(4) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، الميناوي،(ص197).
(5) المفردات، الأصفهاني،(ج315/1).
(6) مفاتيح الغيب، الرازي، (ج340/26).
(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ص1376).
(8) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (ج321/3).

ثانياً: تعريف القلب السليم:

القلب السليم: "هو الذي ينجو من عذاب الله هو القلب الذي قد سلم لربه، وسلم لأمره، ولم تبق فيه منازعة لأمره، ولا معارضة لخبره، فهو سليم مما سوى الله وأمره، لا يريد إلا الله ولا يفعل إلا ما أمره الله، فالله وحده غايته وشرعه، ووسيلته، وطريقته، ومتى كان القلب كذلك فهو سليمٌ من الشرك، وسليمٌ من البدع، وسليمٌ من الغي، وسليمٌ من الباطل" (1).

و خلاصة الأمر الجامع لأقوال الناس في معنى القلب السليم أنَّه سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه ومن تحكيم غير رسول الله ﷺ (2).

(ويمكن تعريف القلب السليم بأنَّه: القلب المخلص لله إخلاصاً محضاً لا تخالطه الآفات ولا ترافقه المنكرات ولا تسقطه الزلات، ثابتٌ وراسخٌ على مبدأ التوحيد الحق) .

إنَّ القلوب متنوعة والإنسان الفطن هو من يعرف كيف يحافظ على قلبه ويستطيع أن يكبح جماح شهواته وأهوائه ولا ينتصر إلاَّ لما أراده الله ﷻ، والقلب السليم هو ذلك القلب النقي، الطاهر الذي يحفظ صاحبه نفسه من كل الأخطار التي تحيط به، ويعصمها من كل الفتن، كفتنة المال والأولاد؛ لأنَّه يعرف أنَّ لا شيء ينفع الإنسان يوم القيامة ويوم عرض الأعمال بين يدي الله، إلا القلب السليم من كل الآفات فيقول تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء:88-89] والمعنى: "يوم لا ينفع التعلق بالدنيا ومحاسنها، من الأموال والبنين وكل الملذات، لأنَّ المال والبنين، زينة الحياة الدنيا، وقوله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ معناه: خالص من الشرك والمعاصي" (3)، ويقول أيضاً: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ *إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الصافات:83-84] يقول ابن عاشور:" والباء في بقلبٍ سليم للمصاحبة، أي جاء معه قلبٌ صفته السلامة، بمعنى أنه جاء ربه بسلامة قلبٍ" (4).

---

(1) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، (ج55/1).

(2) ينظر: إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية، (ص 10).

(3) المحرر الوجيز، ابن عطية، (ج235/4)،(بتصرف).

(4) التحرير والتنوير، (ج137/23).

رابعاً: من صفات القلوب السليمة:

الصفة الأولى: الإيمان الكامل:

الإيمان الكامل هو تصديق القلب وتصديق الجوارح، فلا بد لموافقة الجوارح للقلب ولا ينبغي أن ينفصلا مطلقاً، فالتوافق والانسجام بينهما مطلوب وما يستقر في القلب ويؤمن به تترجمه الجوارح وتفصح عنه، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوان عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22]، لقد تحدثت هذه الآيات عن أهمية الحب والموالاة لله ولرسوله ﷺ وبينت أنَّ علامة الموالاة الحقيقية البعد عن كل من حاد الله ورسوله ولو كانوا من الأقربين [1]، فأولئك هم الذين استقر الإيمان في قلوبهم وتبث فأيدهم الله بنصره وأدخلهم جنات خلدٍ يمكثون فيها زماناً ممتداً فهم حزب الله وهم الفائزون[2].

والإيمان الصادق ليس ادعاء بقدر ما هو تفاعل بين الإقرار والعمل فقال تعالى: ﴿قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلْ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:14] أي:" قل لهم إنكم ما آمنتم بعد ولكن قولوا أسلمنا واستسلمنا وانقدنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم: أي ولما يدخل الإيمان بعد في قلوبكم ولكنه يتوقع له الدخول"[3] .

وقد زين الله الإيمان في القلوب وحببه إلينا إذ يقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:7] فالله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم أي حسنهُ بتوفيقٍ منه، حتى التزمتم بما يقتضيه من الأقوال والأفعال [4].

إنَّ القلب العامر بالإيمان هو القلب السليم من كل الآفات التي يحاول الشيطان نفتها ودسها وتزيينها للإنسان، حين يخبر الله عن سبيل العلاج فيقول ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:201]، إنَّ الذين اتقوا إذا

---

(1) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 1843).

(2) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج545/1).

(3) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج133/5).

(4) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ج1390/26).

مسهم الشيطان بوساوسه وطافت بهم وساوسه ودارت حولهم لتؤثر على سلوكهم وأفعالهم، لم تؤثر فيهم، وتذكروا أوامر الله ونواهيه، فإذا هم مبصرون مواقع الزلل فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها ويحفظهم الله من الوقوع فيها[1].

وهذا ما يطلق عليه القلب الحي، ولا سبيل لحياة القلب إلاَّ بالإيمان فتأمل قوله تعالى: **﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: 122]، أو من كان ميتاً بالكفر والجهل، فأحييناه بالعلم والإيمان، كمن صفته غارقاً في الضلالة لا يفارقها [2]، أوَ من كان يقبع في الظلام، فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه، لإتباع رسله، فعاش في نور الهداية، كمن عاش في مستنقعات الجهل والضلال المتفرقة غارقاً فيها، فشتان شتان ما بين الميت والحي. وما أجمل هذا الوصف فقد وصف الله الإيمان بالنور وهل يستغني الإنسان عن النور؟ وهل يستطيع أن يعيش في ظلام دائم؟ ثم إنَّ هذا النور ليبث الحياة وينير البصائر ويوسع الأفق والمدارك ويجعل الطريق مضيئًا يوصل السائر فيه إلى وجهته بسلام.

الصفة الثانية: الهداية:

الهدى هو الرشاد والدلالة، والطريقة والسيرة [3]، والإيمان يولد الهداية، فالمؤمن الحق يهتدي إلى ما يريده الله ويرضى بكل ما كتبه الله وقدره له كما قال سبحانه: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [التغابن: 11]؛ لأنَّه يعلم أنَّ الحكمة الإلهية تقتضي ذلك فيسلم دون منازعةٍ أو معارضةٍ ويحسن أقواله وأفعاله أي:" ومن يصدق بالله فيعلم أنَّه لا أحد تصيبه مصيبة إلاَّ بإذنه تعالى يهد قلبه للتسليم والرضاء بقضائه فيسترجع ويبصر" [4]، فإذا تحقق ذلك انشرح صدره للإسلام فيقول تعالى: **﴿فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَه لِلإِسْلامِ﴾**[الأنعام:125] أي:"يوسعه وينور قلبه" [5]، فالقلب السليم هو القلب المؤمن المهتدي، الراضي، المنشرح.

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (ج47/3)،(بتصرف).

(2) ينظر: جامع البيان، الإيجي ، (ج575/1).

(3) ينظر: مختار القاموس، ا الزاوي، (ص631).

(4) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج366/5).

(5) مدارك التنزيل، النسفي، (ج535/1).

والهدى والهداية نوعان إما هداية العلم والإرشاد والتعليم، وإما هداية توفيق وتسديد، وجعل الهدى في القلب، وهذان يُطلبان من الله تعالى إما على وجه الإطلاق كقول العبد (اللهم اهدني)، وإما على وجه التقييد النافع كقول المصلي (**اهدنا الصراط المستقيم**) ومن حصلت له الهداية سمي مهتدياً وأعظم ما تحصل به الهداية القرآن(1).

الصفة الثالثة: السكينة:

هي:" الطمأنينة" (2)، التي يلقيها الله ﷻ في قلوب عباده، فتبعث على السكون والوقار، وتثبت القلب عند المخاوف، فلا تزلزله الفتن، ولا تؤثر فيه المحن، بل يزداد إيماناً ويقيناً كما قال سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾[الفتح: 4].

فالسكينة هبةٌ من الله يودعها في قلب عباده وقت الحاجة إليها فهي تبدد الخوف وتنزع الرعب من القلوب فتسكن وتهدأ، ويسكنها الأمن والاستقرار، وتتجلى السكينة كذلك في مجالس الذكر ففي حديث النبي ﷺ (**مَا اجتَمَع قَومٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ**)(3)، يوضح هذا الحديث الشريف الفرق بين السكينة والرحمة، و يبين أنَّ " كلمة النزول تدل على علو شأن المنزل، وتدل على أنَّ القلوب منزل ومأوى لها "(4).

إنَّ اجتماع القوم في بيت الله وهم يتدارسون كلامه البليغ وصفاته الجامعة الكاملة يقابله الله ﷻ بإنزال السكينة في قلوبهم وتغشي الرحمة لهم فهم في معية الله وحفظه.

الصفة الرابعة: الطمأنينة:

صفة يتصف بها القلب السليم توجب السلامة في القلب والارتياح، فلا كدر يعكر صفو النفس ولا فكر يشغل البال؛ لأنَّ القلب عامرٌ بالإيمان مطمئن بتلاوة القرآن ومستلم ومنقاد لأمره تعالى قال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾

---

(1) ينظر: تيسير اللطيف المنان، السعدي،(ص:358).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (ص 1381).

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذ كر والدعاء/ باب الاجتماع على تلاوة القرآن، 20744/4، رقم الحديث 2699.

(4) روح المعاني، الألوسي، (ج92/26).

[الرعد: 28] أي:" تطيب وتسكن نفوسهم عند ذكره أُنسا به"[1]، ثم إنَّ الطمأنينة أعم من السكينة، وهي على درجات:" طمأنينة القلب بذكر الله، وطمأنينة الخائف إلى الرجاء، والضجر إلى الحكم، والمبتلى إلى المتوبة، والطمأنينة سكون أمن فيه استراحة أُنس، والسكينة صولة تورث خمود الهيبة وتكون حيناً بعد حين، أما الطمأنينة فلا تفارق صاحبها وكأنها نهاية السكينة " [2]، والاطمئنان جاء بصيغة المضارع كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[آل عمران:126]، وذلك ليفيد دوام الاطمئنان وتجدده واستمراره[3]، إذن نجد الطمأنينة صفةٌ للقلب السليم تضمن له نفي القلق واغتراب التوتر والوحشة، وتبدد عناء الحيرة والتشتت وهي هدية الله يهديها لعباده المؤمنين، أما عباده المعاندون والمستكبرون فقد حرموا نعمة الشعور بصلة الله، ولذة صدق الإيمان، وحلاوة الإخلاص في العبادة.

الصفة الخامسة: التقوى:

" تعتبر التقوى زاد القلوب، ومعيار التفاضل بين الناس، والاتقاء: اتخاد الوقاية" [4]، وهي كلمة عظيمة تعني الرقابة الذاتية على النفس، والاستشعار الدائم لوجود المولى ﷻ، والعمل على صيانة القلب من الأعطال التي قد تصيبه جراء الإهمال، وعدم تنقيته وفلترته أولاً بأول، فقد ذكر ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[البقرة:197] ،الحديث في سياق الآيات السابقة من هذه السورة عن فريضة الحج، فإنَّ أمرهم قد استقام وعرَّفهم ربهم ميقاته وحدوده، فوجب اتقاؤه فيما أمرهم به ونهاهم عنه من أمره، ومناسكه، فتزودوا من أقواتكم ما فيه بلاغكم إلى أداء فرض ربكم عليكم في حجكم ومناسككم [5].

لقد جمع النبيُّ ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأنَّ تقوى الله تصلح ما بين العبد وربه، وحسنُ الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله أوجبت له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته[6] [*].

---

(1) جامع البيان، الإيجي، (ج273/2).

(2) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (ج517/3).

(3) ينظر: قبس من نور القرآن، الصابوني، (ص264).

(4) التعريفات، للجرجاني، (ص 58).

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج161/4).

(6) ينظر: بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، (ج54/1).

(*) سأتحدث عن التقوى بشكلٍ مفصل في الفصل الثاني بإذن الله.

الصفة السادسة: الخشوع:

"هو الانقياد للحق وقيل الخوف الدائم في القلب وهو خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذلك خص به العلماء في قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾**[فاطر:28] "[1]، ويعتبر الخشوع من أهم الصفات التي تؤكد سلامة القلب لأنَّه إذا انتفى الخشوع من القلب اضطرب أمنه وأصبح مهدداً بالغرق في مستنقع القسوة فيقول رب العزة : **﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾**[الحديد:16]، اختلفوا فيمن نزلت على قولين: أحدهما: أنَّها نزلت في المنافقين والثاني: أنَّها نزلت في المؤمنين وعلى القول الثاني يكون المعنى: ألم يحن للذين آمنوا بألسنتهم أن ترق قلوبهم وتلين لذكر الله[2]، ألم يحن الوقت أن تلين قلوبهم لذكرالله، فتخضع له، ولما نزل من الحقّ، وهو هذا القرآن الذي نزله على رسوله ﷺ [3].

في هذه الآية الحث على تطبيق الإيمان والخشوع لله سبحانه، والحذر من التشبه بمن قست قلوبهم وهم اليهود والنصارى الذين خرجوا عن طاعة الله، فاستحقوا الوصف بالفاسقين.

والخشوع في القرآن جاء في عدة مواضع على أربعة وجوه[4]:

الأول: التواضع كما في قوله تعالى: **﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾**[البقرة:45] أي إنها لكبيرة إلا على المتواضعين.

الثاني: الخوف كما في قوله تعالى: **﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِين ﴾**[الأنبياء:90].

الثالث: سكون الجوارح كما في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾**[المؤمنون:8}

الرابع: الذل والتذلل كما في قوله تعالى: **﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً ﴾**[طه:108].

---

(1) التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف الميناوي، (ص 155).

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج الجوزي، (ج4/234-235).

(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج23/188).

(4) إصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني، (ص158).

بمعنى أنَّه يوم القيامة لا تسمع لهم صوتًا فهم متذللين سكنت أصواتهم خضوعًا للرحمن.

(وترى الباحثة أنَّ هذه المواضع الأربعة التي ذكر فيها الخشوع في القرآن تلخص حقيقة الخشوع، فالتواضع لله ينتج من الخوف من عقابه، والخوف من عقابه يجعل الجوارح في حالة من السكون، وتلك الحالة الساكنة تشعرك بنوع من التذلل، فأنت تعرف أنَّك عبدٌ مملوكٌ لله وحده، بيده خلاصك وسعادتك، فتخشاه وتتعلق بحبال النجاة وتتشبث بها).

الصفة السابعة: التدبر:

لا سبيل لسلامة القلب إلا بتدبر القرآن، وتدبر القرآن واجبٌ على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، فيقول تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً** ﴾[النساء:82]، في هذه الآية استنكار واستقباح لعدم تدبر القرآن، والإعراض عن تأمل ما فيه من موجبات الإيمان [1]، فالقرآن الكريم دعانا للتفكر في آياته وما فيها من عبرةٍ ودلالةٍ واضحةٍ على قدرة الخالق، وإبداعه في خلق الخلق والكون جميعاً، وعلى أنَّه ربُ كل شيءٍ ومليكه.

"والتدبر طوق النجاة في هذه الحياة وهو حبل طرفه بيد الله، وطرفه الآخر بيدك"[2]، يقول تعالى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً**﴾ [النساء:175]، فمتى أردت أن تدخل في رحمة الله وأن تهتدي إلى الصراط المستقيم فجاهد نفسك في تدبر القرآن، وركز اهتمامك على هذا الأمر العظيم فهو الضامن لنجاتك[3].

لا أعرف كيف ستستقيم حياة الإنسان المسلم إذا كان بينه وبين القرآن الكريم حواجزٌ من الجهل، وأسوارٌ من الغفلة والنسيان؟ حتماً لن تستقيم! فلا حلاوة للإيمان إلا بالتمعن في معاني الآيات والعيش معها، فهي تحملك إلى ما هو أبعد مما تتصور، وتسمو بأخلاقك وفكرك وترتقي بك إلى العلياء، فلا تقدم جوارحك على اقتراف معصيةٍ أو إثمٍ؛ لأنَّها عاشت مع القرآن بما فيه من آياتٍ مبشِّرةٍ للمتقين والمحسنين، وأخرى محذرة للعصاة والمخالفين.

---

(1) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج744/1).

(2) المعجم الكبير، الطبراني، (ج126/2).

(3) ينظر: مفتاح تدبر القرآن، اللاحم، (ص14).

الصفة الثامنة: الوجل:

"هو فزع القلوب واستجماعها لكل انتباهها، لعظمة المذكور ورفعته وعلو شأنه"[1]، ويقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ** ﴾[الأنفال:2]،أي:" إذا ذكر اسم الله فزعت قلوبهم لمجرد ذكره، استعظاماً لشأنه، وتهيباً منه جلَّ وعلاَ وإذا تُليت عليهم آياتهُ زادتهُم إيماناً وإذا تليت عليهم آيات القرآن ازداد تصديقهم ويقينهم بالله " [2]، هؤلاء المؤمنون حقاً، عرفوا الله حق المعرفة، وتغلغل الإيمان في قلوبهم حتى استقر فيها وأكسبها الوجل.

ويقول تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾[الحج :35]، فهذا من نعت المخبتين؛ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وبشّر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلاً من عقابه وخوفاً من سخطه بأحسن البشريات؛ لأنَّهم إذا ذكر الله ﷻ وجلت قلوبهم فلا تقسو، وإذا نالهم مكروه أو شدة صبروا عَلى ما أصابهم في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه [3].

" لقد بشر الله المتواضعين الذين لا كِبر عندهم، الذين إذا ذكر الله خافوا خوفاً شديداً"[4]، والبشرى للمحسنين أي:" الذين يريدون بالعبادة وجه الله تعالى وحده ويؤذونها على الوجه المشروع" [5].

فوجل القلب من أخص صفات المؤمن، وإنَّما يكون عند ذكر الله تعالى، فإذا لانَ قلبه، واقشعر جلده، وفاضت عيناه، وانتابته حالة من الخوف والرهبة، والتعظيم والإجلال، وامتزج ذلك بالرضا والأمن والطمأنينة وسيطرت عليه المراقبة، والنظر في العواقب، وكان متفكراً في الموت، والقبر والحساب، والجنة والنار كان ذلك القلب السليم[6].

---

(1) مقاييس اللغة: ابن فارس، (ج367/3).
(2) صفوة التفاسير، الصابوني، (ج458/1).
(3) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج29/18).
(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج260/17).
(5) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج475/3).
(6) ينظر: وجل القلب، الدميري، (موقع إلكتروني).

الصفة التاسعة: الإنابة:

الإنابة علامةٌ من علامات القلب السليم وهي" إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: الإنابة: الرجوع من الكل إلى من له الكل، وقيل: الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذِكر، ومن الوحشة إلى الأنس" [1]، وهي "صفةٌ وصف الله بها القلب في قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33]، وجاءَ بقلبٍ مُنِيبٍ مقبلٍ إلى طاعة الله، وعلامة المنيب أن يكون عارفاً لحرمته، مواليًا له متواضعا لحلاله تاركاً لهوى نفسه "[2]، يقول الطبري:" وجاء اللّه بقلب تائبٍ من ذنوبه، راجعٍ ممَّا يكرهه اللَّهُ إلى ما يرضيه "[3].

يقول ابن القيم عن الإنابة: "هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد، لا يفارقه، ومن معاني الإنابة عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة " [4].

والإنابة إلى الله كثرة الرجوع إليه بعد الذنوب أو الغفلة، فهي من صفات القلوب الحية، وهي درجة عليا من درجات الإيمان [5]، "إنَّ الفوز والفلاح لمن لقي الله يوم القيامة بقلبٍ سليم منيب إليه، خاضع لديه" [6].

الصفة العاشرة: الطهر:

طهر القلوب عاملٌ أساسيٌ لسلامتها، فلا يعقل أن يمتلئ القلب السليم بالملوثات التي تحول بينه وبين النقاء، وقد حرصت الآيات القرآنية على طهارة القلب وارتبطت الطهارة بالقلب في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَراءِ حِجابٍ ذلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:53] أي: وإذا سألتم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً أو غيره فخاطبوهن من وراء حجاب، أي: من وراء ستر ولا تدخلوا عليهن بيوتهن، واستكمالاً لذلك

---

(1) التعريفات: الجرجاني، (ص37/1).

(2) الكشف والبيان، الثعلبي، (ج105/9).

(3) جامع البيان، (ج452/21).

(4) الفوائد، (ج196/1).

(5) ينظر: وظائف القلب، اليماني، (ص 136).

(6) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 1760).

قال ﷻ: ﴿ذلكم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ أي: مخاطبتكم لهن من وراء حجاب أطهر لقلوبكم، وقلوبهن من عوارض الفتن[1].

والثاني: قوله تعالى: **﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾** [المائدة:41]، أي:" لم يرد الله أنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ من الكفر" [2].

وذكر أبو بكر الجزائري: أي لم يرد الله أن يطهر قلوبكم من " الحسد والشرك والنفاق لسوابق الشر التي كانت لهم فحالت دون قبول الإيمان" [3].

" فأُولئك الَّذين لم يرد اللَّهُ أَن يمنحهم من أَلطافه ما يطهّر به قلوبهم، لأَنَّهم ليسوا من أَهلها" [4]، ويدل حرمانهم طهارة قلوبهم على أنَّ طهارة القلب، سببٌ لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد [5].

فما أتعس وما أظل من أطاع هواه وحُرم رضا مولاه، وفي بحر الذنوب غرق وتاه، فلا تحزن عليه فلو علم الله فيه خيراً لهداه.

الصفة الحادية عشر: اللين:

"خلق راقٍ، وصفةٌ نبيلة، وهو عبارة عن سهولة الانقياد للحق، والتلطف في المعاملة" [6]، وقال الأصفهاني: اللين له وجهين:

الأول: لينٌ في الأجسام كلين الشمع والحديد، **والثاني:** لين في المعاني كلين الطبع والقول[7].

يقول تعالى: **﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الزمر: 23] أي:" تقشعر من سماعه، وتضطرب جلود الذين يخافون ربهم؛ تأثرًا بما فيه مِن ترهيب ووعيد، ثم تلين جلودهم وقلوبهم؛ استبشارًا بما فيه من وعد وترغيب، ذلك التأثر بالقرآن هداية من الله لعباده"[8].

---

(1) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، (ج5863/9).

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (ج127/2).

(3) أيسر التفاسير، (ج633/1).

(4) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، (ج262/4).

(5) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج231/1).

(6) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، صالح بن حميد، (ج3296/8).

(7) بصائر ذوي التمييز، الأصفهاني، (ج472/4).

(8) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج461/1).

واللين مطلبٌ أساسي في الدعوة إلى الله حتى يكسب الداعي قلب المدعو وتستقر فيه الدعوة، فيقول الله تعالى آمراً موسى وأخاه هارون: ﴿اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنّهُ طَغى*فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيّناً لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشى * قالا رَبّنا إِنّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطْغى﴾ [طه:43-45] " فهذا فرعون العاتي المتكبر، البالغ في المعصية والمعاندة مبلغًا عظيماً، في الوقت الذي كان موسى من صفوة الخلق إذ ذاك، ورغم ذلك جاء الأمر من الله لموسى عليه السلام وأخيه هارون أن يخاطبا فرعون بالملاطفة واللين، والكلام الرقيق ليكون الوعظ أوقع في نفسه وأنجع" (1).

ولقد وضح لنا القرآن الكريم في موضع آخر رفق سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه رغم قسوته في معاملته له، إذ يقول تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا*قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ [مريم:46-47] يوضح الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين أنَّ إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرِّفق واللين، وإيضاح الحق، والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ومن عذاب الله تعالى، وولاية الشيطان، خاطبه هذا الخطاب العنيف ولم يترفق في معاملته، ولم يقل له يا بني في مقابلة حنو إبراهيم وقوله له يا أبت، وقد أنكر والده عليه أنَّه راغب عن عبادة الأوثان ومعرض عنها لا يريدها؛ لأنَّه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا، وهدَّده بأنَّه إن لم يغير رأيه ويرجع عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة، وقيل: باللسان شتمًا، ثم أمره بهجره مليًّا، أي: زمانًا طويلًا، ثُمَّ بيَّن أنَّ إبراهيم قابل أيضًا جوابه العنيف بغاية الرِّفق واللين، في قوله: قَالَ (سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي)أمَّا قوله:(**سلام عليك**)، يعني: لا ينالك مِنِّي أذًى ولا مكروهٌ، بل ستسلمُ مِنِّي فلا أُوذِيك(2).

فلابد للقلب السليم أن يكون ليناً، رقيقاً رؤوفاً، حتى ينعم بلذة الإيمان، ويكسب قلوب الناس، ويؤثر فيها سواء كان ذلك عن طريق دعوته، أو معاملته معهم، وقد أخبرنا الله ﷻ بذلك في قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:159]، و"ما" هنا للتوكيد والدلالة على أن لين النبي ﷺ لهم ما كان إلا برحمة من الله، ولو كان جافياً، قاسي القلب لانفض الناس من حوله ولما اكتسب كل ذلك الحب والمودة (3).

ولنا في نبينا ورسولنا أسوةٌ حسنة تدفعنا لتحسين أخلاقنا وتهذيب أرواحنا بما يتناسب مع أخلاق

---

(1) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص،1216).

(2) ينظر: أضواء البيان، الشنقيطي، (ج427/3).

(3) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (ج306/1).

الإنسان المؤمن ذو القلب السليم فنعمل جاهدين في حقول الدعوة إلى الله بالرفق واللين.

الصفة الثانية عشر: الربط :

صفة للقلب المؤمن، فالله يربط على قلوب عباده حين حاجتهم لذلك، فيعلم العبد أنَّ هناك قوةً فوق قوته، وهي قوة الخالق، ولولا الربط ما تجرأ أصحاب الحق أمام الطغاة، وما انتصر حقٌ، ولا ثبتت قدم مجاهد في معركة إلا بالربط على القلوب [1].

فيقول تعالى: ﴿**وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا**﴾ [الكهف:14] أي:" قويناها حتى اقتحموا مضايقَ الصبر على هجر الأهلِ والأوطان والنعيم والإخوان واجترؤوا على الصدْع بالحق من غير خوف" [2].

فالربط يكون بالتقوية وشدِّ الأزر، ومنح الصبر الذي ينبع من صميم القلب الموقن بوعد الله، فأُمُّ موسى كانت موقنةً بوعد الله ومنقادة بسلاسة، لأنها تعلم أنَّ الله لا يخذل عبده إذا؛ صدقه الإيمان، فكيف لأمٍّ أن تلقي برضيعها في اليم؟ لولا ثقتها بأنَّ وعد الله نافذٌ ولن يخلفه أبداً فيقول المولى ﷻ: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص:7]، لقد ولد سيدنا موسى في ظل أوضاعٍ قاسيةٍ كان فيها فرعون يذّبحُ الصبيان من بني إسرائيل خوفاً على عرشه وملكه، وكانت أمُّه عند ولادته حائرةٌ وخائفةٌ، من أن يصل خبر ولدها إلى جلادي فرعون عديمي الشفقة، وكانت تشعر بعجزها عن حمايته، واستحالة إخفائه، فهي لا تستطيع تلقينه حيلة أو وسيلة للاختباء، وتخشى من أن يفضح أمره صوته الفطري، إلى أن تدخل القدر بأن أوحى إليها بإلقائه في اليم إذا خافت عليه، ثمَّ بثَّ الاطمئنان في قلبها لأنَّه سيكون في رعاية اليد التي لا خوف معها، اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً، وتجعل البحر ملجأً ومناماً، اليد التي لا يجرؤ فرعون أن يدنو منها، ثمَّ يبشر الله أمَّ موسى فيقول ﴿**إنَّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**﴾ وهذا وعد الله أصدق الصادقين[3].

لقد جاء الإيحاء لأمِّ موسى بإلقاء ابنها موسى عليه السلام في اليم لتتخلص من خوفها بإزهاق روحه، لكن ما أقدمت عليه شيءٌ لا تفعله أمٌّ عاقلة، فكيف تحمي أمٌّ رضيعها من موتٍ محقق بدفعها له لموتٍ أكثر تحقيقاً، لكنَّها إرادة الله الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، فيقول تعالى:

---

(1) ينظر: وظائف القلب في القرآن والسنة: اليماني،(ص185).

(2) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج210/5).

(3) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج2678/20- 2679).

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمّ موسى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا على قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المؤمنين﴾ [القصص:10]، لقد أصبح قلبها بعد إلقاء صندوقه في البحر فارغاً من كل شيء من شواغل الدنيا، إلا من ذكر موسى، وكادت من شدّة حزنها وأسفها إظهار حقيقة كونها أمَّه المكلومة بفقده، لولا تثبيّت الله قلبها لتكون من المصدّقين الواثقين بوعد الله لها، بردّه إليها[1]، " لقد صور التعبير القرآني فؤاد الأم المسكينة صورةً حيّةً ووصفه بالفراغ أي لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف"[2].

ولقد ذكر القرآن لنا أعظم قصة من قصص الأنبياء إنَّها قصة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث سطّر بإيمانه وأخلاقه نموذجاً للصبر وسلامة القلب، لقد رفض سيدنا يوسف الانغماس في براثن الشيطان والوقوع في أحضان المعصية إذ قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]، لقد كان سيدنا يوسف عليه السلاميعيش في بيئة تعج بالفساد، لكنَّه صبر وصمد ونجا من تلك الأجواء والمغريات والوسائل الخبيثة، لكنَّ امرأة العزيز بعد استنفادها واستفراغها ما لديها من محاولات لجلب سيدنا يوسف للمعصية لجأت إلى الطلب السافر مستخدمةً أنوثتها فانتقلت من الاحتيال والمراوغة إلى الوضوح في الطلب فيقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:24]، والمعنى (و لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) همَّ إصرارٍ وعزيمةٍ (وَهَمَّ بِهَا) همَّ دفعٍ وإبعاد عن نفسه [3]، أي:" همَّت هي بضربه لامتناعه عن إجابتها لرغبتها بعد مراودات طالت مدتها، وهمَّ هو بها أي بضربها دفعاً لها عن نفسه، إلا أنَّ الله أراه برهاناً في نفسه فلم يضربها وآثر الفرار إلى خارج البيت، ليس ضعفاً إنَّما لحكمةٍ حتى لا يكون ذلك دليلاً ضده، ولحقته لترده خشية أن يعلم أحد بما صنعت معه" [4].

" ولو رأَت منهُ أَدنى ميلٍ إِليها وهي تخلُو بِهِ في مخَادع بيتها لَما احتاجت إِلَى مُخَادعته بِالمُراودةِ، ولما خَابت فِي التَّعريض" [5] وهذا دليلٌ قاطع على براءة سيدنا يوسف ونفي أي شبهة أو أدنى شك يقدح في نزاهته، لقد كانت كل الأسباب مهيئة لأن يغرق في وحل المعصية، لكن

---

(1) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج1905/3).

(2) في ظلال القرآن، قطب، (ج2680/20).

(3) ينظر: قصص الأنبياء دروس وعبر، أبو عزيز،(ص ص151-154).

(4) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج605/2)،(بتصرف).

(5) تفسير المنار، رضا، (ج227/12-228).

كيف يكون ذلك من نبي كريم، فيخبر الله عن عصمته له وهيهات هيهات أن يجد الشيطان إلى مراده سبيلا، فهو من عباد الله المُخْلَصين: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾أي:" الذين استخلصهم الله لعبادته، فلا يرضى أن يتلوث بآثار الذنوب والمعاصي" [1].

لكنَّ امرأة العزيز لم تكتف بذلك حتى بعد أن ضُبطت متلبسةً بالجريمة، وحاولت مرةً ثانية، فجمعت النسوة اللاتي تحدثن في شأنها لتريهم سيدنا يوسف ولتعطي نفسها مبرراً لفعلتها﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾[يوسف:31]، فاعترفت حينها بذنبها وقالت: ﴿**فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ**﴾ أي: امتنع فلجأت إلى التهديد فقالت: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [يوسف:32]، فما كان من سيدنا يوسف عليه السلام إلا أن لجأ إلى ربه فقال:﴿ **قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[يوسف:33][2].

لقد فضَّل سيدنا يوسف السجن المظلم، القاسي والموحش، وهو البريء من كل الافتراءات والاتهامات الباطلة، أيُّ قلبٍ هذا وأيُّ إيمانٍ وأيُّ درجة يقين التي تجعل سيدنا يوسف يفضل السجن على الحرية الملوثة إنَّها أرفع درجات الإيمان التي جعلته يفضل السجن على الحياة الرغيدة الملوثة بالفواحش.

والاختبار يكون مقرون بالاختيار، فلو تمنّي العافية بدل ما كان يُدعى إليه لعلّه كان يعافى، ولكنه لمَّا قال: «**السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**» طولب بصدق ما قال، لقد آثر يوسف عليه السلاملحاق المشقة في مرضاة الله على لذّة نفسه وهواه [3].

(1) أيسر التفاسير، مرجع سابق، (ج605/2).

(2) ينظر: قصص الأنبياء، أبو عزيز،(ص ص159–160).

(3) ينظر: لطائف الإشارات، القشيري، (ج183/12).

المطلب الثاني

القلب السقيم(المريض)

أولاً: السقيم لغةً واصطلاحاً:

1.السقيم لغةً:

أ- السِّقَام " المرضُ وكذا السُّقْمُ وقد سَقِمَ من باب طرِبَ فهو سَقِيمٌ والْمِسْقَامُ الكثير السَّقَمِ "[1].

ب- المرض" المختص بالبدن، والمرض قد يكون في البدن وفي النّفس"[2].

ت- المرض. إذ يقال رجلٌ سَقِمٌ وسقيم[3].

2.السقيم في اصطلاح المفسرين:

لقد جاءت كلمة سقيم بعدة معانٍ منها:

أ- بمعنى: "ضعيفٌ وطعينٌ" [4].

ب- كل مريض أو ذو داءأو علة [5].

ت- " المشارف على السقم وهو الطاعون"[6].

ث- "سقيم النفس من الكفر"[7].

ج- " مريض القلب بسبب إطباق ذلك الجمع على الكفر والشرك" [8].

ح- أطلق السقيم على من يعبد غيرَ اللَّه[9].

---

(1) مختار الصحاح، الرازي، (ج 150/1).
(2) المفردات، الأصفهاني، (ج310/1).
(3) ينظر: شمس العلوم، الحميري، (ج 3126/5).
(4) التفسير العظيم ، ابن كثير، (ص 1588).
(5) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، (ج978/2-979).
(6) مدارك التنزيل، النسفي، (ج128/3).
(7) المحرر الوجيز، ابن عطية، (ج478/4).
(8) مفاتيح الغيب، الرازي، (ج342/26).
(9) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (ج380/2).

ثانياً: تعريف القلب السقيم:

"القلب السقيم هو القلب الذي حصل له نوعٌ من الفساد أفسد تصوره وإرادته بحيث أصبح يبغض الحق النافع ويحب الباطل الضار" [1].

(أمَّا تعريف الباحثة للقلب السقيم فهو القلب الذي به علَّةٌ، فلم يحسم أمره بين الالتزام بقواعد الإسلام ومخالفتها، فترك نفسه في مهب الشهوات أينما حملته سار معها وانقاد لها).

فالقلب السقيم هو القلب الذي به علة، تحول بينه وبين الإيمان، فقد ترك نفسه في مهب الشهوات أينما تحمله سار معها وانقاد لها طواعيةً، فشتّان ما بينه وبين القلب السليم العامر بالإيمان، لا يستويان، فلا تستطيع الشياطين إليه سبيلاً ولو جنّدت كل جنودها فإنّها لا تقدر على اقتحام حصنه المنيع أبداً.

رابعاً: الفرق بين المرض والسقم:

المرض هو علةٌ تصيب الأبدان والقلوب، فهو مرضٌ جسديٌّ ومعنويٌّ[2]، والسقم يطلق على المرض المختص بالبدن، وقد فسره المفسرون أيضاً بالمرض المعنوي[3].

(إنَّ السقم علةٌ بالقلب أو الجسد تورث الوهن والضعف، وإذا تسللُ للقلب، مرةً تلو أخرى، واستوطن فيه، فلن يجد صاحب ذلك القلب السقيم الواهن مكاناً تسكن فيه نفسه وترتاح، فقد حكم عليها وعلى قلبه بالسجن في المعاصي والذنوب).

وعن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **(إنَّ المُؤمِنَ إذا أذّنبَ كانت نكتةً سّوداءَ في قَلبِهِ، فَإن تابَ ونَزَع واستَغفرَ، صُقِلَ قَلبُهُ، فَإن زادَ زادَت، فذَلِكَ الرانُ الذي ذَكَرَهُ الله في كِتابِهِ ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُون ﴾** [المطففين :14][4]، والمعنى أنَّ المؤمن إذا أذنب ذنباً واحداً، كانت نكتةً سوداء وأثرٌ في قلبه، وقد شبه القلب بالثوب وهو في غاية النقاء والبياض، والمعصية بشيء في غايةِ السواد الذي يذهب جمال البياض، فإذا أصاب الإنسانُ معصيةً، وقع السواد في البياض، فإن تاب وأناب إلى الله، صقل قلبه أي نقي بالتوبة فهي بمنزلة الممحاة تمحو ذنوب القلب وسواده حقيقةً أو تمثيلاً، وإن زاد السوادُ عميت البصيرة، فلا

(1) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، (ص110).

(2) ينظر: المفردات، الأصفهاني(602/1).

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (ج288/12).

(4) سنن ابن ماجة، ابن ماجه، كتاب الزهد/ باب ذكر الذنوب، 1418/2: رقم الحديث 4244. حديث حسن، ينظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجة: الألباني، ج244/9.

تبصرُ من العلوم النافعة ولا الحكم الرائعة، وتثبت في قلبه الجرأةُ على الأذيةِ[1].

خامساً: السقيم في الآيات القرآنية:

لقد جاءت لفظة سقيم في القرآن الكريم في موضعين فقط في سورة الصافات[2].

الموضع الأول: قصة سيدنا إبراهيم قال تعالى: **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ* فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾**[الصافات:88-89]، وقوله تعالى: **﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾** [الصافات:145]، "قال ذلك لقومه من باب التعريض، ليقيم بالبلد إذا ذهبوا لعيدهم؛ لأنَّه أراد الاختلاء بآلهتهم وكسرها، فنظر في السماء متفكراً فيما يلهيهم به فقال إني سقيم، وهذه إحدى كذباته الثلاثة، وهي الأولى أمَّا الثانية: قوله **﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾** والثالثة: قوله في سارة هي أختي" [3].

قيل:" إنَّه استدل بالنَّظر فِي النُّجوم على وقت حمَّى كانت تأتيه، وَكَان زمانُه زمان نُجومٍ، فلذلك نظر فيها، وقيل: إنَّ مَلكهم أرسل إليه أَنَّ غدًا عيدنا اخرُج معنا، فأراد التخلُّف عنهم، فنظر إلى نَجم، و فقال:إنَّ هذا النَّجم لم يطلُع قطُّ إِلَّا أَسْقمُ وكلها كانت في ذات اللَّه ومكابدةً عن دينهِ" [4].

وإن اعترض أحدهم وقال كيف لنبيٍّ من أنبياء الله أن يكذب؟ وهل يجوز له ذلك فالجواب أنَّه جائزٌ في المكيدة والحرب، وإرضاء الزوج، والصلحِ بين المتخاصمين[5].

الموضع الثاني: قصة سيدنا يونس، قال تعالى: **﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ *إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ *فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ* وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾** [الصافات:139 -146] تتحدث الآيات عن سيدنا يونس عليه السلام حين يئس من عدم استجابة قومه له، وقاده الغضب إلى شاطئ البحر حيث ركب في سفينةٍ مشحونةٍ، وفي وسط البحر كادت الأمواج والرياح أن تهلك ركاب السفينة، وكانت هذه إشارةً لهم بأنَّ بينهم راكباً

---

(1) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: العلامة القاري، كتاب الدعوات/ باب الاستغفار والتوبة، 250/5، رقم الحديث 2234.

(2) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، (ص 352).

(3) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص1588).

(4) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (ج380/2).

(5) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (ج908/23).

مغضوباً عليه بسبب خطيئةٍ ارتكبها، ويجب أن يلقي بنفسه في البحر لتنجو السفينة من الغرق، فاقترعوا بينهم فخرج سهم يونس عليه السلام، فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه لأنَّه أدرك خطيئته وعرف أنَّ ما أصاب السفينة بسببه **﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾** وهو مستحقٌ لذلك اللوم لتخليه عن المهمة التي كلفه الله بها وأرسله من أجلها دون إذنٍ من الله، ولما شعر بالضيق في بطن الحوت لجأ إلى التسبيح والاستغفار وذكر أنَّه كان من الظالمين وقال: **﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنبياء : 87]، فسمع الله دعاءه واستجاب له فلفظه الحوت **﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [(1)].

ثمَّ تحدثت الآية **﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾** عن حالة سيدنا يونس عليه السلام حين خرج من بطنِ الحوت سقيمًا لأنَّ؛" أمعاء الحوت أَضرَّت بجلده بحركتها حوله" [(2)]، " وقد كان كالصَّبيّ المنفوس" [(3)].

لقد مكث سيدنا يونس عليه السلام في جوف الحوت ثلاثة أيامٍ بلياليها ثمَّ وجد نفسه سقيماً هزيلاً بعد أن قذفه الحوت فحمد الله على النجاة، وقد أنبت عليه الله شجر اليقطين **﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾**، فأكل منها واستظل بظلها وعافاه الله من سقمه وتاب عليه، وهذه من كرامة الله عز وجل لسيدنا يونس بعد توبته[(4)]، بأن ينبت عليه نباتاً ذو ورقٌ عريض يمنع عنه الذباب والحشرات ويعتبر ذلك من لطف الله وتدبيره[(5)].

"إنَّه ميزان العودة إلى الله في وقت الشدَّة، ووقت الحصار ووقت الضيق فلولا ما تقدَّم له من كثرة العبادة والعمل الصالح قبل وقوعه في بطن الحوت، وتسبيحه، وهو في بطنه لمكث في بطنه وصار له قبرًا إلى يوم القيامة" [(6)].

يقول الرازي: "هذه القصة هي القصة السادسة في هذه السورة، وإنَّما صارت خاتمةً للقصص؛ لأجل أنَّه لمَّا لم يصبر على أذى قومه وأبق إلى الفلك وقع في تلك الشدائد فتصيرُ سبباً لتصَبُّرِ النبيّ ﷺ على أذى قومه" [(7)].

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج2998/23).
(2) التحرير و التنوير، ابن عاشور، (ج177/23).
(3) جامع البيان، الطبري، (ج632/19).
(4) ينظر: النبوة والأنبياء، الصابوني،(ص: 316).
(5) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج2999/23).
(6) التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، (ج 451/1)، (بتصرف)
(7) مفاتيح الغيب، (ج358/26).

المطلب الثالث

القلوب القاسية

أولاً: القسوة لغةً واصطلاحاً:

1.القسوة لغةً:

أ- " القسوة تدل على شدّةٍ وصلابةٍ، وهي غلظ القلب، وهي من قسوة الحجر " [1].

ب- القَسْوَةُ: الصَّلابة في كل شَيْءٍ. وحجر قاسٍ صُلب، وأَرض قَاسيةٌ: لا تُنبت شيئًا، وهي بمعنى غلظت ويبست وعست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللِّين والرَّحمة والخشوع منه[2].

2. القسوة في اصطلاح المفسرين:

جاءت القسوة بعدة معانٍ منها:

1. القسوة:" غلظُ القلبِ وصلابَتهُ"[3].
2. أنَّها:" لا يجري فيها لطف العمل"[4].
3. الصَّلابة والشدَة وَاليبسُ وهيَ عبارةٌ عن خلوها من الإنابة والإذعان لآيات اللَّهِ [5].
4. جفاف القلبِ وخروج الرَّحمةِ وَاللِّينُ عنهُ [6].

ثانياً: تعريف قسوة القلب:

يقول ابن القيم: " القلب القاسي هو الذي جعل الهوى إمامه، والشهوة قائده، والجهل سائسه، والغفلة مركبه، وهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية معمورٌ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مغمورٌ "[7].

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج57/5).

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (ج180/15-181).

(3) البحر المحيط، الأندلسي، (ج403/1).

(4) روح المعاني، الألوسي، (ج294/1).

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج462/1).

(6) معالم التنزيل، البغوي، (ج110/1).

(7) إغاثة اللهفان، (ص 13).

"وهي يبس في القلب يمنعه من الانفعال، وغلظة تمنعه من التأثير بالنوازل، فلا يتأثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله"[1].

(وتجد الباحثة أنَّ قسوة القلب حجب نور الهداية عنه، وانغماسه في ضلالٍ مطبقٍ، وغفلةٍ عمياء، وتيهٍ ما بعده تيه، ولا منجد له إلا الرجوع إلى الله).

إنَّ قسوةَ القلوب من أعظم البلايا التي يبتلى بها الإنسان؛ لأنَّ بقسوة قلبه، تتفرق كل أواصرِ الرحمةِ والشفقةِ والمحبةِ، ويُطبع على القلب فلا يعود له فائدةٌ، لقد فقد أكثر البشر مقومات الإنسانية، وأصبحت قلوبهم قاسيةً، ويطابق كلامي واقع الحال المرير الذي نعيشه بكل تفاصيله المؤلمة، فانظر لبني البشر من حولك كيف أصبح حالهم، يسفكون دماء بعضهم البعض، وينتهكون الأعراض، ويتلذذون بتعذيبِ بعضهم البعض، أما عن الفساد في المجتمعات فحدث ولا حرج، وإذا حاولت الأفواه أن تصدح بالحق تُكمَّم وتُلجم، أما تلك التي تسلل صوتها من بين جدران الظلم واستطاعت أن تعبر عن واقع حالها، تلقى في غيابت السجون، مع أننا في قرنٍ تفاضل وتمايز عن سابقه، بالتطور والازدهار وإباحة الحريات.

ثالثاً: مصطلح القسوة في الآيات القرآنية:

وردت لفظة القسوة في القرآن بصيغٍ متنوعةٍ وعديدة، لكنها اقترنت بالقلب في مواضع من القرآن وهي كالتالي:

1- قوله تعالى: **﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [البقرة:74]، "هذه الآية تصف حال القلب القاسي وصفاً دقيقاً وتوبخ بني إسرائيل على ما شاهدوه من آيات الله كإحياء الموتى، فقلوبهم كالحجارة لا تلين أبداً، وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه العيون بالأنهار الجارية، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن لم يكن جارياً، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله، فالحجارة ألين من قلوبهم" [2].

وهذه الحجارة التي شبهت قلوبهم بها هي حجارة لهم سابق عهدٍ بها، حين رؤوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً، ورؤوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخرَّ موسى صعقاً،

---

(1) الروح، ابن القيم، (ج241/1).

(2) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 149).

ولكن قلوبهم لا تلين ولا تندى، ولا تنبض بخشيةٍ ولا تقوى فهي قلوبٌ قاسيةٌ، جاسيةٌ، مجدبةٌ، كافرةٌ[1].

2- ثمَّ نهى الله المؤمنين أن يكونوا كالذين أُوتوا الكتاب لقساوة قلوبهم وفسقهم فيقول: **﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾** [الحديد:16]، إنَّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد أي: الدهر والزمان بينهم وبين أنبيائهم، قست قلوبهم فاخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته أنفسهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون [2].

3- وتحدث الله ﷻ عن عدم اتعاظ الكافرين من بأس الله ووعيده لقسوة قلوبهم فيقول: **﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام:43]، "عندما جاءهم البأس من عذابنا، فرأَوا بوادره وحذرُوا أَواخرهُ، لِنكشفهُ عنهم قبل أَن يُحيط بهم تضرَّعوا خَاشعينَ لنا تائبين إلينا، أَو فما خشعوا ولا تضرَّعُوا إذ جاءهم بأَسنا **﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾** فكانت أَقسى من الحجرِ، إذ لم تؤثّر فيها النُّذر **﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** كالكفرِ وَالمعاصي بما يوسوسُ إليهم من تحسِينِ الثَّباتِ على ما كان عليه آباؤهم وأجدادهم، وتقبيح الطَّاعةِ والانقِيادِ إلى رجلٍ منهم لا مزيَةَ لهُ عليهم" [3].

4- في هذه الآية من سورة المائدة لعن الله بني إسرائيل لنقضهم العهد فيقول ربُّ العزة: **﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾** [المائدة: 13] في سياق الآية بيان لخبث اليهود وغدرهم؛ لأنَّ الله أخذ ميثاقهم على عهد موسى ﷺ بأن يعملوا بما في التوراة فنقضوا ميثاقهم، وبنقضهم الميثاق لعنهم الله أي: أبعدهم من دائرة الرحمة وأفناء الخير والسلام، وجعل قلوبهم قاسية شديدة غليظة، لا ترق لموعظة، ولا تلين

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج809/1).

(2) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج240/9-241).

(3) تفسير المنار، رضا، (ج346/7).

لقبول هدى، فهم يحرفون الكلم عن مواضعه، فيقدمون ويؤخرون ويحذفون بعض الكلام ويؤولون معانيه لتوافق أهواءهم[1].

5- القلب القاسي أضعف القلوب إيمانًا، وأسرعها قبولًا للشبهات، والوقوع في الفتنة والضلال يقول تعالى: **﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** [الحج:53]، لقد ألقى الشيطان في مسامع المشركين كلمات لم يتلفظ بها النبيّ" ففرح المشركون بما سمعوا ظناً منهم أن النبي ﷺ قرأها وأن الله أنزلها، فكرب لذلك رسول الله وحزن، فأنزل الله تعالى هذه الآية لكيلا تأس يا رسول الله ولا تحزن، ثم بين تعالى الحكمة في هذه السنة فقال: ليجعل ما يلقى الشيطان أي من كلمات في قراءة النبي أو الرسول فتنة شكٍ ونفاقٍ، ومعنى الفتنة هنا محنة يزدادون بها ضلالاً على ضلالهم وبُعداً عن الحق فوق بعدهم، وقوله تعالى: **﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾** هو إخبار منه تعالى عن حال المشركين بأنهم في خلاف لله ورسوله، بعيدون فيما يعتقدونه وما يعملونه وما يقولونه [2]، ومما يلفت الانتباه في هذه الآية كلمة الشقاق فهي تعني المخالفة [3]، أي هم في خلافٍ بعيد، والخلاف عادةً ما يوصفُ بالكبير أو الشديد، لكنَّ الله وصفهُ "**بالبعيد**" ليظهر عمق الفجوةِ، واتساعِ الهوةِ ومدى بعدهم عن الحق وميلهم إلى الباطل فهم بعيدون عن الطريق السوي.

6- ثمّ إنَّ الله توعد القاسية قلوبهم بالنار والهلاك المحقق، ففي سورة الزمر يقول تعالى: **﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** [الزمر:22]، " أفمن عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للإسلام ورغب فيه وقبله، كمن لا لطف له فهو حرِج الصدر قاسى القلب" [4]، ثمَّ قال: (فَوَيْلٌ) يعني:" الشدة من العذاب (لِلْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) يعني: لمن قست، ويبست قلوبهم، مِنْ ذِكْرِ اللَّـهِ تعالى" [5]، لقد توعدهم الله بالعذاب لأنَّهم لم ينتفعوا بكل وسائل

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج607/1-608).

(2) ينظر: المرجع السابق، (ج487/3-488).

(3) المفردات، الأصفهاني، (ج348/1).

(4) الكشاف، الزمخشري، (ج122/4).

(5) بحر العلوم، السمرقندي، (ج183/3).

التذكير، ولم يفسحوا المجال لعقولهم لتدبر القرآن، بالرغم من كل الدلالات الواضحة والحجج الساطعة، فأغلقوها على ما فيها معاندين ومستكبرين.

ثمَّ إنَّه لا عقوبة أعظم من قسوة القلب، فعن مالك بن دينار قال:(إنَّ للهِ عقوباتٌ في القُلوبِ والأبدانِ، ضَنَكٌ في المعيشةِ، ووهَنٌ في العبادةِ، وما ضَربَ عبدٌ بعُقوبةٍ أعظَمُ من قسوةِ القلبِ) [1].

يذكر سيد قطب:" أنَّ غالب الآيات التي تحدثت عن قسوة القلوب عنت بني إسرائيل، حيث لم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء، وتنكر للهداة، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم، وهي أشنع فعلةٍ تصدرُ من أمةٍ مع دعاة الحق المخلصين، وقد كفروا أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبشع معصية، وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفعال ليست مثلها أفاعيل، ومع هذا كله كانت لهم دعاوى غريبة بأنهم هم وحدهم المهتدون، وهم وحدهم شعب الله المختار" [2]، ومازال هذا ديْدنُهم وسيبقون إلى يوم تقوم الساعة.

---

(1) حلية الأولياء، أبي نعيم الأصفهاني، (ج287/6).

(2) في ظلال القرآن، قطب، (ج75/1).

المبحث الثاني
أمراض القلوب في القرآن الكريم

المطلب الأول
مفهوم أمراض القلوب

أولاً: مفهوم المرض لغةً واصطلاحاً :

1. المرض لغةً:

ب- "ضعف في القوى يترتب عليه خلل في الأفعال" (1).

ت- "ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص" (2).

ث- المرض ضربان :

الأول : مرض جسمي وهو المذكور في قوله تعالى: **﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾** [التوبة: 91].

الثاني: عبارة عن الرذائل كالجهل والجبن والبخل والشح وهو المذكور في قول الله سبحانه وتعالى: **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾** [البقرة :10](3).

2. أوجه المرض في الآيات القرآنية:

جاءت كلمة المرض بعدة معانٍ:

أ- **الشك**: يقول تعالى: **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ﴾** [محمد:20](4) .

---

(1) توقيف على مهمات التعاريف، المناوي ، (ص 302).

(2) التعريفات، الجرجاني، (ص 176).

(3) المفردات، الأصفهاني، (ج602/1).

(4) الوجوه النظائر ، البلخي،(ص 28).

ب- **الفجور**: يقول تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنْ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً**﴾ [الأحزاب:32] (1).

ت- **مرضا البدن**: يقول تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ**﴾ [البقرة:196](2).

3.المرض في اصطلاح المفسرين:

"هو الفساد في العقائد إما بالشك أو النفاق أو الجحود أو التكذيب" (3).

1. "هو حقيقة في عارض للمزاج، يخرجه عن الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم خروجا غير تام وبمقدار الخروج يشتد الألم، فإن تم الخروج فهو الموت وهو مزاج في الأعراض النفسانية العارضة للأخلاق البشرية عروضاً يخرجها عن كمالها" (4).
2. "المرض خروج النفس من الاعتدال" (5).

ثانياً: تعريف مرض القلب:

مرض القلب نوع فسادٍ يحصل له يفسد به تصوره وإرادته، فتحيط به الشبهات التي تعرض له حتى لا يرى الحق أو يراه على خلاف ما هو عليه، فلهذا يفسر المرض تارةً بالشك والريب، وتارةً أخرى يفسر بالشهوة(6).

مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة والدواء النافع إلى الأغذية الضارة والدواء المهلك، فأنفع الأغذية غذاء الإيمان وأنفع الأدوية القرآن(7).

إنَّ المتعارف عليه أنَّ المرض يقصد به إذا أطلق: المرض الذي يصيب الجوارح فيعطلها عن عملها، وهذا هو المفهوم العام للمرض، لكن هناك مرض خفي يعتري أهم عضو في جسم الإنسان، ألاَّ وهو القلب فتتعطل النفس، ويتشوه سلوكها الإنساني.

---

(1) إصلاح الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص 433).
(2) نزهة الأعين النواظر، ابن الجوزي، (ج546/1).
(3) فتح القدير، الشوكاني، (ج 31/1).
(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج 279/1).
(5) غرائب التفسير و عجائب التأويل، الكرماني، (ج 978/2).
(6) ينظر: أمراض القلوب وشفاءها، ابن تيمية، (ص 115).
(7) ينظر: أصول العقيدة الإسلامية، الطحاوي، (ص116).

إنَّ أمراض القلوب باتت تهدد المجتمعات عامة والمجتمع الإسلامي خاصة وتنحدر به الى التفكك والضياع، إنَّ كل الأمراض التي تصيب القلب العضلي كتصلب الشرايين أو احتشاء عضلته أو غيرها من الأمراض قد يشفى صاحبها أو يموت فيثاب على صبره وتحمله في حياته الأذى، أما الأمراض المعنوية والخفية إذا مات صاحبها قبل شفائه، فقد خسر خسراناً كبيراً والعياذ بالله، ثم إنَّ عواقب تلك الأمراض ليس مقصوراً على المبتلى بها فحسب إنما يطول أذاها ليصل كل من حوله، فيؤثر على المجتمع فترى الظلم يسود والقهر يستوطن القلوب وتختفي آثار العدل، وقد بات ذلك حاصلاً فعلاً بلا مجال يدعو للشك فيه فإنَّ الأمة لم تعد على قلب رجلٍ واحدٍ وهذا ما أخبر به النبي ﷺ **(يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا) فقال قائل: ومِن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟! قال: (بَلْ أَنتُمْ يَومَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ المَهَابَةَ مِنكُمْ، وَلَيَقذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهَن) فقال قائل: يا رسول الله! وما الوَهَن؟ قال: حُبُّ الدُّنيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوتِ**[1].

المطلب الثاني

أنواع أمراض القلوب

إنَّ أمراض القلوب تفتكُ بصاحبها ما لم يسارع بالبحث عن علاجٍ شافي واستئصال أي جزءٍ دخيلٍ أراد به سوءً في الحال أو المآل، ومدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد[2]، وهو أنواع منها:

النوع الأول: مرض الشرك بالله:

لقد خلق الله ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكل عضوٍ منها كمالاً، إذا فقده أحس بالألم، وجعل لملكها وهو القلب كمالاً، إذا فقده حضرته أسقامه وآلامه، فقد خلق القلب لمعرفة فاطره، ومحبته، وتوحيده، ومن أعظم أدوائه: الشرك والغفلة والاستهانة، وترك التفويض إليه، وقلة الاعتماد عليه، والشك في وعده ووعيده[3].

فالشرك أخطر الأمراض القلبية فهو نتاجٌ عن انحرافٍ في العقيدة، يتولد عنه مفسدةٌ كبيرةٌ، فيستوجب غضب الله وسخطه؛ لأنَّه يغفر جميع الذنوب إلاَّ الشرك فيقول المولى ﷻ:

---

(1) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الملاحم/ باب تداعي الأمم عليكم، 111/4، رقم الحديث 4297.، حديث صحيح، ينظر: السلسلة الصحيحة: الألباني، 647/2: رقم الحديث 958.

(2) ينظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج76/1).

(3) ينظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، (ص665).

﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**﴾ [النساء:48]، يعني بذَلك جلَّ ثناؤهُ: ومن يُشرك باللَّهِ في عبادته غيرهُ من خلقه، فقد اختَلَقَ إثمًا عظيمًا، وافترى بهتاناً مبيناً؛ لأنَّهُ قال زورًا وَ كذباً وأقر بأنَّ لله شَريكًا من خلقه وصاحبةً أو ولدًا[1]، والله لا يغفر لعبدٍ لقيه وهو مشرك [2]؛ " لأنَّ التوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وهو أول ما دعا الرسل أقوامهم إليه، فهو لبُّ الدَّعوة وسَنامها والحدُ الفاصل بين الإيمان والكفر، والإسلام والشرك" [3].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية:" أنَّ العبد إذا قام بالتوحيد الذي هو حق الله، فعبده لا يشرك به شيئاً كان موحداً، ومن توحيده التوكل عليه والرجاء له والخوف منه فهذا يخلص العبد من الشرك"[4].

أولاً: أنواع الشرك:

الشرك نوعان: أكبر، وأصغر.

1. **الأكبر:** لا يغفره الله، إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله نداً، يحبه كما يحب الله وهو يتضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، مع إقرارهم بأنَّ الله وحده خالق كل شيء وربه ومليكه[5]، "وهذا الشرك يخرج صاحبه من الملَّة ويخلِّده في النار إن لم يتب منه ومثاله صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله ويدلل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [يونس:18]" [6].
2. **الأصغر:** شركٌ لا يخرج من الملَّة ولكنَّه ينتقص من التوحيد وهو وسيلةٌ للشرك الأكبر وله قسمان[7]:

الأول: شركٌ ظاهرٌ على اللسان والجوارح كما جاء في حديث النبيِّ ﷺ **(مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ**

---

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج7/123).

(2) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ص493).

(3) التوحيد، ابن رجب الحنبلي، (ص ص4-6).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج1/52-53).

(5) ينظر مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج1/348-352).

(6) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها، صالح الفوزان،(ص65).

(7) ينظر: عقيدة التوحيد، مرجع سابق، (ص 67).

كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ) [1].

الثاني: شركٌ في الإرادات والنيات كالرياء فقد جاء في حديث النبيِّ ﷺ" **إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا :وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً"** [2].

وممَّا يدلل أيضاً على خطورة الشرك أنَّ لقمان عليه السلام افتتح وصاياه لابنه بالنهي عن الشرك إذ قال تعالى: **﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان:13] فالمشرك ظالمٌ لنفسه باخسٌ لحقها، وظالمٌ لها ظلماً شديداً[3].

ولقد جاء النهي عن الشرك في أولى الوصايا العشر في سورة الأنعام في قوله تعالى: **﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [الأنعام:151]، قُل يا محمد تعالوا أتل أي: أقرأ ما حرّم ربُّكم عليكم حقّاً يقيناً كما أوحى إليّ وأمرني به، لا ظنّاً ولا تكذيباً كما تزعمون أَلَّا تشركوا به شَيئا [4].

لقد افتتح الله الوصايا بالنهي عن الشرك وهذا دليل على أهمية هذا الأمر وخطورته، والافتتاح بالتوحيد بصريح البراءة من الشرك، إشارة إلى أنَّ التخلي عن الرذائل، قبل التحلي بالفضائل منهجٌ فريد [5].

فوجب تنقية القلب أولاً من محبة ما سوى الله ومن ثمَّ تطبيق باقي الوصايا، فلا يعقل أنَّ المشرك سيحسن إلى والديه أو يبتعد عن الفواحش أو يعصم نفسه من دماء الأبرياء لذلك

---

(1) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب النذور والأيمان/ باب ما جاء في كراهية الأيمان، 110/4: رقم الحديث 1535، حديث صحيح، ينظر: السلسلة الصحيحة، الألباني، 70/5: رقم الحديث 2042.

(2) مسند أحمد، ابن حنبل، 39/39" رقم الحديث 23630، حديث صحيح، ينظر: الجامع الصغير، الألباني،323/1، رقم الحديث:1553.

(3) ينظر: سلسلة تأملات في آيات(قصة وصايا لقمان لابنه)، مصطفى العدوي، (ص 30).

(4) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج203/4).

(5) ينظر: الوصايا العشر، محمد سحلول، (ص329)، (مجلة الناصر).*الحداء:"غناء الابل"، مقاييس اللغة، ابن فارس(ج35/2).

كان الافتتاح بهذه الوصية منطقياً.

إنَّ التوحيد هو:" جوهر الوجود، وحداء* السماء والأرض، ونشيد الكون غيبه وشهادته، من الذرة حتى المجرة، ومن الصخور الصماء إلى القلوب التي تنبض بالدماء، وهو أصل الحقائق كلها، وأعظمها **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾** [الأنبياء:25]، فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدةً بذلك" (1).

ثانياً: الشرك في الآيات القرآنية

والآيات التي تنهى عن الشرك كثيرة منها:

1. قوله تعالى: **﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:22]، يذكر الله نعمه التي أنعم بها على عباده وينهاهم عن اتخاذ آلهة أخرى تعبد دون الله، فيقول: فلا تجعلُوا للّه أنداداً أي أضداداً، فأكبر الأضداد النفس الأمّارة بالسوء المتطلعة إلى حظوظها ومناها بغير هدى من الله(2)، لقد ذكَّرهم الله ببعض خصائص الرُّبوبيَّة الَّتي تقتضي الاختصَاصَ بالعبوديَّة، فقد مهَّد لهم الأرض وجعلها صالحةً للافتراش والإقامة، ثمَّ أمسك السماء أن تقع على الأرض فتسحقهم، وأمدهم بالغذاء الذي يحفظ أجسادهم، فجديرٌ بهم أن يعرفوا أنَّ العبدَ عبدٌ فلا يُعبد، وأنَّ الرَّبَّ ربٌّ فلا يشركُ ثمَّ قال: **﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾** أي من المخلوقين لأنَّهم مثلكم في الخلق والعبودية(3).
2. قوله تعالى: **﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾** [الأعراف:3]، أي:" اقتفوا آثار النبيّ الأميّ الذي جاءكم بكتابٍ أُنزل من رب كلِ شيءٍ ومليكه ولا تخرجوا عما جاءكم به إلى غيره " (4).
3. قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾** [الإسراء: 39]، المخاطب في هذه الآية سيدنا محمد ﷺ والمراد

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ص1235).

(2) تفسير التستري، أبو سهل التستري، (ج27/1).

(3) ينظر: تفسير المنار، رضا، (ج156/1-157).

(4) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 744).

بالخطـاب كـل الأمـة، أي لا تشـركوا فتلقـوا فـي جهـنم ملـومين مـدحورين، أي مطـرودين ومبعدين من كل خير، فجهنَّم هي مصير المشركين مهانين فيها ومبعدين [1].

4. قوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَـنْ يُشْرِكْ بِـاللَّهِ فَكَأَنَّمَـا خَـرَّ مِـنْ السَّـمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الـرِّيحُ فِي مَـكَانٍ سَـحِيقٍ﴾ [الحج :31]، معناهُ مُستقيمينَ أَو مسلمينَ مائلينَ إلى الحقِّ، غير مشركين ومن يشرك فهو يوم القيامة بمنزلة من لا يملكُ لنفسه نفعًا ولا يدفع عن نفسه ضرًّا ولا عذابًا، كمن خرَّ من السَّماءِ فتخطفتهُ الطَّيرُ أي قطَّعتهُ بمخالِبهَا، وقيل عند خروج روح المشرك فتصعد بها الملائكة إلى السماء فلا يفتح لها فتلقى بها على الأرض في مكانٍ سحيق أي بعيد[2]، وقيل: إنَّ هذا تشبيهٌ قصد به أنَّ من أشرك فقد أهلك نفسه، إهلاكاً ليس بعده نهاية بأن صور حاله كمن خرَّ من السماء فاختطفته الطير فتفرق مُزعًا في حواصلها، أو شبّه الإيمان في علوه بالسماء، والذي أشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادى الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت في بعض المهاوي المختلفة[3].

5. إنَّ الشرك داءٌ وبلاءٌ، ومن أسلم نفسه له، أوجب لها العذاب والشقاء، فلا ينفعه مالٌ ولا بنونٌ وليس له يومئذٍ عزاء، يوم تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت، يوم تعرض الأعمال على الواحد القهار، فأما من أخلص إيمانه فقد نجا، وأما من أشرك إلهه فقد افترى، فيخلد في النار التي لا يموت فيها ولا يحي.

النوع الثاني: مرض النفاق:

هـو مـرضٌ مـن أمـراض القلـوب، أشّـدها وأخطرهـا فتكـاً؛ لأنَّ المنـافق يُحسـب علـى المسلمين، يدّعي الإيمـان ومـا هـو بمـؤمن، يـدعي الصّـدق ومـا هـو بصـادق، يسـتغل انتسـابه للإسلام ظاهراً لا باطناً ليشوهه ما استطاع، ويلحق الضرر بالمسلمين كل ما أتيحت له الفرصة لذلك، يقول الله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُـوا اللَّهَ مَـا وَعَـدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:77]؛ أي: " صيرهم منافقين يقال أعقبت فلاناً ندامة إذا صارت عاقبة أمره إلى ذلك، وقيل معناه أنَّه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم إلى يوم يلقونه، يعني أنَّه سبحانه وتعالى حرمهم التوبة إلى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه بما أَخلفوا

---

(1) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (ج135/3).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج55/12).

(3) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (ج695/17).

اللّه ما وعدوهُ " [1].

أولاً: أنواع النفاق:

فالنفاق هو الداء العضال والباطن الذي يكون الرجل ممتلئاً منه ولا يشعر، فيزعم أنَّه مصلح وهو مفسد [2]، وهو نوعان:

1- **النفاق الأكبر:** هو إظهار الإنسان الإيمان بجميع أركان الإسلام، وباطنه منسلخٌ من ذلك كله، ومكذبٌ به ويوجب الخلود في النار[3]، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾ [النساء: 145]، " الدرك الأسفل: الطبق الذي في قعر جهنَّم، والنار سبع دركات سميت بذلك لأنَّها متداركة ومتتابعة، بعضها فوق بعض، وعذاب المنافق أشد من عذاب الكافر؛ لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله، ومداجاتهم*" [4].

2- **النفاق الأصغر:** وهو نفاق العمل وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحةً، ويبطن ما يخالف ذلك[5]، هو متمثلٌ في الأصناف التي ذكرها النبي ﷺ في حديثه إذ قال:(**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**)[6].

لقد كشف الله أسرار المنافقين وأوضح لعباده نواياهم، ليتخذوا حذرهم منهم، إذ ذكر في كتابه طوائف العالم الثلاثة في أول سورة البقرة، فذكر المؤمنين في أربع آيات، والكافرين في آيتين، أما المنافقين فقد جعل الحديث عنهم في ثلاثة عشرة آية، وذلك لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم، وشدة خطرهم على الإسلام، فقد لبسوا ثياب أهل الإيمان على قلوب أهل الزيغ والخسران، والغل والكفران فالظواهر ظواهر الأنصار، والبواطن تحيّزت إلى الكفار [7].

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (ج388/2).

(2) ينظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج354/1).

(3) ينظر: المرجع السابق، (ج355/1).

(4) الكشاف، الزمخشري، (ج267/5)،* المداجاة:" المداراة"، القاموس المحيط، الفيروز آبادي(ص1282).

(5) جامع العلو والحكم، ابن رجب الحنبلي،(ص902).

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، 16/1: رقم الحديث 34.

(7) ينظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ص ص355-356).

ثانياً: صفات المنافقين من خلال الآيات القرآنية:

في سورة البقرة جملةٌ من صفات المنافقين: يقول تعالى: **﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ*فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمْ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*أَلا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ*وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمْ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ*وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ*اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾** [البقرة:8-16].

نستطيع استخلاص بعض الصفات من هذه الآيات:

1. **الخداع:** بإظهار الخير وإبطان الشر **و**الكذب والإفساد بين المؤمنين بقلب الحقائق والادعاء بأنَّ عملهم الفاسد في الأرض ما هو إلا إصلاح[1].
2. **الاستهزاء:** فإذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا بما أنتم به مؤمنون، وإذا خلوا إلى شياطينهم دعاة الفتنة والإفساد الذين يصدون عن سبيل الحق قالوا لهم إنما نقول ذلك لهم استهزاء بهم [2].
3. **الضلالة:** ثم ذكر أنهم قد اختاروا الضلالة على الهدى،" إذ هم أهملوا العقل في فهم الكتاب بعد أن تمكنت منهم التقاليد والعادات، وتحكمت فيهم البدع، فخسروا في تجارتهم، وما كانوا مهتدين فيها، لأنهم باعوا ما وهبهم الله من النور والهدى، بضلالات البدع والأهواء" [3].
4. **تسفيه المؤمنين:**" يقولون إذا عرض عليهم الإيمان أنؤمن كإيمان السفهاء الذين لا رشد لهم ولا بصيرة "[4]، وهم لا يعلمون أنَّهم هم السفهاء، وأنَّهم هم من لا بصيرة لهم فقد أعمى الضلال عيون قلوبهم فلم تبصر الإيمان.

وهناك جملة أخرى من الصفات في قوله تعالى: **﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي**

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج42/1).
(2) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، (ج56/1).
(3) المرجع السابق، (ج56/1).
(4) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج26/1).

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ* وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:204–206].

1- **حسن القول المبطن بالكذب:** البعض من الناس يعجبك كلامه الفصيح الذي يريد به الدنيا لا الآخرة، ويحلف مستشهدًا بالله على ما في قلبه من محبة الإسلام، وهو شديد العداوة والخصومة له وللمسلمين فهذه صفة المنافق [1].

2- **الإفساد في الأرض:** " كان أولئك المنافقين يفسدون في الأرض بنفاقهم، وموالاتهم للكفار، ومحاولتهم تفريق الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ وهذا طبعهم ونهجهم" [2].

3- **الكبر:** أي تحملهم حَمِيةُ الجاهلية على الإثم والكبر الذي نُهوا عنها استكباراً وعِنادًا [3].

لم تقتصر سورة البقرة على صفات المنافقين، إنَّما ذكرت في سورٍ كثيرة منها: سورة النساء فيقول تعالى: **﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً* مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾** [النساء:142 –143].

في المقطعين السابقين ثلاثة صفات:

1- **الكسل في الصلاة:** "صفتهم الخداع فقابلهم الله بصنيعهم، ثمَّ إنَّ الكسل من شيمهم فهو فتورٌ في الأفعال لسآمةٍ أو كراهةٍ"[4]، فيقومون متثاقلين متباطئينَ[5].

2- **الرياء:** فهم لا يتعبدون بإيمانٍ منهم، إنَّما بقصد الرياء والسمعة[6].

---

(1) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج32/1).

(2) فتح القدير، الشوكاني، (ج31/1).

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ، (ج211/1).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج239/5).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج248/11).

(6) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج101/5).

3- **التردد وعدم الاستقرار**: "فهم محيرين بين الإيمان والكفر فلا هم مع المؤمنين ظاهراً وباطناً ولا هم مع الكافرين كذلك، مترددين يعتريهم الشك فتارةً يميلون إلى المؤمنين وتارةً أخرى إلى الكافرين" [1].

ومن صفاتهم أيضاً:

4- **حب الفتنة**: يقول تعالى: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ *لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾** [التوبة:47-48].

5- **إيذاء النبي ﷺ**: يقول تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾** [الأحزاب:57].

6- **نقض العهد**: يقول تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾** [الأحزاب:15].

7- **الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف** يقول تعالى: **﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾** [التوبة:67][2].

8- **يفرحون إذا أصاب المسلمين بلية،** يقول تعالى: **﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾** [التوبة:50] [3].

كل هذه الصفات تعتبر من أمراض القلوب التي تؤدي إلى دمار المجتمع وتفتته وانتشار الأمراض الاجتماعية فيه، وليست هذه صفاتهم فحسب بل هي كثيرة مبثوثة في آيات القرآن، فكل صفةٍ سيئةٍ أو مذمومةٍ تنسب لهم لأنَّهم أسوء فئةٍ من فئات الناس، في دَمهم كرهٌ للمؤمنين، وفي قلوبهم حقدٌ دفين على الإسلام وأهله، ولا تعتقد أنَّ المنافقين كانوا كُثُر في عهد النبي ﷺ فقط، بل هم اليوم أكثر وفي تزايد مستمر، يغرسون سهامهم في جسد الأمة فيلحقون به الأذى والضرر، ولخطورتهم وشدة البلوى بهم كان موقف القرآن منهم حازماً.

---

(1) التفسير العظيم، ابن كثير،(ص545).

(2) ينظر: السمات الشخصية للمنافقين، الجرايدة،(ص253).

(3) ينظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج362/1).

ثالثاً: موقف القرآن من المنافقين:

1- **النهي عن موافقتهم والركون إليهم:** قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران:118].

2- **زجرهم و وعظهم:** يقول تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**﴾ [النساء:63].

3- **عدم المجادلة والمدافعة عنهم:** يقول الله تعالى: ﴿ **وَلا تُجَادِلْ عَنْ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً**﴾ [النساء:107].

4- **جهادهم والغلظة عليهم:** يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [التوبة:73].

5- **عدم الصلاة عليهم:** يقول تعالى: ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [التوبة:84][1].

رابعاً: الحكمة من كف النبي ﷺ عن قتل المنافقين:

لقد تباينت أقوال العلماء في إمساك النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بنفاقهم وكانت على أربعة أقوال:

1- لم يقتلهم النبي ﷺ لأنَّه الوحيد الذي يعلم ما تخفيه نفوسهم المريضة، واتفق العلماء على أنَّ القاضي لا يقتُل بعلمه.

2- ما قاله الشافعي عن سبب عدم قتلهم بأنَّ الزنديق هو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان فيستتاب ولا يقتل، لكنَّ هذا القول نُقض حيث لم يصح عن النبي ﷺ استتابته للمنافقين.

3- لم يقتلهم مصلحةً لتأليف القلوب عليه لئلا تنفر عنه ولئلا يقولوا محمدٌ يقتل أصحابه.

4- الله تعالى حفظ أصحاب النبي وثبتهم، من أن يفسد دينهم المنافقون، فلم يكن وقتها ضرر كبيرٌ منهم بخلاف الواقع اليوم فقد اختلف الحال وأصبح النيل من المسلمين سهل المنال فواجبٌ الحذر منهم[2].

---

(1) سمات المنافقين في القرآن، جملات الجرايدة (ص ص22-23).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج198/1-199).

من خلال هذه الأمور يتضح السبب الذي دفع النبي ﷺ لأن يترك المنافقين في زمنه دون حساب ولا عقاب، ولكن للأسف نحن اليوم نعاني من المنافقين الذين يحاولون تسميم الأمة الإسلامية، يعملون في الخفاء والعلن، ولا أبالغ إن قلت: إنَّ بعض المنافقين اليوم لم يقتصر عملهم ونفاقهم على الخفاء والسرية، إنَّما يجاهرون بنفاقهم ولا يستحون، فهذا شرُ الأمراض وأقبحها أسأل الله أن يمنَّ على مجتمعنا بالشفاء من هؤلاء المرضى.

النوع الثالث: مرض الطبع:

هو مرضٌ قلبيٌّ يضاف إلى أمراض القلوب، ويكون على قلوب المتكبرين والعاصين الذين فسدت قلوبهم، وصدئت كما يصدأ الحديد فهو عقوبةٌ لهم استحقوها، ونتيجةً طبيعيةً لمن خالف الفطرة واتبع أهوائه، ولم يعتبر من أحوال الأمم السابقة فيقول تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾** [الأعراف:100]، " أولم يتبين للذين يرثون الأرض بعد أن هلك أهلها الذين سبقوهم، أننا لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم، فنطبع أي نختم على قلوبهم فَهُمْ لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الإيمان" [1]، فالمطبوع على قلبه لا يعي ما جاءه من الحق مُجملاً ولا يفقهه مفصلاً؛ لأنَّ تأمله محصورٌ في رغباته وشهواته[2]، وقد ختم اللَّه تعالى وطبع على قُلوب الكافرين مجازاةً لكُفرهم، كما قال تعالى: **﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾** [النساء: 155][3]، والختم والطبع واحدٌ يقول تعالى: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [البقرة:7]، والطبع وجهٌ من أوجه الختم[4]، ختم الله بمعنى طبع، فقد استحوذ عليهم الشيطان إذا أطاعوه فختم الله على جميع حواسهم، فهم لا يبصرون هدىً ولا يسمعونَ، ولا يعقلون، وقيل الذنوب على القلب تحفُ به من كل النواحي حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع وهو الختم[5].

---

(1) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (ج231/2).

(2) وظائف القلب في القرآن والسنة، اليماني، (ص362).

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج187/1).

(4) ينظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص153).

(5) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير،(ص89).

الأصناف التي يطبع الله على قلوبهم هم:

1- **المتكبرين:** يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:35] .

2- **المنافقين:** يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:93].

3- **المرتدين:** يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:3].

4- **متبعي الأهواء:** يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:16].

5- **المكذبين بكتاب الله وسنة نبيه:** يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ [يونس:74].

6- **المسرفون في المعاصي:** يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:100].

7- **الجاهلون:** يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:59].

8- **محبي الدنيا:** يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل:107-108][1].

ومما ينبغي أن يعلم أنَّه لا يمنع مع الطبع والمنع والقفل حصول الإيمان، بأن يفك الله ختم القلوب، وطبعه عليها ويهديها بعد الضلالة، ويعلمها بعد جهلها، ويرشدها بعد غيّها، ويفتح بمفاتيح توفيقه التي هي بيده أقفالها، حتى لو استعصى ذلك، لم يمتنع أن يمحوها، ويكتب عليها السعادة والإيمان، وأسباب الفتح مقدورة للعبد غير ممتنعة، تماماً كشرب الدواء فهو أمرٌ مستطاع ومقدور له وزوال العلة وحصول العافية غير مقدور، فعندما يستفحل المرض ولا ينفك

---

(1) ينظر: أصناف الذين يطبع الله على قلوبهم، الماجوني. (موقع إلكتروني).

عن صاحبه، لا يعذر بتركه ما فيه شفاءً له، لأنَّه إذا اعتاد على العلة واعتبرها جزءًا منه، فقد سد على نفسه باب الشفاء بالكلية [1].

النوع الرابع: مرض اللهو:

اللهو مرضٌ قلبيٌ خطير، فهو شاغل القلوب وصارفها عن ذكر الله، وعن كل ما فيه منفعة وقد وردت لفظة اللهو في القرآن في مواطن مختلفة من كتاب الله العزيز الحكيم، وارتبطت بالقلب في قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ *مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ *لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُون**﴾ [الأنبياء:1-3] ﴿**لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ**﴾ غَافِلَةً، مَا يسْتَمِعُ هؤلاءِ القوم الَّذين وصف صِفتهُم هذا القرآنُ إلَّا وهم يلعبون، غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبَّرون حكمهُ، ولا يتفكَّرون فيما أَودعه اللَّه من الحجج عليهم[2].

أوجه اللهو في القرآن:

1- **السخرية والاستهزاء:** كقوله تعالى: ﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾ [الأنعام:70].

2- **اللهو بمعنى الولد:** في قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء:17].

3- **الاشتغال:** في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المنافقون:9].

4- **ضرب الطبل:** كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [الجمعة:11].

(1) ينظر: شفاء العليل، ابن القيم، (ص ص 192-193).

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري (ج16/ 222).

5- **اللهو بمعنى الباطل:** جاء في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ**﴾ [محمد:36-37].

6- **الغناء:** في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [لقمان:7][(1)].

فهذه وجوهٌ للهو ذكرت في القرآن الكريم لتبين أنَّه باطلٌ لا ينفع، واشتغالٌ بما لا يشفع، ويؤكد ذلك ما أخبرنا الله ﷻ في آياتٍ قصار من حيث العدد، فيهنَّ الكثير من الفائدة من حيث المعنى فيقول الله ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ*حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ*كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ *كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ*ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ**﴾ [التكاثر:1-8]، أي: شغلكم المال والبنون حتى قبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا، والاستباق إليها والتهالك عليها، وستسألون في ذلك اليوم العظيم عن النعيم، والنعيم عكوف الهمة على استيفاء اللذات والعيش للمأكل والملبس اللين، وقطع الأوقات باللهو والطرب، وعدم الاكتراث بالعلم والعمل [(2)].

فكل شخصٍ ألهته الدنيا وزينتها عن عبادة ربه فليعلم أنَّ في قلبه داءٌ يحتاج لعلاجٍ ودواء. وكلام الله واضحٌ لمن أعمل عقله ونبَّه قلبه حين يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:64]، وما هذه الحياة الدنيا إلاَّ لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان؛ بسبب ما فيها من الزينة والشهوات، ثم تزول سريعًا، وإن الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا موت فيها، لو كان الناس يعلمون ذلك لما آثروا دار الفناء على دار البقاء، وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، تلهو بها القلوب وتلعب بها الأبدان[(3)].

وللسائل أن يسأل هل يختلف اللهو عن اللعب؟ والجواب نعم فاللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يعرف به والاستمتاع بملذات الدنيا، والإعراض عن الحق، أما اللعب فهو طلب الفرح

---

(1) ينظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص ص 423-424).

(2) ينظر: الكشاف، الزمخشري، (ص1219).

(3) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ص404).

بما لا يحسن أن يطلب به وهو العبث وترك ما ينفع والإقبال على الباطل[1].

النوع الخامس: مرض الحسد:

الحسد مرض يصيب القلب الغير راضٍ بقضاء الله وقدره، فيصيب القلب مصاباً جللاً، يصرفه عن شكر النعمة، والثناء على الخالق لها، ويحصر كل همه ومراده في الالتفات لما عند غيره من نعمٍ متمنياً زوالها وهذا من أشنع الأمراض وأبشعها وهو شرٌ محض.

أولاً: أنواع الحسد:

1. **الحسد المذموم:** وهو التلذذ بزوال النعمة عن المحسود حتى وإن لم ينتفع بزوالها، فنفعه زوال الألم من نفسه[2].
2. **حسد الغبطة:** أن لا تحب زوال النعمة ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة[3].

وَالْغِبْطَةُ:" تمنّي المرء أن يكون له من الخير مثل ما لمن يروق حاله في نظره، وهو ما جاء في الحديث الصحيح: **(لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)**[4]، بمعنى لا تحق الغبطة إلَّا في تَينِك الخَصلتين" [5].

- **من الحسد المذموم:**

إذا ما تتبعنا قصص الأنبياء وجدنا فيها نماذج للحسد المذموم، الذي ابتلي به أنبياء الله، فسيدنا محمد ﷺ ابتلي بحسد اليهود حتى سحروه، وسيدنا يوسف ابتلي بحسد إخوته الذين سولت لهم أنفسهم إلقائه في الجب لِما كان من محبة والده له، وما كان منهما إلا الصبر لأنَّهم يعلمون عاقبته فقد قال الله **﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [يوسف:90]، أما صبر سيدنا محمدٍ ﷺ فإنَّه أعظم من صبر سيدنا يوسف، إذ إنَّ صبرَ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان على القتل حين طُلب منه وأصحابه الكفر، أما صبر سيدنا يوسف

---

(1) ينظر: معجم الكليات، الكفوي، (ص799).

(2) ينظر: التحفة العراقية، ابن تيمية، (ص 135).

(3) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج189/3).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم/ باب الاغتباط في العلم والحكمة، 25/1: رقم الحديث 73.

(5)التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج630/30).

عليه السلام فكان على الحبس إذ طلب منه الفاحشة [1].

◆ **من صور الغبطة:**

أ- غبطة سيدنا موسى عليه السلام لنبيِّنا محمدٍ ﷺ:

جاء في حديث المعراج من حديث النبيِّ ﷺ قال:(**أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ بَكَى، فَنُودِيَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَبِّ، هَذَا غُلَامٌ بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي**) [2].

ب- تنافس عمر مع أبا بكر رضي الله عنهما في عمل الخير:

فعمر بن الخطاب نافس أبا بكرٍ رضي الله عنهما في الإنفاق، فيقُولُ عمر رضي الله عنه :(**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا**) [3].

ثانياً: الفرق بين الحسد والغبطة:

إنَّ النوع الأول وهو الحسد المذموم "إذا وجد في نفس أحدٍ وعمل بموجبه كان ظالماً معتدياً مستحقاً للعقوبة، إلا أن يتوب، وكان المحسود مظلوماً مأموراً بالصبر والتقوى، فيصبر ويصفح كما أمر الله تعالى في قوله: ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة:109] " [4]، **أمَّا النوع الثاني** فهو من باب التنافس في الخير ولا يلحق ضرراً أو أذىً بالمحسود، ولكن يجب الحذر من أن يتحول ذلك إلى الحسد المذموم.

إنَّ معناهما على طرفي نقيض، فهما يشتركان في التمني؛ لأنَّ الحاسد يتمنى زوال النعمة ولا ينفك عن تلك الأمنية إلا بتحققها وزوال النعمة عن المحسود، أمَّا الغبطة فهي تمني الحصول على نعمة أنعم الله بها على الغير دون تمني زوالها عنه [5].

---

(1) ينظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، (ص ص143-144).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الإسراء، 149/1: رقم الحديث 164.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب المناقب/ باب مناقب أبي بكر، 56/6: رقم الحديث 3675. حديث حسن، ينظر: المشكاة: الألباني، 1699/3: رقم الحديث 6030.

(4) التحفة العراقية، ابن تيمية، (ص143).

(5) ينظر: الحسد دراسة قرآنية، عزام، (ص16).

ثالثاً: حكم الحسد:

لقد وصف الله الحسد بالشر في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ *مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ *وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ*ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق:1-5] قال الإمام الشَّافِعِي رحمه الله:" إنَّ الحسد إنَّما يكون من لؤم العنصر، وتفادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل، والحاسد طويل الحسرات، عادم الراحات" [1]، ولقد جمع الله الشرور في هذه الآية ثم ختمها بالحسد ليعلم أنّه أخَّسُ الطبائع [2].

ومما يدل على فضاعة هذه الخصلة السيئة قوله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة:109]، فقد بين الله ﷻ أنَّ حسدهم لم يكن عن شبهةٍ دينيةٍ أو غيرةٍ على حقٍ يعتقدونه، وإنَّما هو خبثٌ في النفوس، وفسادٌ في الأخلاق، وجمود على الباطل وإن ظهر لصاحبه الحق [3]، والحسد الذي ذمه الله بعينه هو ما ذكره في قوله: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: 54][4]، ولا نغفل عن نهي السنة الشريفة عن الحسد فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،أنَّ النبيَّ ﷺ قال:(**لاَ تَحاسَدُوا، ولاَ تَباغَضُوا، ولاَ تَدَابَرُوا، ولاَ تَقاطَعُوا وكُونوا عِبادَ اللهِ إخوَاناً، ولاَ يَحِلُ لِأحَدٍ أَن يَهجُرَ أَخاهُ فَوقَ ثَلاَثَ لَيالٍ: يَلتَقِيان فَيَصُدُ هَذا ويَصُدُ هَذا، وخَيرُهُما الذِي يَبدَأ بِالسلاَم**)[5]، في هذا الحديث: الأمر بالألفة والمحبة، والنهي عن التباغض والتدابر، وما أمرهم الشارع فعليهم العمل به، وما نهاهم عنه فعليهم الانتهاء عنه، وفيه: النهي عن الحسد على النعم، وقد نهى الله عباده المؤمنين عن أن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض، وأمرهم أن يسألوه من فضله، ونهى عن التباغض؛ لأنَّ في تباغضهم افتراق كلمتهم وتشتت أمرهم، وفي ذلك ظهور عدوهم عليهم ودروس دينهم ومعنى "لا تَدَابَرُوا": لا تهاجروا، وهو أن يولي كل واحد منهما صاحبه دبره، وقيل:" لا يتكلم أحد في غيبة أحد بما يسوءه "[6]، وفيه أيضاً تحريم الهجر وخيرية المبادر إلى خصمه بالسلام، فهذه أمورٌ نهى عنها النبيُّ ﷺ، لأنَّها تضر بالمسلمين وربما ابتدأ بالنهي عن

---

(1) تفسير الشافعي، أحمد الفران، (ج1740/3).
(2) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج340/10).
(3) ينظر: تفسير المنار، رضا، (ج346/1).
(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج163/5).
(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب/ باب ما ينهى عن التحاسد، 19/8: رقم الحديث 6064.
(6) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين الشافعي، (ج410/28-411).

الحسد لأنَّه السبب الرئيسي والباعث القوي الذي تترتب عليه بقية الأمور كالبغض والتدابر والمقاطعة.

وليس لنا أمام نصوص القرآن والسنة الواضحة الدلالة سوى التسليم والانقياد.

قال الغزالي في حكم الحسد بنوعيه: " فأما الأول فهو حرامٌ بكل حالٍ إلا نعمةً أصابها فاجرٌ أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد"(1).

وقال العلماء:" الحسد قسمان حقيقيٌّ ومجازيٌّ فالحقيقيُّ تمنّي زوال النعمة عن صاحبها وهذا حرامٌ بإجماع الأمَّة مع النصوص الصَّحيحة وأمَّا المجازيُّ فهو الغبطة وهو أن يتمنَّى مثل النِّعمة الَّتي على غيره من غير زوالها عن صاحبها فإن كانت من أمور الدُّنيا كانت مباحةً وإن كانت طاعةً فهي مستحبة " (2).

أضرار الحسد(3):

1- **إسخاط الله في معارضته واجتباء الأوزار في مخالفته:**

فالحاسد حقود ظالم، لا يرضى بالخير لإخوانه، بل يحقد عليهم بما أعطاهم الله من فضله، ويعتدي عليهم بحسده، ويسبب الأذى لهم، فإذا فعل ذلك نال سخط الله ومقته، وعند الوقوف بين يدي الله جل وعلا يوم القيامة يخسر ما قدمه من حسنات يوم القيامة عندما يأخذ المحسود من حسناته بقدر مظلمته له.

2- **حسرات النفس وسقام الجسد:**

إنَّ النفس البشرية تميل بفطرتها لحب الخير والمنفعة، فإذا أنعم الله على عبدٍ بنعمٍ ومنعها عن آخر بدأت نفسه في منازعة صاحبها وبث الشرور فيها حتى تتمكن من جعله يتمنى زوال تلك النعم، فإذا دخل في دائرة الحسد أهلك نفسه، وسقم جسده.

3- **جلب النقم وإزالة النعم:**

الحسد منبع الشرور العظيمة والعواقب الوخيمة، فلا يجوز الاعتراض على قضاء الله في تفاوت إنعامه على العباد، يقول تعالى: **﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** [الأنبياء:23].

---

(1) إحياء علوم الدين: الغزالي، (ج189/3).

(2) شرح صحيح مسلم، النووي، (ج97/6).

(3) ينظر: نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، إشراف صالح حميد، (ج4429/10).

4- يولد الحقد في القلب:

حين يعجز الحاسد عن الوصول لما عند المحسود، يبدأ الحقد بالتسلل لقلبه، فتتولد البغضاء والعداوة، والرغبة في التشفي والانتقام، فإن عجز عن ذلك بنفسه، أحبَّ أن يتشفى منه الزمان[1].

5- معول هدمٍ في المجتمع:

إنَّ الحسد يؤدي للقتل الذي يعدُ من أبشع الجرائم، وهو سبب قتل الأخ أخيه فابني سيدنا آدم عليه السلام قتل أحدهما الآخر بسبب الحسد، قال تعالى: **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾** [المائدة:30] قال ابن عاشور:" إنَّما حمله على قتل أخيه حسده على مزية القبول، والحسد أول جريمة على الأرض"[2]، وليس إخوة يوسف ببعيدين عن هذا الفعل حين دفعهم حسدهم لأخيهم يوسف عليه السلام، لما رأوه من محبة أبيهم له بأن حاولوا التخلص منه قال تعالى: **﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾** [يوسف:9] يقول الرازي :"اعلم أنَّه لما قويَ الحسد وبلغ النهاية قالوا: لابد من تبعيد يوسف عن أبيه، وذلك لا يحصل إلا بإحدى طريقتين: القتل أو التغريب إلى أرضٍ يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه، ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظمُ من ذلك"[3]، وفي هذه الآية يقول ابن عادل:" إنَّ الحسد من أمهات الكبائر، لا سيَّما وقد أقدموا بسبب ذلك الحسد على تضييع ذلك الأخ الصالح، وإلقائه في ذلِّ العبوديَّة، وتبعيده عن الأب المشفقِ، وألقوا أباهم في الحُزن الدائم، والأسف العظيم، وأقدموا على الكذب، وأتوا بهذه الخصالِ المذمُومَة وكل ذلك يقدح في العصمة"[4].

6_ الحسد سبب الكبر والمعصية:

هذا ما فعله إبليس اللعين حين عصى أمر الله بالسجود لسيدنا آدم وتكبر على أوامره، فقال تعالى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ**

---

(1) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج192/3).

(2) التحرير والتنوير،(ج170/6).

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، (ج424/18).

(4) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (ج24/11).

مِنْ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:34] وقال النبيُّ ﷺ: **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)**[1] والحاسد شبيهٌ بإبليس، قال ابن القيم: الحاسد شبيهٌ بإبليس، وهو في الحقيقة من أتباعه؛ لأنَّه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس، وزوالِ نِعَمِ الله عنهم، كما أنَّ إبليس حسد آدم لشرفه وفضله، وأبى أن يسجد له حسدًا، فالحاسد من جُند إبليس[2].

وليس واقعنا اليوم أفضل حالاً حيث تنوعت فيه أساليب الحساد واختلفت وسائلهم التي يبثون من خلالها شرور أنفسهم المريضة في المجتمعات، ويبذلون الغالي والنفيس لأجل هدم الآخرين وسحقهم ليس لشيء إلا أنَّهم نالوا خيراً من الله لم ينله أولئك الحاسدون.

النوع السادس: مرض الاشمئزاز:

اشمئزاز القلب مرضٌ مختصٌ بقلوب المشركين الذين إذا سمعوا لا إله إلا الله انقبضت قلوبهم واستكبرت، فلا تلين للحق، ولا تستجيب لدعوة الخير، وبالمقابل إذا ذكرت الأصنام والأندادُ يفرحون ويسرون فيقول تعالى واصفاً حالهم: **﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾** [الزمر:45][3]، فهؤلاء قلوبهم جافة، يبست على الضلال وما عاد الهدى يجد إليها سبيلاً، ففيها من الجحود والعصيان ما هو كفيلٌ لأن يحجب عنها نور الإيمان.

النوع السابع: مرض الغفلة:

إنَّها مرضٌ من أمراض القلوب، فتاكٌ وخطير، يجتاح القلوب فلا تقوى على مجابهة ذلك الكم الهائل من المغريات والشهوات، فترضح بعض القلوب لذلك العدو، ويقاوم ببسالة بعضٌ آخر منها، وهناك من يقاوم تارةً ويستسلم تارةً أخرى.

وقد نهى القرآن عن إتباع الغافلين قال تعالى:**﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف:28]، نزلت هذه الآية في «أهل الصُّفَّة» وهم جماعة من أهل الله من المهاجرين انقطعوا للعبادة فتناولتهم ألسنة الناس واعترضوا عليهم، وطلبوا من النبيِّ صلى الله عليه وسلم عدم الالتفات لهم فأنزل الله تعالى: **﴿واصبر**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب تحريم الكبر وبيانه، 93/1: رقم الحديث 91.

(2) بدائع الفوائد، (ج234/2).

(3) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 1622).

نَفْسَكَ مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، وقد أُمر النبي بملازمتهم وعدم الانصراف عنهم لأهل الدنيا الذين يريدون إشغاله عن ذكر الله؛ لأنَّ من يحرضه على أهل الصُفة ما هم إلا متبعي الأهواء الذين قادتهم أهواؤهم إلى الغفلة عن ذكر الله(1).

فالغافلون هم من شغلتهم الدنيا عن الدين وعن عبادة ربهم(2).

أنواع الغفلة(3):

1. **غفلةٌ محمودة** كالتي في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [النور:23]، أي: " العفائف والغَافِلاَت عن الفواحش والمُؤْمِنَاتِ، والغافلة عن الفاحشة أي: لا تقع في مثلها" (4).
2. **غفلةٌ مذمومة: وهي ثلاثة أنواع:**

الأول: غفلـةٌ عارضـةٌ: يتعرض لها الصالحون لفترةٍ يسيرةٍ وسرعان ما يتراجعون عنها قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾** [الأعراف:201].

الثـاني: غفلـةٌ متكـررةٌ: هي غفلةُ العصاة والفساق من المسلمين عند معصيتهم فهؤلاء مدة غفلتهم قد تستمر لفترات ثمَّ تنقطع أحياناً، ثمَّ تعاودهم مرةً أخرى.

الثالث: الغفلـة التامـة: هي غفلة الكفار فهم غافلون عن الله وعن الدار الآخرة قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾** [الأعراف:179].

وقد حذر الله من الغفلة وذلك لعدة أسبابٍ أهمها (5):

---

(1) ينظر: تفسير الخواطر، الشعراوي، (ج8874/14-8876).

(2) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير،(ص 1153).

(3) ينظر: الغفلة في ضوء القرآن الكريم، الرياشي،(ص ص16-21).

(4) اللباب، ابن عادل، (ج337/14).

(5) الغفلة مفهومها وخطرها وعلاماتها وأسبابها وعلاجها: القحطاني، (بتصرف) موقع إلكتروني.

أ- **أنَّها سبب الهلاك:** قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ*فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾ [الأعراف:135-136].

ب-**أنَّها سبب في الختم على القلب:** فالقلب إذا غطَّته الذنوب، وعمَّه الصمم وعمى البصيرة، لا بد أن يكون من الغافلين، قال الله تعالى﴿ :**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنْ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف:179].

ت- **هي صفة من صفات أهل النار:** قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس:7-8].

ث- **اقتراب الساعة والموت والناس في غفلة:** قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء:1].

فالعجب ممن كانت لحظاته معدودةً عليه، ولا يتفكَّر إلى أين يُسار به أو في أي الدارين ينتهي أمره، فإذا نزل عليه الموت زاد قلقه، لخراب ذاته، وذهاب لذَّاته، لا لما سبق من جناياته، وسلف من تفريطه، حين أهمل حياته، فإن خطرت له خطرة عارضة لما خُلق له، دفعها باعتماده على العفو، وقال قد أنبأنا الله أنَّه هو الغفور الرحيم، وكأنَّه لم ينبأ أنَّ عذابه هو العذاب الأليم [(1)].

النوع الثامن: مرض الريبة:

الريب مرحلة متقدمةٌ من المرض، وهو أن تتوهم بالشيء أمراَ ما فينكشف عما تتوهمه[(2)]، ونُسِب الرَّيب إلى القلب في مواضعَ متعددة؛ في مثل قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**﴾ [التوبة: 45] "إنَّهم ليسوا بمؤمنين، إنَّما مرتابين، حائرين لا يهتدون لطريق الصواب، وقلوبهم في شكٍ وإنكار"[(3)]، وقوله

---

(1) ينظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، (ج8/1).
(2) المفردات، الأصفهاني، (ج270/1).
(3) فتح القدير، الشوكاني،(ص575).

تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [النور:50] أي شكوا.. وهذا استفهام ذم وتوبيخ، بمعنى هم فعلاً هكذا، ويخافون أن يظلمهم الله ورسوله، كلا إنَّهم هم الظالمون لأنفسهم بإعراضهم عن الحق[1]، والريب صفةٌ فيها انتقاصٍ في حق المؤمنين، لهذا نفاه الله عنهم، فقال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15]، إنَّما المؤمنون حقاً الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً، ورسوله نبياً مطاعاً، ثم لم يشكوا أبداً في صحة ما آمنوا به، وجاهدوا أنفسهم فألزموها الاستعداد للنهوض بجميع التكاليف الشرعية في المنشط والمكره[2]، فإنَّ القلوب المرتابة لا تعرف طعماً للإيمان، ولا راحةً في الحياة ولا اطمئنان، فهي غارقةٌ في مستنقعٍ من الضياع والتيه والحيرة.

النوع التاسع: مرض الغمرة:

القلب المغمور قلبٌ استفحل فيه الجهل وبات لا يميز بين الخير والشر، غمرته المعاصي حتى امتنعت عنه كل سبل الرشاد والهداية، وأصبح غريقاً في ظلمات الضلال، لا يستطيع اتباع الحق لأنه لا يرى طريقه، ولا يستطيع الابتعاد عن طريق الضلال لأنَّه يجهل اعوجاج قلبه وانحراف سيره، فيعتقد بجهله أنّه يسير في الاتجاه السليم.

وارتبط الغمر بالقلب في قوله تعالى: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [المؤمنون:63]، والغَمْرة: "غطاء القلب عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعِبر والحُجج"[3] أي:" قلوبهم في غطاء وغفلة عن القرآن، وقيل هي في حيرةٍ وعمى ولهم أعمالٌ لا بد أن يعملوها من دون الحق وهي أعمالٌ رديَّة يفعلونها من دون أعمال المؤمنين فيستوجب عملهم بها دخولهم النار" [4].

النوع العاشر: مرض الإكنان:

الكَنَهُ على القلوب عقوبةٌ أوجبها الله على قلوب الجاحدين، المستهزئين بالقرآن، والمصرين على عدم الإيمان فيقول تعالى:﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام:

---

(1) معالم التنزيل، البغوي، (ج56/6).

(2) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج134/5).

(3) جامع البيان، الطبري، (ج73/17).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج61/15).

25] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:46]، فقد جعل الله على قلوب المشركين أَكنَّةً، وهي جمعُ كنان وَهُوَ الغطاء، مثل سنانٍ وأسنَّةٍ، يقال منه: أَكننتُ الشَّيء في نفسي بالألف، وكننتُ الشَّيءَ إذا غطَّيتهُ، وجعل في آذانهم ثقلًا وصممًا عن فهم ما يتلى عليهم من الآيات، والكنَّ إنَّما جعل على القلب لئلَّا يفقهه الحقَّ [1]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ [الكهف:57]، لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه، ثم تولى عنها وتركها ولم يؤمن بها ونسي ما قدمته يداه بما عمله من المعاصي، فقد جعل الله على قلوبهم أكنَّةً أي أغطية أَن يفقهوه وفي آذانهم ثقلاً وصماً[2].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ [فصلت:5]، لقد صرح المشركون في هذه الآية بنفرهم ومباعدتهم عن القرآن فذكروا ثلاثة أشياء: أحدها: أنَّ قلوبهم عليها غطاء، وثانيها: أنَّهم قالوا في آذاننا صمم وثقل يحول بيننا وبين الاستماع، وثالثها: أنَّ بينك وبينهم حجابٌ مانعٌ للرؤية، والاقتصار على هذه الأعضاء الثلاثة لأنَّ القلب محل المعرفة، وسلطان البدن، والسمع والبصر هما آلتان تحصيل المعارف، فهذه استعارات كاملة في إفادة المعنى[3].

فهذه الأربعة مواضع ذكرت فيها أكنَّة القلوب لتفيد معنى الغطاء على القلب المانع من حصول الانتفاع بأي شيءٍ من شأنه أن يعدل السلوك أو يصحح المسار.

لكن لابد من الإشارة إلى أنَّ هذا الإكنان لا يمنع من الإيمان، إذ إنَّه ليس موتاً بالكلية للقلب، إنَّما هو مرحلةٌ متأخرةٌ من المرض الشديد المؤدي إلى الموت [4].

النوع الحادي عشر: مرض الإقفال:

إنَّ من أشد البلاء أن يقفل على القلب فلا يستطيع استقبال الهدى والخير، فالقلب الذي عاقبه الله بالقفل قلبٌ بائسٌ، فكيف له أن يعيش بقلبٍ موصدةٍ أبوابه عن الإيمان، والطاعة، فبعض القلوب يكون عليها أقفال ولا تفتح أبداً مغلقة على ما فيها، لا تبوح بأسرارها، ولا تستقبل

---

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج9/197-198).

(2) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (ج3/169).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج27/540-541).

(4) ينظر: وظائف القلب في القرآن والسنة، اليماني،(ص 304).

المعارف كأنها قلوب غريقة في بحور الظلمات، لم تعرف للنور شكلاً، ولم تتذوق جمال التدبر أبداً في حياتها، قال الله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد :24] أفلا يتدبَّرون القُرآن ويتصفحونه وما فيه من المواعظ و الزواجر، ثم قال: أَم على قُلُوبٍ أقفالُها للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر، وأما إضافة الأقفال، فلأنه يريد الأقفال المختصة بها، وهي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح.[1]، "والأقفال هنا إشارة إلى ارتجاج القلب وخلوه عن الإيمان، فلا يدخل الإيمان إلى القلب، ولا يخرج الكفر منها لأنَّ الله طبع عليها"[2].

النوع الحادي عشر: مرض الإشراب:

الإشراب صفة القلوب الجاحدة والمنكرة، واختص بهذه الصفة بنو إسرائيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:93]، يذَّكر الله تعالى اليهود بما أخذه من عهدٍ وميثاق على أسلافهم، بالعمل بما جاء في التوراة عندما رفع جبل الطور فوق رؤوسهم تهديداً لهم غير أنَّهم نقضوا الميثاق وقالوا سمعت آذاننا وعصيت قلوبنا[3].

وذكر القلوب لبيان مكان الاشراب، وذكر المحل المتعين يفيد مبالغة في الإثبات والمعنى داخلهم حب العجل ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به[4]، إنَّ إظلال الجبل لا شك أنه من أعظم المُخَوِّفات ومع ذلك فقد أصرُّوا على كفرهم وصرَّحوا بقولهم سمعنا وعصينا وهذا يدلُّ على أَنَّ التَّخويف وإن عظُم لا يُوجب الانقياد، وأُشربوا في قلوبهم حُبَّ العجل، وفي وجه هذه الاستعارة وجهان، **الأول:** معناه تداخلهم حُبُّه والحرص على عبادته كما يتداخل الصَّبغ الثَّوب، وقوله: فِي قلوبهم بيانٌ لمكان الإشراف. **الثَّاني:** كما أَنَّ الشُّرب مادَّةٌ لحياة ما تخرجه الأَرض فكذا تلك المحبةَ كانت مادةً لجميع ما صدر عنهم من الأفعال. [5] وقد عبر عن حُبِّ العجل بالشرب دون الأكل، لأنَّ الماء يتغلغلُ في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها. ودلالة لفظة

(1) الكشاف، الزمخشري، (ج326/4).
(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج276/19).
(3) ينظر: أيسر التفاسير، أبو الجزائري، (ج84/1).
(4) ينظر: روح المعاني، الألوسي، (ج326/1).
(5) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي (ج604/3).

(**أُشربوا**) أنَّهُ فُعل بهم ذلك ولا يفعله إلا الله [1].

النوع الثاني عشر: مرض السلك:

السلك مرض آخر من الأمراض وقد ذكره الله في كتابه مرتبطاً بالقلب في موضعين: الأول في سورة الحجر. فالسلوك هو النفاذ في الطريق، والدخول فيه والسَلْكُ: الإدخال[2].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ* وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا مِـنْ قَبْلِـكَ فِي شِـيَعِ الْأَوَّلِينَ *وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون* كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُـنَّةُ الْأَوَّلِـينَ**﴾ [الحجر:9 –13]، ومعنى الآية: " كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الأولين، كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة "[3]، وفي الآية تسليةٌ للنبيِّ الذي كذَّبه كفار قريش فقد أخبره الله أنَّه ما أتى أمةٍ رسولٍ قبله إلا كذَّبوه واستهزؤوا به، ثم أخبر كيف سلك التكذيب في قلوب المجرمين المعاندين[4].

وكذلك قال تعالى: ﴿**وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ *فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَـذَلِكَ سَـلَكْنَاهُ فِي قُلُـوبِ الْمُجْـرِمِينَ * لا يُؤْمِنُـونَ بِـهِ حَـتَّى يَـرَوُا الْعَـذَابَ الْأَلِيـمَ**﴾ [الشعراء:198–201] لو أنزلنا القرآن كما هو بنظمه الرَّائقِ المعجز على بَعْضِ الأعجمين الذين لا يجيدون العربية فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم قراءةً صحيحةً خارقةً للعادات لم يؤمنوا به مع انضمامِ إعجازَ القراءة إلى إعجازِ المقروءِ، لفرطِ عنادِهم وشدَّةِ شكيمتهم في المكابرةِ.

ولقد سلكنا القرآن في قلوب المجرمين ففهمُوا معانيه وعرَفوا فصاحتَه، وأنَّه خارجٌ عن القُوى البشرَّية من حيث النَّظمُ المُعجزُ ومن حيث الإخبار عن الغيبِ وإخبار الله أنَّهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم، جملةٌ مستأنفةٌ مَسوقةٌ لبيانِ أنَّهم لا يتأثَّرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به، بل يستمرُّون على ما هم عليه من العناد والجحود والنكران [5].

---

(1) البحر المحيط، الفيروز آبادي، (ج495/1).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج24/14).

(3) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (ج 49/3).

(4) التفسير العظيم: ابن كثير، (ص1143).

(5) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبي السعود الحنفي، (ج265/6).

النوع الثالث عشر: مرض الغلظة:

الغلظ يعتبر من أمراض القلوب التي يترتب عليها النفور والصد، فطبيعة البشر وفطرتهم تميل إلى حُبِّ الرقة واللين والرأفة، وكل ذو طبعٍ فظٍ أو غليظٍ لا يجد من يلتف حوله أو يرغب في مخالطته، والنص القرآني أكد ذلك في قوله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** [آل عمران :159] الرحمة هي ربطه على جأشه وتوفيقه والتلطف، أما غلظ القلب قسوته[1]، وجفاؤه وصلابةٌ فيه، واللين مجازٌ في سعة الخلق مع أمة الدعوة والمسلمين، والصفح عن جفاء المشركين [2].

فهذا دليلٌ من القرآن على" وجوب التلطف مع الآخرين، والكلام موجهٌ إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد فطره الله على اللين والرحمة. وهذا من كمال ما وهبه الله لرسوله من الكمال الخلقي الذي هو قوام الأمر، فلو كان قاسياً جافياً لتفرقوا من حوله، وبناءً على ذلك فقد أمر بالعفو عن مسيئهم، والاستغفار لمذنبهم، ومشاورة ذي الرأي منهم" [3].

النوع الرابع عشر: مرض الزيغ:

الزيغ ميل القلوب عن الاستقامة وهو مرض خطير يوشك أن يودي بصاحبه إلى النار إن لم يُعد تعديل سلوك قلبه وتوجيهه إلى الوجهة الصحيحة فيقول الله ﷻ: **﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [التوبة: 117]، لقد رزق اللَّهُ الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمدًا ﷺ، والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام، وأنصار رسوله في اللَّه، الَّذين اتَّبعوا رسول اللَّه في ساعة العسرة منهم من النفقة والظَّهر والزاد والماء، من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشكُّ في دينِه ويرتاب بالَّذي ناله من المشقة والشدَّة في سفره وغزوه، ثمَّ رزقهم جلَّ ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينِه وإبصارِ الحقِّ الَّذي كان قد كاد يلتبس عليهم، إنَّه رحيمٌ بالَّذين خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة، رءوفٌ بهم، أن يهلكهم، فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في اللَّه ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من

---

(1) ينظر: الكشاف، الزمخشري،(ص202).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج145/4).

(3) أيسر التفاسير، أبي بكر الجزائري، (ج402/1).

البأساء والضَّراء.[1] فقد قربت قلوب المؤمنين على الزيغ لكنَّ الله سلم.

ثمَّ ذكر الله القلوب التي لا تهتدي فصفتها الزيغ فيقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:7]، في القرآن الكريم آياتٌ محكماتٌ هنَّ أُمُ الكتاب بينة وواضحة الدلالة لا التباس فيها، وأُخر متشابهات في الدلالة على بعض الناس، فأما الذين في قلوبهم ضلال وخروجٌ عن الحق يأخذون المتشابه الذي يمكنهم تأويله وتحريفه بحسب مقاصدهم الفاسدة، لاحتمال لفظه ويؤولونه حسب أهوائهم، أما المحكم فلا نصيب لهم فيه، لأنَّه دامغٌ لهم وحجةٌ عليهم، وكل ما يفعلونه ابتغاء الفتنة بالإضلال، وابتغاء تأويله لتحريفه، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه وحكَّم محكمه على متشابهه فقد اهتدى ومن عكس انعكس [2].

ثم ذكر "زيغ" القلوب في موضعٍ آخر في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف:5] "واذكر لقومك أيها الرسول حين قال نبيُّ الله موسى عليه السلام لقومه: لِمَ تؤذونني بالقول والفعل، وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم؟ فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به، وأصرُّوا على ذلك، صرف الله قلوبهم عن قَبول الهداية؛ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم، والله لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق"[3]، لقد آذوه وهم يعلمون أنَّه رسول الله، وهذا العلم موجبٌ للتعظيم والتوقير، لكنَّهم مالوا عن الحق، فأمال الله قلوبهم، والله لا يهدي من سبق في علمه أنَّه فاسقٌ، وهذا تنبيهٌ على عظيم إيذاء الرَّسول ﷺ حتَّى إنَّه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى وأنتم على علمٍ يقينًا لا شبهة لكم فِيهِ [4].

هذه جملةٌ من الأمراض التي تصيب القلوب، والتي من شأنها أن تقود صاحبها إلى التهلكة والخسران، ومع بشاعتها وفداحة النتائج المترتبة على استوطانها في القلب، إلا أنَّ الأمل في الشفاء منها قائمٌ، إذا خلصت النية، وقويت العزيمة، وأدرك صاحب القلب المريض الخطر

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري، (ج12/49-50).
(2) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ص ص349-350).
(3) التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، (ج1/551).
(4) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج29/528).

المحدق به وأراد أن يتوب إلى الله توبة صادقة فالله يغفر الذنوب جميعا ويقبل التوبةً فيقول: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى:25].

هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتمام لطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقلعون عن ذنوبهم ويندمون عليها، ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سبباً للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية، ويمحو الله السيئات ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريمًا، كأنه ما عمل سوءاً قط، ولما كانت التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة إليه والتوبة من التقصير[1].

---

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج758/1).

الفصل الثاني

وسائل شفاء القلوب وقواعد النجاة

المبحث الأول:
وسائل شفاء القلوب
المطلب الأول:
تدبر القرآن

أولاً: مفهوم التدبر لغةً واصطلاحاً:

1. التدبر لغةً:

أ- دَبَرَ: "الدال والباء وَالراء أصل هذا الباب وجلُّه في قياس واحد، وهو آخر الشيء وخَلْفُه خلاف قبله، والتَّدبير: أن يدَّبر الإنسان أمره، وذلك أَنَّه يَنظر إلى ما تصير عاقبته وآخره" [1].

ب- هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه، دبَّر الأمر نظر في عاقبته، واستدبره: رأى ما في عاقبته ما لم يرى في صدره[2].

2. التدبر اصطلاحاً:

أ- هو" إجراء الأمور على علم العواقب، وهو قريبٌ من التفكر إلا أنّهَ تصرف القلب بالنظر في العواقب، أما التفكر فهو تصرف القلب بالنظر في الدليل" [3].

ب- هو" تصرف القلب بالنظر في الدلائل، والأمر بالتدبر بغير فاء للسؤال في المقام، وبالفاء يكون بمعنى التقرير والتحقيق لما بعده" [4].

3. **التدبر عند المفسرين:**

أ- التدبر هو النظر في عواقب الأمور وأدبارها وكذلك التدبير[5].

ب-التدبير أن يدبر الإنسان أمره كأنه يتأمل إلى ما ستؤول إليه عاقبته[6].

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج324/2).

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (ج273/4).

(3) التعريفات، الجرجاني، (ص49).

(4) الكليات، للكفوي، (ص 287).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج151/10).

(6) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ج567/1).

ج- "أصله النظر في أدبار الأشياء، والتأمل في معاني القرآن، واستبصار ما فيه"[1].

د- التدبر مشتقٌ من الدبر أي الظهر، وهو النظر في عاقبة الأمور أوغائبها أوأدبارها [2].

هـ- هو النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء [3].

بعد عرض أقوال المفسرين أجدهم اتفقوا على أنَّ التدبر هو النظر في عواقب الأشياء وما ينتج عنها واستخلاص العبرة منها.

ثانياً: مفهوم تدبر القرآن:

تدبر القرآن: التأمل في معاني الآيات واستبصار ما فيها، والتفكر فيها لمعرفة ما يُدْبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة [4].

وهو: " التفكر في ما تئول إليه آيات القرآن، الجامع لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا يختل ونهج لا يمل"[5].

(والتعريف الذي تراه الباحثة مناسباً للتدبر هو: استحضار القلب وإعمال العقل وإمعان النظر في معاني الألفاظ القرآنية لاكتشاف الجواهر النفيسة، واللآلئ المنيرة في تلك الآيات ومدلولاتها الخفية).

بمجرد أن يمرض الإنسان يهرع إلى الطبيب، ليشخص حالته، ومن ثمَّ يصف له العلاج المناسب، وينصحه بعض النصائح التي من شأنها تخفيف معاناته، فلا يألو جهداً في تنفيذها؛ لأنَّه يريد أن يزيل عوارض ما ألم به من ألم، لكنَّ المشكلة تكمن في المرض الذي لا يصاحبه ألم، المرض الخفي الذي يستوطن القلب فيشوهه ويحدث خللاً في سلوكه، وانحرافاً في بوصلته، فلا سبيل للتخلص من هذا المرض وأعراضه، إلا بالرجوع لأصل الدواء: كتاب الله وسنة نبيه فهما الوحيدان القادران على انتشال القلب من وحل المعاصي والذنوب، فالقرآن فيه الشفاء والرحمة، قال تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً﴾** [الإسراء:82] فكيف يكون الشفاء دون الالتزام بالعلاج والتقيد بكل تعاليم الطبيب؟!.

---

(1) أنوار التنزيل، البيضاوي، (ج86/2).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج137/5).

(3) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (ج83/2).

(4) ينظر: أنوار التنزيل ،البيضاوي، (ج28/5)، (ج86/2).

(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (ج340/5)، (بتصرف).

لقد دعا القرآن صراحةً لتدبر القرآن فقال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِـنْ عِنْدِ غَـيْرِ اللَّهِ لَوَجَـدُوا فِيـهِ اخْتِلافـاً كَثِـيراً ﴾ [النساء:82] أي: "أيعرضون عن القرآن فلا يتدبرونه! ودلت الآية ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَـا﴾ [محمد:24] أيضاً على وجوب التدبر ليعرف معنى القرآن، فلو تدبروه حق تدبره لوجدوه مؤتلفاً غير مختلف، صحيح المعاني، سليم المباني" [1]، ولو كان مختلفاً أو مختلقاً كما قال جهلة المنافقين والمشركين لوجدوا تضاداً كثيراً فيه[2].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَـمْ يَـدَّبَّرُوا الْقَـوْلَ أَمْ جَـاءَهُمْ مَـا لَـمْ يَـأْتِ آبَـاءَهُمُ الأَوَّلِـينَ﴾ [المؤمنون:68]، بمعنى:" أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه، أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت آباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟ أم منعهم أنَّه غير معروف عندهم"[3]، يستنكر الله عليهم عدم تفكرهم في قوله وهو القرآن، فلو تدبروه لعلموا أنَّه الحق مِن رَّبِّهِمْ بإعجاز لفظه ووضوح مدلوله[4].

ثمَّ يصف الله المعرضين عن التذكرة فيقول تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنْ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَـأَنَّهُمْ حُمُـرٌ مُسْـتَنْفِرَةٌ * فَـرَّتْ مِـنْ قَسْـوَرَةٍ ﴾ [المدثر:49-51] أي: فما لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث والجزاء عن التذكرة التي يذكرون بها في آيات هذه السورة وغيرها معرضين، إنَّه أمر عجيبٌ أيُّ شيءٍ يجعلهم يعرضون عنها هاربين منها فارين، وقد شبَّههم الله بتشبيهٍ بليغٍ يُجسِّد حالهم المخزية، كأنَّهم حمرٌ وحشية هاربةً أشد الهرب من أسد من أسود الصحراء، إنَّ فرارهم من هذه الدعوة وإعراضهم عنها ليس لنقصٍ فيها أو خلل أضعف أدلتها وحججها، إنَّما لعنادهم واستكبارهم، فبواطنهم تأبى قبول الإيمان بأي حالٍ من الأحوال [5].

رابعاً: الهدف من تدبر القرآن:

إنَّ الفائدة المترتبة على التدبر أن يثمر في القلب زهرةً يانعةً من الإيمان الصادق، الذي يوجه صاحبه إلى تطبيق ذلك الإيمان تطبيقاً عملياً، وعليه أن يتعاهد تلك الزهرة حتى يستقر

---

(1) فتح القدير، الشوكاني، (ج314/5).

(2) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 510).

(3) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ج346/1).

(4) ينظر: أنوار التنزيل ، البيضاوي، (ج91/4).

(5) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج473/5).

جدرها في القلب، "وليس الغرض من التدبر مجرد الترف العلمي، والافتخار بتحصيل المعرفة، والتوصل إلى كشف المعاني للتعالي بمعرفتها واكتشافها، إنَّ ما وراء الفهم غرض التذكر والعظة والعمل بموجب العلم، وهذا المقصود لا يحظى به إلا أولوا الألباب وهم أهل العقول الحصينة، والأذهان النظيفة، والقلوب الشريفة"[1].

كما أنَّ تدبر القرآن يحتاج لقلوب ندية تنشرح عند تلاوته، وتتذوق حلاوته عند سماعه، فيتسلل من الآذان إليها مباشرة ويستقر فيها ويستنفر كل طاقة الجوارح للعمل بما جاء به، فقد أوصى الرسول ﷺ بحفظ القرآن :(**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَ الذِي نَفْسُ مُحمَدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبِلِ فِي عَقْلِهَا**)[2]، أي تفقدوه وراعوه بالمحافظة، وداوموا على دراسته، وتعاهدوه بالمواظبة على قراءته، لأنَّه أشّد ذهاباً وفراراً وتخلصاً من الإبل[3].

فالقرآن خطابٌ للقلب فيقول تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**﴾ [الشعراء:193-195] " و وجه تخصيص القلب بالنزول أنَّه أول مدرك من الحواس الباطنة"[4]، ولأنَّه "محل الوعي والتثبيت"[5]، وبما أنَّه أول مدرك من الحواس، فلابد له أن يكون متيقظاً، متدبراً.

والعيش مع القرآن الكريم بكل تفاصيله، والوقوف على أحكامه ومقاصده أنبل الغايات وأشرفها، فقد كان الصحابة ﷺ لا يجاوزون الآية حتى يتعلموا ما فيها ويعملوا بما نصت عليه، يعيشون مع القرآن أرواحهم وجوارحهم يستجمعونها في حالة فريدةٍ من حضور القلب فتتجلى لهم الحقائق، وتتضح المعاني، وتتدفق لهم العبرة منه كالشهد المنقطع النظير في الحلاوة .

فعن أُمِّ سلمةَ قالت: (**شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي، فَقَالَ: «طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ» فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ البَيْتِ، يَقْرَأُ: (بِالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُور**)[6].

---

(1) قواعد التدبر الأمثل، حبنكة، (ص 4).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضائل القرآن وما يتعلق به، 1/ 545: رقم الحديث:791.

(3) ينظر: شرح مشكاة المصابيح، العلامة القاري، (ج70/5).

(4) فتح القدير، الشوكاني، (ج1067/19).

(5) البحر المحيط ، الأندلسي، (ج 188/8).

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب سورة الطور، 140/6: رقم الحديث 4853.

فهذا نهج النبي ﷺ مع القرآن كما اقتدى به صحابته، وهذا سيدنا عمر رضي الله عنه "خرج يعس المدينة ذات ليلة، فمر بدار رجلٍ من المسلمين، فوافقه قائماً يصلي، فوقف يستمع قراءته فقرأ**(والطور)** حتى بلغ **﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ* مَالَهُ مِن دَافِعٍ﴾** [الطور:1-8] قال: قسم ورب الكعبة حقٌّ، فنزل عن حماره واستند إلى الحائط، فمكث ملياً ثمَّ رجع إلى منزله فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرآن)**[2] "وكانت عادة السلف رضي الله عنهم أجمعين أن يردد أحدهم الآية إلى الصباح لأنهم يعلمون أنَّ قراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب"[3].

فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه الله مباشرةً واعلم أنَّه خطابٌ منه لك على لسان النبيِّ ﷺ[4].

يقول تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾** [ق:37] "إنَّ فيه تذكرةً وموعظةً لمن كان له عقلٌ يتدبر به وكني بالقلب عن العقل لأنَّه موضعه" [5] فالذكرى تكون " لمن كان له قلبٌ أو اجتهد في إحضاره مع القرآن"[6]، ولا تنفع الذكرى إلا لصاحب القلب الحي الذي فرغ سمعه للقرآن فقط، وكان قلبه شاهداً غير غائب.

ثمَّ إنَّ قراءة القرآن للقلب مثلُ السقيا للنبات فهي لا تكون في حر الشمس فإنَّ هذا يضعف أثرها، خاصةً مع قلةِ الماء فإنّه يتبخر، وكذلك قراءة القرآن إذا كانت قليلة وفي وقت الملهيات والضجيج، فإنَّ ما يرد القلب يتبخر ولا يؤثر فيه[7]، لذلك وجب خلو النفس من كل الصوارف عن الفهم، ونقاء الذهن من كل سفاسف الأمور التي تشغل القلب عن التذوق ولا تجعله يتعدى كونه مستمعاً، فالقرآن أندى على الأكباد من قطر الندى وألذ في الأجفان من سنة

---

(1) التفسير العظيم، ابن كثير،(ص 1770).
(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ باب المسجد يكون في الطريق، 102/1: رقم الحديث 476.
(3) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، (ج236/1).
(4) ينظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية، (ص 3).
(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج23/17).
(6) فن تدبر القرآن، العويد، (ص27).
(7) ينظر: مفاتيح تدبر القرآن، خالد اللاحم (ص71).

الكرى يملأ القلوب بِشراً، ويبعث الفرائح عبيراً ونشراً يحييها بأوراده لذلك سماه الله روحاً[1].

لا يوجد شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بتدبرٍ وتفكرٍ، فإنَّه الجامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين، وهو الذي يورث صفات الكمال التي بها يحي القلب كالمحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر، ويزجر عن كل الصفات المذمومة التي تفسد القلب، فلو عرف المتساهلون ما في القرآن من خيرٍ عظيم وشفاءٍ لكل ذي داءٍ أوسقيم ما تركوا تدبره ولاشتغلوا به عما سواه [2].

إنَّ القرآن للقلوب خير دواء، وتدبر آياته من أعظم أسباب الشفاء يقول تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:29] أي أنزلنا إليك هذا الكتاب النافع للناس، المرشد لهم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم، في دينهم ودنياهم، الجامع لوجوه المصالح، ليتدبروه، ويهتدوا بهديه، ويسلكوا في أعمالهم ما أرشد إليه، ويذَّكروا مواعظه وزواجره، ويعتبروا بمن قبلهم فيمتنعوا عن مخالفته، حتى لا يحل بهم مثل ما حل بالغابرين، ويستأصلهم كما استأصل السابقين، ممن بغوا في الأرض فساداً، وما تدبّره بحسن تلاوته وجودة ترتيله، بل بالعمل بما فيه، واتباع أوامره ونواهيه [3].

وتأثر نفوس المؤمنين بالقرآن" إنَّما يحصل بمعانيه لا بأنغامه، وبمن يتلوه من العاملين به، لا بمن يجودّه من المحترفين له، ولقد زلزل المؤمنون بالقرآن الأرض يوم زلزلت معانيه نفوسهم، وفتحوا به الدنيا يوم فتحت حقائقه عقولهم، وسيطروا به على العالم يوم سيطرت مبادئه على أخلاقهم، وبهذا فقط و لا شيء سواه يعيد المسلمون التاريخ إلى سيرته الأولى" [4]؛ لأنَّ القرآن هو معلِّم هذه الأمة ومرشدها ورائدها وهو الذي يكشف عن حال أعدائها معها وعن تاريخهم، ولو ظلت هذه الأمة تستشير قرآنها وتسمع توجيهاته، وتقيم قواعده وتشريعاته، ما استطاع أعداؤها النيل منها ولكنها حين نقضت ميثاقها مع الله واتخذت القرآن مهجوراً أصابها ما أصابها [5].

---

(1) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (ج5/1).

(2) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (ج236/1).

(3) ينظر: تفسير المراغي، (ج116/23-117).

(4) هكذا علمتني الحياة، السباعي، (ص 248).

(5) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج859/2).

خامساً: ثمار التدبر:

قد يظن البعض أنَّ مجرد تلاوته للقرآن تكفيه وتسد حاجته، وتسقي رمق جهله فيغفل عن الخير الكثير الموجود في الآيات القرآنية، فمن فوائد التدبر:

1- شفاء القلوب من الأمراض والعلل.

2- البكاء والخشوع.

3- طهارة القلب، وتزكية النفس [1].

4- مفتاح لكنوز السعادة والعلوم النافعة.

5- تثبيت قواعد الإيمان في القلب.

6- معرفة عدل الله وفضله.

7- معرفة مفسدات الأمور ومصححاتها [2].

8- حصول اليقين الجالب الدافع للعمل.

9- تحقيق صحة الأعمال وقبولها [3].

إنَّ أهم ثمرات التدبر شفاء القلوب من جميع العلل والأسقام، فمن يحرص على أن يكون بينه وبين القرآن وصالٌ لا ينقطع، واشتياق له غير ممتنع، وفهمٌ لمعانيه بعقلٍ ذو رويةٍ غير مندفع، فإنَّه لا يجد مشقةً في عبادة، ولا عنتاً في طاعة، ولا حرجاً في ترك معصية، فإذا انتفع القلب بما يقرأ ويتلو لن تجد الأمراض إليه سبيلاً، فيكون ذاك القلب مخلصاً لدينه، عادلاً في حكمه حافظاً لحدود الله وشرعه.

---

(1) أفلا يتدبرون القرآن، العمر، (ج185/1-190).

(2) ينظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (ج449/1).

(3) ينظر: هكذا عاشوا مع القرآن، أسماء الرويشد، (ص ص 35-37).

المطلب الثاني

تقوى الله

أولاً: مفهوم التقوى لغةً واصطلاحاً:

1. التقوى لغةً:

أ- وقى:" كلمة واحدة تدل على دفع الشيء بشيءٍ غيره" [1].

ب- الوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، والتقوى جعل النفس في وقايةٍ مما يخاف، ثم صارت التقوى في عرف الشرع حفظ النفس عما يؤثم [2].

ت- هي الخشية والخوف وهي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه [3].

ث- "هي عصمة النفس عن ما يعاقب عليه من فعلٍ أو تركٍ، وأصل الاتقاء الحجز" [4].

2. التقوى اصطلاحاً:

أ- " الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعلٍ أو تركٍ، وفي الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر" [5].

ب- إنَّ أجمع وأعم ما قيل في معنى التقوى هو اتخاذ وقاية من عذاب الله، وذلك بفعل أوامره عز وجل واجتناب نواهيه. وقال البعض: أن تعمل بطاعة الله على نورٍ منه ترجو الثواب، وتترك معصية الله على نورٍ منه تخشى العقاب [6].

ثانياً: مفهوم تقوى الله:

(لقد وجدت الباحثة أنّ التقوى صيانةٌ وعنايـة، واحترازٌ وحمايـة، من اتبـاع مـا يوقـع القلب في الإثم أو الغواية، وهذا يتحقق بالتزام أوامر الله واتباع سبل الهداية).

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج131/6).

(2) المفردات، للأصفهاني، (ج688/1).

(3) المعجم الوسيط، مصطفى، (ج1052/2).

(4) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم، (ج47/1).

(5) التعريفات، الجرجاني، (ص:58).

(6) ينظر: فوائد التقوى، العلامة ابن عثيمين، (ص 6).

ثالثاً: مراتب التقوى:

1. التوقي من العذاب المخلد صاحبه، وذلك بالتبري من الكفر كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الفتح:26].
2. التجنب عن كل ما فيه لوم حتى الصغائر، وهذا المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة:65].
3. أن يتنزه العبد عن كل ما يشغل سره عن الحق، كما قال الحق: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:102] [1].

رابعاً: أوجه التقوى في القرآن [2]:

1. **الخشية** وذلك بقوله تعالى: ﴿ يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:1] بمعنى اخشوا الله .
2. **العبادة** كما في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل :2] أي اعبدوني وأخلصوا لي.
3. **ترك المعصية** يقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:189].
4. **التوحيد** كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾ [النساء :131].
5.

---

(1) ينظر: من وصايا الرسول الكريم، العفيفي، (ج89/2).

(2) ينظر: الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص 494) .

إنَّ وسيلة الشفاء الثانية هي تقوى الله، فلا سبيل لشفاء القلب إن خلى من التقوى فأي دواءٍ للقلب لابد له من أن تتخلل تركيبته التقوى حتى تسهم في إنجاح العلاج، والتأثير على المرض والقضاء عليه، فمن أراد أن يتخلص من أمراضٍ استحلت قلبه وعاثت فيه الفساد فعليه بالتقوى، لأنَّها قيدٌ وثيق، وضابطٌ أساسيٌّ لحماية القلب وصيانته عن الزيغ، وكفيلٌ شرعيٌّ يضمن السلامة والنجاة يقول تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:102].

يأمرنا الله بالتقوى واستفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن محارمه قدر المستطاع[1]، ولقد ورد في التقوى آثارٌ عديدة بينت فضلها وأهميتها فعن مالك بن أنس ﷺ قال:" بلغني أنَّ رجلا من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير رضي الله عنهما:(ألا إنَّ لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من رضي بالقضاء وصبر على البلاء وشكر على النعماء وصدق في اللسان ووفى بالوعد والعهد وتلا لأحكام القرآن، وإنما الإمام سوق من الأسواق، فإن كان من أهل الحق حمل إليه أهل الحق حقهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم" [2]، فإذا لاحظنا الأمور المذكورة من رضى بالقضاء، والصبر والشكر والصدق والوفاء بالوعد كلها صفات لا تتوافر إلا في أصحاب القلوب السليمة التي بدورها لا تكون سليمة إلا بالتقوى التي محلها القلب ابتداءً، كما بين النبي ﷺ فقال:(**التَقْوَى هَاهُنَا**) وأشار إلى صدره[3].

رابعاً: منزلة التقوى:

التقوى محلها القلب فهي بمثابة شجرةٍ فيه إذا أينعت غمرت بركة ثمارها ذلك القلب في الدنيا والآخرة، فهي مفتاحٌ لكل خير ومنبعٌ لكل فضل وقد بين المولى ﷻ منزل التقوى في كتابه المنزه فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحجرات:3] أي:" جرّبها للتَّقوى ومرَّنها عليها أو عرفها كائنةً للتَّقوى خالصةً لها فإنَّ الامتحان سببُ المعرفةِ، واللامُ صلةٌ لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصلِ أوْ ضربَ قلوبَهُم بضروبِ المحنِ والتكاليفِ الشاقَّةِ لأجلِ التَّقوى فإنَّها لا تظهرُ إلا بالاصطبارِ

(1) ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (ج31/2).
(2) جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري، (ج703/11-704).
(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم، 1986/4: رقم الحديث 2564.

عليه"[1]، وامتحان الله لقلوبهم لتكون فيها التقوى، أي ليكونوا أتقياء، ويجوز أن يجعل الامتحان كنايةً عن تمكن التقوى من قلوبهم وثباتهم عليها" [2].

ويقول تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج:32] ذلك ومن يعظم شعائر اللَّهِ أي: "دين الله أو فرائض الحج ومواضع نسكه، أو الهدايا لأنَّها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده، وتعظيمها أن تختارها حساناً سماناً غالية الأثمان، وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور أو الآمرة بهما"[3]؛ ولأنَّها المقر الرئيس للتقوى التي إذا رسخت فيها، وتأصلت ظهر أثرها في سائر الأعضاء [4].

يتضح من خلال هاتين الآيتين منزل التقوى ومستودعها ومستقرها ومخدعها، ومحل التمحيص ونظر الله ﷻ ، فمنزل التقوى كائنٌ في القلب، وهذا يدفع المؤمنين للاهتمام بإصلاح قلوبهم، عن طريق زيادة الطاعة والإخلاص فيها، وتصفية القلوب مما يفسدها ويطمس نورها [5]، لقد أُثر عن النبيّ ﷺ دعاؤه بالتقوى وهو المتصف بكل صفات الرفعة والسمو، فعن ابن مسعود ؓ أنَّ النبيَّ كان يقول: "**اللهمَّ إنّي أَسأَلُكَ الهُدَى، وَالتُقى، وَالعَفَافَ وَالغِنَى**" [6].

ولما كانت التقوى من ركائز الإيمان أوصى بها النبيُّ ﷺ فعن أبي ذرٍّ قال:" قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**)[7] وهي وصية الصحابة من بعده، فعمر بن الخطاب عندما طُعن وأوشك على الموت أوصى الخليفة الذي بعده فقال: " أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله والمهاجرين الأولين أن يحفظ لهم حقهم، وأن يعرف لهم حرمتهم وأوصيه بأهل الأمصار خيراً...." [8]، وكان عمر ؓ قد كتب إلى ابنه عبد الله " أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله ﷻ فإنَّ من اتقاه وقاه، ومن أقرضه

---

(1) إرشاد العقل السليم، أبو السعود (ج117/8).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج223/26).

(3) أنوار التنزيل ، البيضاوي، (ج71/4).

(4) ينظر: الكشاف، الزمخشري،(ص695).

(5) ينظر: التقوى في القرآن، الدبيسي، (ص68).

(6) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب، التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، 2087/4: رقم الحديث 2721.

(7) الجامع الكبير، الترمذي، أبواب البر والصلة/ باب ما جاء في معاشرة الناس، 423/3: رقم الحديث 1987. وهو حسن صحيح.

(8) تاريخ الفاروق، رضا، (ص 323).

جزاه، ومن شكره زاده، فاجعل التقوى نصب عينيك، وجلاء قلبك"[1]، وقد نزل قرآن في الصحابي الجليل أبي بكر ﷺ فيقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى*وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى*إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى*وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل:17-21]، أي: "سيوقى صليَّ النار التي تلظىَّ التقيُّ"[2]، الذي بدل ماله في وجوه الخير واتقى محارم الله التي نهى عنها وهو المتقي للكفر اتقاءً بالغاً [3]، الَّذي يصرف ماله في مصارف الخير وقوله:(**يتزكّى)** فإنه بدل من يؤتي، أو حال من فاعله، إلَّا ابتغاء وجه ربّه الأعلى استثناء منقطع أو متصل عن محذوف مثل لا يؤتى إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمه، ولسوف يرضى فقد وعد بالثواب الذي يرضيه. والآيات نزلت في أبي بكر ﷺ حين اشترى بلالاً في جماعة تولاهم المشركون فأعتقهم[4].

وقد قال أبو قحافة [*] لأبي بكر:" أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك يا بني، فقال إني إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه فأما من أعطى واتقى إلى أخر السورة.

وعن أبي الدرداء قال :" وتمام التقوى أن يتقي الله عز وجل العبد حتى يَّقيه في مثل مثقال ذرةٍ، حتَى يترك بعض ما يرى أنَّه حلالٌ خشيةَ أَن يكون حرامًا، يكون حاجزًا بينه وبين الحرام، إنَّ الله تعالى قد بيَّن لعباده الَّذي هو يصيِّرهم إِليهِ" [5] هذه كانت منهجية السلف الصالح التي تدعو إلى التقوى وتركز عليها بشكل أساسي لأنَّها سبيل النجاة.

---

(1) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (ص406).

(2) جامع البيان، الطبري، (ج24/ 478).

(3) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ص ص1629-1630).

(4) أنوار التنزيل، البيضاوي، (ج318/5).

(*) أبو قحافة، هو عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، بن مرة بن كعب بن لؤي،بني غالب يجتمع مع النبيِّ ﷺ في مرة بن كعب، ينظر: الروض الأنيق في سيرة أبي بكرٍ الصديق، محمد حامد محمد (ص:5) أسلم أبو قحافة يوم الفتح وكان كفيفاً، فلمَّا كان فتح مكة دخل النبيُّ ﷺ مسجد مكة، فأخذ أبو بكر والده إلى المسجد فرآه النبيُّ ﷺ فقال: هلا تركت الشيخ في بيته وأنا آتيه، فقال أبو بكرٍ:هو أحق أن يأتي إليك من أن تمشيَ إليه، فمسح النبيُّ صدر أبو قحافة وقال : أسلم فأسلم، توفي بعد ولده أبو بكر في الرابع عشر من محرم وعمره سبعٌ تسعون سنةً. ينظر: أبو بكر الصديق، علي طنطاوي،(ص ص54-57).

(5) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، (ج212/1).

خامساً: أهمية التقوى:

تكمن أهمية التقوى في كونها:

1. الهدف الأساسي الذي قامت عليه دعوة الرسل، فقد كلفهم الله بهداية الناس، وتصحيح اعتقادهم، فأخبر بذلك في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:124-127]، هذه بداية قصة هود ﷺ، حين كذَّبت قبيلته قبيلة عادٍ بدعوته، فاستنكر عليهم ذلك بقوله أفلا تتقون عقاب الله بتركِكم المعاصي والشرك! ثمَّ يخبرهم بأنَّه رسول الله إليهم مبلغهم ما أمر به الله وما نهى عنه وما يترتب على ذلك من التزامهم للتقوى والطاعة [1]، والأمر بالتقوى والإطاعة ونفي سؤال الأجر في كل قصص الأنبياء الواردة في الآية، وافتتاحها بذلك للتأكيد على أن أصل البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق، ولزوم الطاعة التي تصل بالمدعو إلى بر الأمان، والأنبياء ﷺ متفقون على ذلك وإن اختلفوا في بعض فروع الشرائع باختلاف الأزمنة، وهم منزهون عن المطامع الدنيوية بالكلية [2]، فهذه الآيات وأمثالها تدلل على أنَّ التقوى أساس الإيمان وأصل دعوة الرسل التي لم تكن بمقابلٍ ولا أجرٍ، وإنَّما كان هدفها النصح والإرشاد.

2. الأمر بها كان عاماً لجميع الأمم كما في قوله: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ [النساء . 132] وقال بعض أهل العلم:" هذه الآية هي رحى آي القرآن كله؛ لأنَّ جميعه يدور عليها"[3]، فهي وصية الله للأولين والآخرين.

لقد أوصى الله الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى بالتقوى، وجعل الأمر بها وصيةً، لأنَّ الوصية قولٌ فيه أمرٌ بشيءٍ نافعٍ جامعٍ لخيرٍ كثير، فالتقوى تجمع الخيرات؛ لأنَّها امتثال للأوامر واجتناب للنواهي، والقصد من تذكير المسلمين بوصية الله لهم بالتقوى إلهاب هممهم بتقوى الله لئلا تفضلهم سابقاتهم من الأمم [4].

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير، أبوبكر الجزائري، (ج667/3).

(2) ينظر: روح المعاني، الألوسي (ج107/10).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج170/7).

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج220/5).

3. التقوى معيار التفاضل بين الناس قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:13] فتظهر أهمية التقوى في أنَّها مقياس التسوية بين الناس، إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى يعني آدم وحواء أي إنَّكم متساوون في النسب، وجعلناكم شعوباً وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة والأوس والخزرج، وقبائل وهي دون الشعوب، ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده لا لتتفاخروا، ثمَّ أخبرهم أنَّ أرفعهم منزلةً عند الله أتقاهم[1]، وقيل:" حد التقوى أن يجتنب العبد المناهي ويأتي بالأوامر والفضائل ولا يغتر ولا يأمن فإن اتفق أن يرتكب منهيا لا يأمن ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر عليه توبة وندامة ومن ارتكب منهياً ولم يتب في الحال واتكل على المهلة وغره طول الأمل فليس بمتق لأن المتقي لم يترك ما أمر به ويترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فإن التفت لحظة إلى نفسه وأهله وولده جعل ذلك ذنباً واستغفر منه وجدد له توبة" [2].

4. وصف الله التقوى باللباس ومن المعلوم أنَّ اللباس يواري السوءات فلا يستغنى عنه، فيقول تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:26]، يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولباسًا للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم، ولباسُ تقوى الله تعالى الذي يتحصل عليه العبد بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباسٍ للمؤمن، وكل دلائل الربوبية التي منَّ الله بها على عباده؛ لأجل أن يتذكروا هذه النعم ويشكروا الله عليها [3]، ولباس التقوى في معناه أقوال: ما يلبسه المتقون يوم القيامة، وقيل الإيمان، أو العمل الصالح، أو السمت الحسن وخشية الله [4]، وامتنانهُ تعالى على بَني آدم بلباس الزينَة يدلُّ على استحبابها، ولا يعارضه قولهُ تعالى في أوائل سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:7]، إنَّ البشر بطبيعتهم يميلون إلى حبِّ الزينة، فهي غريزة تسكن في نفوسهم" فجمهورُ مُفسري السَّلف على أنَّه اللباسُ المعنويُّ المجازيُّ وجعله بعضهم من اللباس الحسّي الحقيقيِّ، كلباس

---

(1) ينظر: معالم التنزيل، البغوي، (ج265/4).

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (ج184/4).

(3) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، (ج153/1).

(4) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ص750).

الحرب: الدرع والآلات التي يُتقَى بها العدو، ولا مانع من استعمال التقوى هنا فيما يعمُّ هذا وذاك، أي تقوى الله بالإيمان والعمل وتقوى فتك العدو بلبس الدرع ونحوه" [1]، وفي هذه الآية بلاغة متمثلةً في قوله:"(**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**) حيث كان من الممكن تأخير الجملة، بحيث يقال: قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ذلك من آيات الله ولباس التقوى ذلك خير، وإنَّما جنح إلى ما كان يجوز تقديمه ليحصل في نظم الكلام نوعٌ من المحاسن يقال له التعطّف، وذلك مجيء الكلام مستهلاً بذكر اللباس كما استهله في أوله وتفادياً من أن يفصل بين الآيات التي يلائم بعضها بعضاً بألفاظٍ من غير جنسها" [2].

5. التقوى زاد الإنسان المؤمن، إنَّ الشيءِ المهم الذي يحافظ على بقاء الإنسان واستمراريته هو الزاد الذي به يقوى الجسد، أمَّا إذا احتاجت الروح زاداً فزادها التقوى فقال تعالى: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة:197] ذكر الطبري في تفسيره عدَّة رواياتٍ لسبب نزول هذه الآية منها:" أنَّ أُناساً من أهل اليمن كانوا يحجون دون زادٍ فأمرهم الله أن يتزودوا، وقيل: كانت قبائل العرب يحرّمون الزاد إذا خرجوا حُجاجاً أو عُماراً، لأن يتضيّفوا الناس فنزلت الآية، والمعنى وتزودوا من أقواتكم ما فيه بلاغكم إلى أَداء فرض ربّكم عليكم في حجكم ومناسككم، فإنَّه لا بر للّه جلَّ ثناؤه في تركَكم التزود لأنفسكم ومسألتكم النَّاس، ولا في تضييع أقواتكم وإفسادها، ولكن البر في تقوى ربكم باجتناب ما نهاكم عنه في سفركم لحجكم وفعل ما أمركم به" [3]، ويذكر الرازي في الآية قولان: **أحدهما**: أنَّ المراد وتزودوا من التقوى ودليله (**فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**) **والقول الثاني**: هو نفس ما ذكرناه في أسباب نزول هذه الآية، ويوضح الرازي حقيقة الأمر بأنَّ الإنسان له سفران: سفرٌ في الدنيا وسفرٌ من الدنيا، فزاد السفر الأول الطعام والشراب، وزاد السفر الثاني معرفة الله ومحبته ويتفاضل هذا الزاد عن سابقه بعدَّة وجوه:

الأول: زاد الدنيا يخلص العبد من عذابٍ موهوم ومنقطع، أما زاد الآخرة فينجي من عذابٍ دائم.

الثاني: زاد الدنيا قد يوصل إلى لذّةٍ ممزوجةٍ بالآلام، أمَّا زاد الآخرة يوصل إلى لذّاتٍ باقيةٍ آمنةٍ.

---

(1) ينظر: تفسير المنار، رضا، (ج8/320-321).

(2) إعراب القرآن، درويش، (ص333).

(3) جامع البيان، الطبري، (ج3/498-500).

الثالث: زاد الدنيا يوصل للدنيا وهي ومنقضيةٌ، أمَّا زاد الآخرة فيوصل للآخرة وهي باقيةٌ ودائمة.

الرابع: زاد الدنيا غايتة الملذات، أمَّا زاد الآخرة غايته النجاة[1].

يتضح من خلال ما سبق أنَّ خير الزاد التقوى ويؤكد أهميتها ختمه لهذه الآية بالتأكيد عليها فيقول تعالى:(**وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ**) لمَّا قامت الحجة على أولوا الألباب، الذين قابلوا أمر الله بالاستجابة له ونهضوا به تصديقاً وعملاً، خصَّهم الله بالخطاب، فيكون اللُّب في هذه الحالة لب التجارب، وإن اعتبرناه لُب التكليف فالنداء يحمل على العموم لجميع المكلفين [2].

سابعاً: فوائد التقوى:

1. هي سبب الهداية، كما في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة:2].
2. هي سبب للفلاح، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة:189].
3. فيها حسن العاقبة بالنجاة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [النمل:53].
4. ومن يتوفى على التقوى يتوفى على أحسن الأحوال، يقول تعالى: ﴿ **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ**﴾ [النحل:31].
5. تكفير السيئات، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [المائدة:65].
6. تفريج الكربات، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾ [الطلاق: 5].

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب، (ج5/320-321).

(2) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (ج1/273-274).

7. تحصيل الأمن، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:120].

8. سبب نيل الرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد:28].

9. والوقاية من الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنْ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:201].

10. سبب لولاية الله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:19] (1).

إنَّ التقوى صفةٌ مهمةٌ لسلامة الدرب والنجاة من كل كرب، والحديث عنها يحتاجُ لبحثٍ مستقلٍ ومنفردٍ، لقد توصلت الباحثة إلى نتيجةٍ مهمةٍ وهي أنَّ التقوى كالروح للجسد، وحاجتنا إليها كحاجة الأرض لنور الشمس، وحاجة الليل لضياء القمر، فلا أتخيل أنَّ إنساناً ينسب نفسه إلى الإسلام متجردٌ من هذه الصفة، فهي كالدواء الواقي من أمراض القلب الخبيثة وآفاته المريبة.

المطلب الثالث

الاحتراز عن المعاصي

أولاً: مفهوم الاحتراز لغةً واصطلاحاً:

1. الاحتراز لغةً:

أ- حَرَزَ: "الحاء والراء والزاي أصلٌ واحد، وهو من الحفظ والتحفظ" (2).

ب- الْحِرْزُ: "الموضع الحصينُ، يقال: هذا حرزٌ من كذا وتحرز منه أي توقَّاه" (3).

(1) ينظر: فوائد التقوى، العثيمين، (ص ص10-30).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج38/2).

(3) مختار الصحاح، الرازي، (ج70/1).

ت- الحِرْزُ: "المكان الذي يحفظ فيه، ويجمع على أحراز" [1].

ث- الاحتراز بمعنى:" التحفظ" [2].

2. الاحتراز اصطلاحاً:

أ- "بذل الجهد والأخذ بالأسباب التي تنجي من المكروه، والمحترز كالمتأهب للقاء عدوه، المعِّد لأسباب النجاة"[3].

ب- "الاحتراز هو رجاء السلامة"[4].

ثانياً: مفهوم المعصية لغةً واصطلاحاً:

1. المعصية لغةً:

أ- "عَصَوَى: العين والصَّاد والحرف المعتلُّ أصلان صحيحان، إلا أَنَّهما متباينان يدلُّ أحدهما على التَّجمُّع، ويدل الآخر على الفرقة وهو: العصيانُ والمعصيةُ يقال: عصى، وهو عاصٍ، والجمع عُصَاةُ وعاصون " [5].

ب- عصى: "العبد مولاه عصيً ومعصيَّةً"[6].

2. المعصية اصطلاحاً:

أ- مخالفة الأمر قصداً[7].

ب- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "المعصية هي مخالفة الأمر الشرعي، فمن خالف أمر الله الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه فقد عصى" [8].

---

(1) المصباح المنير، الفيومي، (ج129/1).
(2) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي،(ص 40).
(3) الروح، ابن القيم، (ج237/1).
(4) روضة العقلاء، ابن حبان، (ج216/1).
(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج334/4-335).
(6) المصباح المنير، الفيومي، (ج414/2).
(7) التعريفات، الجرجاني، (ص187).
(8) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج269/8).

ت- وقيل: "المعاصي هي ترك المأمورات، وفعل المحظورات، أو ترك ما أوجب وفُرض من كتابه أو على لسان رسول ﷺ وارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة" [1].

ثالثاً: مفهوم الاحتراز عن المعصية:

(من خلال النظر في التعريفات اللغوية والاصطلاحية، تجد الباحثة أنَّ الاحتراز عن المعاصي هو بذل الجهد واستفراغ الوسع في اجتناب كل المحظورات والممنوعات من قولٍ أو فعلٍ رجاء السلامة والنجاة).

إنَّ المعاصي" بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، ومثل الفساد في الزرع، فإذا استفرغ البدن من الأخلاط الرديئة كاستخراج الدم الزائد، ينمو البدن، وكذلك القلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته حيث عمل عملاً صالحً وآخر سيئاً، فإذا تاب من الذنوب تخلصت قوة القلب وإرادته للأعمال الصالحة واستراح القلب من تلك الحوادث الفاسدة التي كانت فيه" [2] وشهوات النفس وطبائعها المنحرفة منشأها إما الجهل، وإما الضعف؛ لأنَّ اقتراف الذنب يكون لإحدى سببين إمَّا عن جهلٍ بآثاره وموجباته أوعن معرفةٍ بها، لكن الضعف والعجزُ يحول دون محوه من القلب بالكلية [3].

وقد بين النبيُّ ﷺ أنَّ الطرق أمام الإنسان واضحةٌ وبينة ولا مجال للتيه أو الضياع فيها، إلاَّ من أبى ذلك باختياره، فقال رسول اللَّه ﷺ: **(الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ)** [4].

---

(1) المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، المصلح، (ص28).

(2) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية، (ص118).

(3) ينظر: التوبة إلى الله ، السدلان (ص 38).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب من استبرأ لدينه، 209/1: رقم الحديث 52.

ثالثاً: منشأ المعصية:

منشأ المعصية يعود لأول ذنبٍ عُصي الله به في السماء وهو حسد إبليس لآدم عليه السلام ، وأول ذنب عُصي الله به في الأرض حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله [1]، فعن النبيِّ ﷺ، قَالَ: **(لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا)**[2].

ولقد كانت عاقبة معصية آدم عليه السلام الخروج من الجنة إلى دار الآلام والحزن، والحرمان من دار اللَّذة والنَّعيم، أمَّا إبليس فقد طُرد ولُعن ومُسخ وباتت صورته أقبح صورة، وبُدِّل بالقرب بعداً، وبالرحمة لعنةً، وبالإيمان كفراً [3].

لقد استخدم القرآن عدَّة أساليب ليحذر من المعصية مبيناً العقوبة المترتبة على مقترفها ومؤكداً أنَّ باب التوبة مفتوح، ولا يحتاج إلا لنيةٍ صادقةٍ للدخول منه، وعزيمةٍ قويةٍ لمواجهة كل المعيقات الحائلة دون اجتيازه.

وقد جاء في السنة ما يؤكد ذلك فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ)** [4]، فتظهر من خلال هذا الحديث حكمة الله جليةً للعيان لا شك فيها تبين أنَّ سنته ﷻ في الكون تقتضي من بني آدم الخطأ أو الزلل واقتراف بعض المعاصي، ثمَّ التوبة إلى الله والاستغفار، إنَّه هو الغفور الرحيم.

رابعاً: مظاهر الأسلوب القرآني في التحذير من المعصية [5]:

أ- حكاية القرآن حال المشركين وبيان حججهم والرد عليها كما في محكم تنزيله: ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ** ﴾ [الأنعام:148] "هذه مناظرة ذكرها الله وشبهةٌ تشبَّه بها المشركون

(1) ينظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي،(ص 278).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الديات/ باب قوله تعالى: ومن أحياها)، 3/9: رقم الحديث 6867.

(3) ينظر: الجواب الكافي، ابن القيم،(ص 100).

(4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة/ باب سقوط الذنوب بالاستغفار، 2106/4: رقم الحديث 2749.

(5) ينظر: منهج القرآن في تقويم سلوك العصاة: شادي ناقرو، (ص ص 61- 66).

في شركهم وتحريم ما حرموا فإنَّ الله مطلعٌ على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرَّموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أنَّه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك، وهذه حجة داحضة وباطلة، لأنَّها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأذاقهم من أليم الانتقام" [1]، وما تتبعون في ذلك إلا الظن وأنتم تكذبون على الله تعالى، وفيه دليل على المنع من اتباع الظن[2].

ب- سنن تحصيل الهداية من محاربة الشهوات وإصلاح الباطن، كما في قوله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69]** الذين أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة **(فينا)** أي في شأن مرضاة الله، ورجاء ما عنده من الخير، وقيل في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصاً، ومراقبتنا خاصةً للزوم الطاعات من جهاد الكفار، وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل، في الشدة والرخاء، ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن، وشدائد المحن مستحضرين لعظمتنا، لنهدينهم سبل السير والطريق الموصل إلينا، وقيل: لنزيدهم هدايةً إلى سبل الخير وتوفيقاً [3].

ت- الترهيب من المعصية وما يترتب عليها من أثر كما في قوله تعالى: **﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ*أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:45-47]** تتحدث هذه الآية عن تخويف المشركين وتذكيرهم لعلهم يرجعون عن الجحود والشرك وظلم المؤمنين وتعذيب بعضهم، وتستنكر عليهم كيف أمنوا عقاب الله أن يخسف بهم الأرض أو يأخذهم بما لا يتوقعونه من ريحٍ عاصف أو قحطٍ يذهب بمالهم[4].

ث- الترغيب في ترك المعصية وفتح أبواب التوبة يقول الحق تعالى: **﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** [الزمر:53]، على عادة هذا الكتاب المجيد فإنَّه يداوي النفوس بمزيجٍ من الترغيب

---

(1) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص 731).

(2) ينظر: أنوار التنزيل ، البيضاوي، (ج188/2).

(3)ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبي الطيب القنوجي، (ج219/10).

(4) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج122/3-123).

والترهيب، فقد أطنبت آيات الوعيد في الآيات السابقة من السورة إطناباً يبلغ من النفوس مبلغ الرعب والخوف وقد يبلغ بهم مبلغ اليأس من سعيٍ ينجيهم من وعيدها، فأعقبها الله ببعث الرجاء في نفوسهم للخروج إلى ساحل النجاة [1].

ج- التحذير من الشيطان وعاقبة إتباعه قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [فاطر:6]، أي فعادوه ولا تطيعوه، ويدلكم على عداوته إخراجه أباكم من الجنة وضمانه إضلالكم كما قال تعالى: ﴿ **وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ** ﴾ [النساء:119]، فهو عدوٌّ مبين والله اقتص علينا قصته وما فعله بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوتنا وغزونا من قبل وجودنا ومن بعده [2].

خامساً: أثر المعصية على الأمم السابقة[3]:

لقد كان للأمم السابقة نصيبٌ مما اقترفت، فكل أمَّة استكبرت وكذبت وأفسدت بعد ما جاءها برهان الله ودليله، وبعد إقامة الحجة عليها استحقت أن تنال عقوبة الله، وفيما يلي بعض آثار المعصية على الأمم السابقة:

1. إغراق فرعون وزبانيته بعد أن طغى وتجبر في الأرض وعاث فيها الفساد، أصابته اللعنة في الدنيا، فيقول الله تعالى: ﴿ **وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر:45]، فقد أغرقه، أمَّا عقابه في الآخرة فهو كما قال تعالى: ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ [غافر:46]، لقد أصابهم الغرق أولاً وهلكوا، ثم يعذبون في قبورهم حيث النار، يعرضون عيها صباحاً ومساءً إلى وقت الحساب، ويوم تقوم الساعة يقال: "أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء" [4].
2. أقوام صالح وشعيب وهود ونوح ولوط عليهم السلام، فقد جاء في كتاب الله المنزه قوله: ﴿ **وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ** ﴾ [هود:67] لقد أتاهم العذاب صيحةً واحدةً في يوم نحس " فأخذتهم رجفةٌ شديدةٌ زلزلت بهم الأرض، وصاعقةٌ محرقةٌ من فوقهم وصيحة واحدة مفزعةٌ قطعت نياط قلوبهم، وتركتهم أجساداً بلا أرواح وبقيت مساكنهم عبرةً

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج39/24).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج347/17).

(3) ينظر: منهج القرآن في تقويم سلوك العصاة، شادي ناقرو، (ص ص9-10).

(4) التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، (ص472).

للمعتبرين"[1]وكذلك قوم لوط إذ قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ* مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:81-83]" كان عذابهم بألوان من أشد العذاب إذ قلب الله قراهم فجعل عاليها سافلها ورافق ذلك صيحةً عظيمةً ومطرٌ بحجارةٍ من سجيل فأبيدوا عن آخرهم" [2]، وليس حال قوم شعيب عليه السلام بأفضل حال، فأخبر الله عنهم في قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود:94].

3. أثر المعصية على بني إسرائيل الذين بعث الله لهم سيدنا موسى ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد فضلهم الله عز وجل على العالمين إذ قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:47] أي: فضلت آباءكم بإنزال الكتاب عليهم وإرسال الرسل فيهم وبأن جعلتهم ملوكًا، وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يتبدلوا، ومن المعلوم أنَّ تفضيل الآباء شرف للأبناء [3]وإغراق عدوهم فرعون في البحر الذي عبروه، ومع عظم هذا التكريم إلا أنَّهم طغوا وصنعوا عجلاً من الذهب ليعبدوه بعد أن استبطئوا موسى، وهذا ليس بالشيء الغريب عنهم فمن صفاتهم الغدر والعصيان وقتل الأنبياء ونقض العهود، فقد جادلوا في أمر البقرة إلى أن شدد الله عليهم، واحتالوا ومكروا فمسخوا قردةً وخنازير.

والمتتبع لشنيع أفعالهم" يدرك أنَّ من عادتهم الجري وراء شهوةٍ رخيصةٍ، ولذَّةٍ دنيوية زائلة، ويدرك تماماً أنَّهم يفضلون الحياة الذليلة تحت سياط الرق والاستبعاد على حياة الحريَّة والكرامة "[4].

سادساً: أثر المعصية على الفرد والمجتمع:

إنَّ المعاصي تؤثر في القلوب، وتوجب نفور الناس من بعضهم، وتجعل كل مسلم يرى أخاه المسلم وكأنَّه على ملةٍ غير ملةِ الإسلام، لذلك وجب الإصلاح ما أمكن ذلك واجتناب

(1) أساب هلاك الأمم، باباسيلا، (ص31).
(2) أسباب هلاك الأمم، مرجع سابق،(ص33).
(3) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (ج302/1).
(4) تاريخ بني إسرائيل، مهران، (ص ص413-414).

المنكرات، حيث يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:41]، فلم يقل الذين مكناهم في الأرض أقاموا مسارح الفجور والفسق واللهو والمجون، بل قال أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة والتزموا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [1].

إنَّ آثار المعصية خطيرة ويترتب عليها مفاسد عظيمة فمنها[2]:

أ- حرمان العلم فهو نورٌ والمعصيةُ تطفئ ذلك النور، وقد اشتكى الإمام الشافعيُّ سوء حفظه لشيخه وكيع ناظماً بيتين من الشعر فقال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي *** فأرشدني لترك المعاصي

وأخبرني بأنَّ العلم نورٌ *** ونورُ الله لا يهدى لعاصي [3].

ب- وحشةً يجدها العاصي في قلبه فلا لذة يجدها في حياته، ولو اجتمعت له كل لذَّات الدنيا لن يشعر بالسعادة؛ لأنَّ العاصي لا حياة لقلبه.

ت- كما أنَّ المعاصي توهن القلب والبدن، وتحرمه لذَّة الطاعة، فإنَّها تقضي أيضاً على بركة العمر فتمحقه.

خامساً: كيف تحمي نفسك من المعصية:

إنَّ الخواطر التي تجول في عقل الإنسان من أخطر الأمور لذا يجب الحذر منها؛ لأنَّها أرضٌ خصبةٌ للشيطان، فإذا تمكن من الغراس فيها أخذ يسقي ذلك البذر الخبيث حتى يصبح إرادة في النفس، فإذا رأى لها استحساناً في القلب، يعاود سقيها حتى تصير من عزائم الأمور عندك، و يتعاهدها حتى تثمر الجوارح ثمرة تلك الخاطرة أعمالاً أو أقوالاً، وحتى تقي نفسك من كل هذا عليك دفع الخاطرة بمجرد أن تجول في داخلك باحثةً عن ملاذٍ لها، ولا شك أنَّ هذا أيسر من دفعها وهي إرادة أو عزيمة فكن مستعداً دائماً للمواجهة [4].

---

(1) ينظر: أثر المعصية على الفرد والمجتمع، العثيمين، (ص ص12-14).

(2) ينظر: الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي، ابن القيم، (ص ص 124-127).

(3) الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، محمد سليم، (ص87).

(4) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم،(ص175).

واعلم أنَّ إدارة الصراع مع الشيطان المسئول الأول عن الخواطر تحتاج إلى:

1. إدراك رسالة الشيطان التي عبر القرآن عنها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:6]، فإذا عرفنا الهدف الحقيقي للشيطان وغرضه الساعي إليه بعزم، استطعنا أن نؤمن الحماية لأنفسنا، وما يؤسف أنَّ الكثير من المسلمين لا يدركون ذلك.
2. معرفة هدفه وهو السعي بقوة إلى نسيان العبد ربه، وإلقاء العداوة والبغضاء بين الناس، وإدخال الحزن والخوف، وجرهم إلى الفسوق والكفر.
3. الإدراك بأنَّ للشيطان خطوات متدرجة مع الإنسان، وجب الفطنة لها والبقاء على جهوزية لمقاومته.
4. معرفة أنَّ الشيطان يعمل ليلاً ونهاراً لا يمل ولا يكل، لذا يجب سد جميع المنافذ عليه في كل وقت.
5. الاستعانة بالوسائل العملية في إدارة الصراع معه كالعلم، والذكر، والصوم، وصحبة الصالحين، والاستعداد لمواجهته والإقبال على القرآن [(1)].

سادسا: الطريق إلى حفظ الخواطر:

1. العلم الجازم باطلاع الرب تعالى ونظره إلى قلبك وعلمه بتفصيل خواطرك.
2. حياؤك من الله.
3. إجلالك له أن يرى مثل تلك الخواطر فى بيته الذى خلقه لمعرفته ومحبته.
4. خوفك من أن تسقط من عينه بتلك الخواطر.
5. إيثارك له أن تساكن قلبك غير محبته.
6. خشيتك أن تتولد تلك الخواطر في قلبك ويستعر شرارها فتأكل ما فيه من الإيمان ومحبة الله فتذهب به جملة وأنت لا تشعر.
7. أن تعلم أن تلك الخواطر بمنزلة الحَب الذى يلقى للطائر ليصاد به، فاعلم أن كل خاطر منها فهو حبة فى فخ منصوب لصيدك وأنت لا تشعر.

---

(1) ينظر: منهجيات في الإصلاح والتغيير، سلطان، (ص ص96-98).

8. أن تعلم أن تلك الخواطر الرديئة لا تجتمع هى وخواطر الإيمان و دواعى المحبة والإنابة أصلاً، بل هى ضدها من كل وجه، وما اجتمعا فى قلبٍ إلاَّ وغلب أحدهما صاحبه وأخرجه واستوطن مكانه.

9. أن يعلم أن تلك الخواطر بحر من بحور الخيال لا ساحل له، فإذا دخل القلب فى غمراته غرق فيه وتاه فى ظلماته فيطلب الخلاص منه فلا يجد إليه سبيلاً.

10. أن تلك الخواطر هي وادي الحمقى وأَمانى الجاهلين، فلا تثمر لصاحبها إلا الندامة [1].

سابعاً: سبل الاحتراز من شياطين الإنس والجن:

1. الاستعاذة بالله كما ذكر الله: **﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [فصلت:36].
2. قراءة المعوذتين.
3. قراءة آية الكرسي وأول سورة غافر.
4. قراءة سورة البقرة.
5. كثرة ذكر الله [2].

وتستطيع حماية نفسك من المعاصي بالمحافظة على الصلاة، وغض البصر، ولزوم الاستغفار، ولزوم الدعاء وعدم اليأس من رحمة الله [3]، فهذه الأمور من شأنها تهذيب النفس وتقويم سلوكها، إنَّ أبواب السماء مفتوحة، ورب العباد لطيفٌ بعباده رحيمٌ بهم، غفورٌ يغفر الزلات ويمسح السيئات ويقبل صادق التوبات، قال الله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** [آل عمران:135 – 136]، أي إذا صدر منهم الذنب أتبعوه التوبة والاستغفار ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أي: " تابوا من ذنوبهم ورجعوا إلى الله عن

---

(1) ينظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم، (ص ص175-176).

(2) أكام المرجان في أحكام الجان، الشبلي، (ج145/1) .

(3) ينظر: نصائح ذهبية لعلاج المعاصي، الكحيل، (موقع إلكتروني).

قريب ولم يستمروا على المعصية ويصروا، مقلعين عنها ولو تكرر منهم الذنب تابوا منه" [1].

وليعلم كل إنسان مهما كثرت ذنوبه، واستفحلت أخطاؤه، وأشربت الآثام في قلبه واستقر حب الدنيا فيها، وعاثت الأمراض في قلبه الفساد أنَّه بإمكانه الرجوع وبإمكانه التوبة والندم إذا أصلح سريرته وقوى عزيمته، وصدق مع الله وأخلص نيته، حينها سيلقى منه احتضاناً برحمةٍ ومغفرةً وحنوٍ.

المطلب الرابع

الزهد في الدنيا

أولاً: مفهوم الزهد لغةً واصطلاحاً:

1. الزهد لغةً:

أ- زهد: "الزّاء والهاء والدّال أصل يدلّ على قلّة الشّيء، والزَّهيد: الشّيء القليل، وهو مزهد: قليل المال: ويقال: رجل زهي: دقليل المطعم" [2].

ب- الزُّهد والزَّهادة في الدنيا، ولا يقال الزُّهد إلَّا في الدين خاصةً، وهو ضدُّ الرَّغبة وضد الحرص على الدنيا [3].

ت- الزهد ضد الرغبة، وتقول زهد فيه وزهد عنه، والتَّزهد التعبد [4].

2. الزهد اصطلاحاً:

أ- بغض الدنيا والإعراض عنها.

ب- هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة.

ت- "خلو قلبك مما خلت منه يدك" [5].

---

(1) التفسير العظيم، ابن كثير،(ص ص401-402).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج30/3).

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (ج196/3).

(4) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، (ج138/1).

(5) التعريفات، الجرجاني، (ص99).

ثانياً: مفهوم الدنيا لغةً واصطلاحاً:

1. الدنيا لغةً:

أ- دنى: "الدَّالُ والنُّون والحرف المعتلُّ أصلٌ واحد يقاس بعضه على بعض، وهو المقاربةُ، ومن ذلك الدَّنيُّ، وهو القريب، من دنا يدنو، و قد سميت الدُّنيا لدنوها، والنسبة إليها دُنياوِيٌّ"(1).

ب- الدنو: يستعمل في المكان والزمان، والمنزلة الدنيا(فعلى) من الدنو وهو الإنزال يقابله العلو(2).

2. **الدنيا اصطلاحاً:** هي مدة زمنية فانية منقضية لا طائل لها وهي شاغلة عن المصلحة الحقيقة، ومتاعها قليل زائل قصير الأجل (3).

ثالثاً: مفهوم الزهد في الدنيا:

(بالنظر في التعريفات اللغوية والاصطلاحية نجد أنَّ الزهد في الدنيا هو الابتعاد عن التكلف فيها وعدم تفويت المنافع الأخروية، والاشتغال بما هو منقضٍ، وزائلٌ لأجل تحصيل سعادةٍ زائفةٍ وغير باقٍ أثرها).

رابعاً: بعض ما أثر من أقوال في الزهد:

1. قال عمر ﷺ :" الزَّهادة في الدنيا راحة القلب والجسد، وقال ابن مسعود ﷺ: ركعتين من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً"(4).
2. إنَّما الزهد هو التخلي عن الدنيا لحقارتها مقابلةً بنفاسة الآخرة (5).
3. "عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف " (6).

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج303/2).
(2) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، الميناوي، (ص167).
(3) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج542/1).
(4) إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج224/4-225) .
(5) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج219/4).
(6) مدارج السالكين، ابن القيم، (ج13/2).

4. الزهد الحقيقي" ترك كل ما يشغل القلب والعقل عن الله فيكون العبد مع الله في كل سكناته وحركاته" [1].
5. الزُّهد" انتفاء الإرادة له إمَّا مع وجود كرهته وإمَّا مع عدم الإرادة والكراهة بحيث لا يكون لا مريدًا له ولا كارهًا له وكلُّ من لم يرغب في الشَّيء ويريده فهو زاهدٌ فيه" [2].

رابعاً: أوجه الزهد:

للزهد ثلاثة أوجه وهي: **الأول:** ترك الحرام وهو زهد العوام.

الثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين [3].

إذن أول الزهد يكون في الحرام، ثم في المباح وأعلى مراتبه الزهد في الفضول وكل ما لك غنى عنه، فكأن تزهد في كل شيءٍ إلا ما أمرك الله [4]، وحتى تكون زاهداً عليك أن لا تتعلق بستة أشياء: " المال، الصور، الرياسة، الناس، النفس، كل ما دون ذلك" [5].

وقيل في ذلك أيضاً: " لما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقاً ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي" [6].

خامساً: الآيات الدالة على الزهد:

إنَّ الناظر في آيات القرآن والمتمعن فيها يجد أنَّها دعت إلى الزهد في الدنيا فقد بينَّ القرآن أنَّها دار اختبارٍ وتكليف، ووضح خستها وسرعة فنائها، ورغب في الآخرة وبينَّ دوامها

---

(1) الزهد وصفة الزاهدين، ابن الأعرابي،(ص26).

(2) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج616/10).

(3) مدارج الساكين،ابن القيم، (ج14/2).

(4) ينظر: الزهد وصفة الزاهدين، ابن الأعرابي، (ص 76).

(5) مدارج السالكين، مرجع سابق، (ج13/2).

(6) إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج217/4).

وحسنها وشرفها، فإذا كان العبد محظوظاً رسَّخ الله في قلبه شاهداً يدرك من خلاله حقيقة الدنيا والآخرة ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار [1].

1. يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً** ﴾ [النساء:77]، ويقول تعالى: ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [يونس:24-25].

لقد شبه الله تعالى الحياة الدنيا بالنبات وبين أنَّ هذه الحياة التي ينتفع بها المرء مثل النبات الذي لما قارب على النضوج وعظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه، ولأنَّ المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيتهُ أتاه الموت بغتةً فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها فإنَّها حياةٌ فانيةٌ، زائلة [2]، وهذه الآية توضح حقيقة الدنيا، وتدعو للزهد فيها وتبين أنَّها لا تستحق أن يخسر العبد آخرته لأجلها.

"وقد وقع تشبيه الحياة الدّنيا بالنّبات الحصيد، بعد الاكتهال؛ لسرعة زوالها عند الكمال، والمراد من التّمثيل التّزهيد والتّنبيه" [3].

2. وقال تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [الحديد:20] يشير النص إلى تحقير حال الدنيا وتعظيم حال الآخرة، وقد وصف الله الدنيا بأمورٍ:

"**أولها:** أَنَّها لعبٌ وهو فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جدًّا، ثُم إنَّ تلك المتاعب تنقضي من غير فائدة، **وثانيها:** أنها لهوٌ وهو فعل الشبان، **وثالثها:** أنها زينةٌ وهذا دأب النساء،

(1) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (ج12/2).
(2) ينظر: لباب التأويل، الخازن، (ج2 /438).
(3) درج الدرر في تفسير الآي والسور، الجرجاني، (ج 818/1).

لأنَّ المطلوب من الزينة تحسينُ القبيح، وعمارة البناء المشرف على أن يصير خرابًا، والاجتهاد في تكميل الناقص، **ورابعها:** تفاخرٌ بينكم بالصفات الفانية الزائلة، وهو إما التفاخر بالنَّسب أو بالقوة، **خامسها:** تكاثرٌ في الأموال والأولاد" [1]، ومثل الحياة الدنيا كمطر أعجب الفلاحين الذين كفروا بذرة بالتربة فيهيج أي ييبس ويصفر ويكون حطاماً يتفتت، هذه هي الدنيا من بدايتها إلى نهايتها المؤلمة أما الآخرة ففيها عذاب شديد لأهل الشرك والمعاصي، ومغفرة من الله ورضوان لأهل التوحيد [2].

3. قوله تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران:14] والمعنى حسُن للناس حُبُّ الشهوات من النساء والبنين والأموال الكثيرة من ذهبٍ وفضةٍ وخيلٍ حسان والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المتخذة للغراس والزراعة، ذلك زهر الحياة الدنيا وزينتها الفانية، والله عنده حسن المرجع [3]، لقد استأنف الله الكلام في هذه الآية ليظهر حقارة ما تستلذه النفس البشرية من زينة الحياة الدنيا وشهواتها، وبين أنَّ ما عنده وما ادخره لعباده المؤمنين الغير ملتفتين لتلك الزينة أفضل وأدوم لهم؛ لأنَّ متاع الدنيا يذهب ولا يبقى، وفي الآية تزهيدٌ في الدُّنيا وترغيبٌ في الآخرة[4].

4. قوله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ**﴾ [الشورى:20]، " لقد سمي ما يعمله العامل مما ينبغي به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز وفرق بين العاملين بأنَّ من عمل للآخرة وُفق في عمله وضوعفت حسناته، ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئاً منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه، وما له نصيب قط في الآخرة. ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب" [5].

---

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، (ج463/29-464).
(2) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج273/5).
(3) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من المفسرين،(ص51).
(4) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ج370/1-371).
(5) الكشاف، الزمخشري،(ص 977).

هذه بعض آيات القرآن الدالة على وجوب الزهد واجتناب حب الدنيا والإقبال عليها وكأنَّها هي دار القرار والمستقرّ، والعمل لما يضمن لنا حسن وخير المآل، فما هذه الدنيا إلا سجنٌ كبير يتحمل فيه التعب والحرمان وهذا وصف النبي ﷺ للدنيا ليبين حقارتها، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)**[1]، "ومعناه أنَّ كل مؤمن مسجونٌ ممنوعٌ في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلفٌ بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلى ما أعد اللَّهُ تعالى له من النعيم الدَّائم والرَّاحة الخالصة من النقصان، وأمَّا الكافر فإنَّما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغّصات فإذا مات صار إلى العذاب الدَّائم وشقاء الأبد" [2].

وقد حذر الله من استعباد الدنيا والعمل فيها دون الالتفات للآخرة، فقال: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ* أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [يونس:7-8]، إنَّ الذين لا يرجون لقاءنا أي:" لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطر ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق ولا يؤملون حسن لقائنا ولا سوءه الذي يجب أن يخاف" [3]، ورضوا بالحياة الدنيا ولم يلتفتوا ويتفكروا في حياةٍ أخرى أرقى وأبقى، واطمأنوا بالحياة الدنيا، وسكنت أنفسهم وصرفوا قوتهم وعزمهم في تحصيل منافعها ولم يجتهدوا لتحصيل ما ينفع آخرتهم فأهملوا النظر في الآيات أولئك هم الخاسرون لا مأوى لهم سوى النار إليها مرجعهم [4].

إنَّ البعض زلوا واعتقدوا أنَّ طريق الزهد بترك الدنيا واعتزالها، فهجروها وقلوبهم مفعمة بحبها، وهم بذلك يحسبون أنهم زاهدون لكنَّ الزهد بخلاف ذلك فهو لا يعني الامتناع عن المباحات المشروعة واعتزال الدنيا وما فيها والعكوف عنها، بل بالاستعانة بما فيها من نعم على طاعة الله، وما يمكننا من مساعدة إخواننا المسلمين، وما يمكن أن ننصر به كلمة الله، فمن بدل نفسه وماله في سبيل الله فهولا شك من الزاهدين [5]، وقد كان سليمان وداود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق، 2272/4: رقم الحديث 2956.

(2) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (ج93/18).

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي (ج8/2) .

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج99/11-100).

(5) ينظر: الزهد في الدنيا والرغبة بالآخرة، المدخلي، (ص16).

أهل الزهد ولهما من المال والملك، والنساء مال ليس لغيرهما لكنَّهما كانا زاهديْن [1]، وكان عيسى ابن مريم عليه السلام لا يرفع غداء لعشاءٍ ولا عشاءً لغداءٍ، وكان يقول:" إنَّ مع كلِّ يومٍ رزقه، وكان يلبس الشَّعر ويأكل الشَّجر وينام حيث أمسى"[2].

سادساً: زهد النبيّ ﷺ:

لقد كان النبيِّ ﷺ من أزهد البشر فلم يلتفت لزينة الدنيا ولا ما فيها من كل المغريات وآثر التخلي عن كل الملذات الموجودة فيها والمسَّخرة له، فالتحف بالإيمان، وتغذى بتقوى الرحمن، وافترش الصبر واتخذ منه السلوان؛ لأنَّه يعلم أنَّ في الآخرةِ ميزاناً توزن به أعمال الإنسان فمن ثقلت موازينه فاز بالجنان، ومن خفت موازينه باء بالخسران، ولأنَّه معِّلمنا وقدوتنا وجب علينا أن نلتزم نهجه ونسلك دربه ولا نسابق الزمن في تحصيل ما هو زائل لا محالة مهملين الدار الآخرة، فمن زهده ﷺ أنَّه كان يمضي الشهر ولا يوقد في بيته فعن عائشَة رضي اللَّهُ عنها، قالت: **(كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ)**[3]، وكان فراشه من حشو الليف فعنها أيضاً رضي الله عنها قالت:" **كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ، وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ**" [4]، وكان إذا نام على حصير أثَّر في جنبه فعن عبد الله بن مسعود قال: نَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً[5]، فَقَالَ: ﷺ **(مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)**[6].

وعندما سأله سائلٌ، فقال: يا رسول اللَّه دُلَّني على عملٍ إذا أنا عملته أحبَّني اللَّه وأحبَّني النَّاس؟ فقال ﷺ: **(ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ)**[7]، واقتدى به الصحابة وتشربوا حب الآخرة في قلوبهم فلما جاءتهم الدنيا صاغرة ودانية

---

(1) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيم، (ج15/2).

(2) المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي شيبة، 65/7: رقم الحديث 34226.

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق/باب كيف كان عيش النبي وأصحابه، 8 /97: رقم الحديث 6458.

(4) صحيح البخاري، كتاب الرقاق/باب كيف كان عيش النبي وأصحابه، 8 /97: رقم الحديث 6456.

(5) وطأَ: الواو والطَّاء والهمزة كلمةٌ تدلُّ على تمهيد شيء وتسهيلِه، ووطَّأتُ له المكان، والوطاءُ: ما توطَّأتَ بِه من فراشٍ. مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج120/6).

(6) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الزهد، 166/4: رقم الحديث 2377. وصححه الألباني في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (ص438).

(7) سنن ابن ماجة، كتاب، الزهد/ باب الزهد في الدنيا، 1373/2: رقم الحديث 4102. صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة"(ص: 944).

لهم وضعوا خزائنها وذهبها في سبيل الله، فأبو بكر رضي الله عنه أخرج ماله في سبيل الله وعندما سئل عن ما أبقى لأهل بيته قال:" تركت الله ورسوله "[1]، وعمر ﷺ كان أمةً في الزهد " فكان يلبس الخشن من الثياب، ويأكل أقل الطعام وأبسطه، فقالت له حفصة رضي الله عنها:(يا أمير المؤمنين، لو لبست ثوباً ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو ألين من طعامك وقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير، فقال إني سأخصمك إلى نفسك ألا تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدَّة العيش، فلا زال يذكرها حتى أبكاها)"[2]، "وقد كان عثمان بن عفَان رضي اللَّه عنه كان يطعم النَّاس طعام الإمارة ويدخل إلى بيته فيأكل الخلَّ والزَّيت" [3].

وكان هذا حال أغلب الصحابة ﷺ أجمعين.

ولا بد هنا من التأكيد أنَّ " الزهد الحقيقي في الإسلام ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة مثلى تنشأ من قلب المؤمن الراضي بقضاء الله عن قناعة ورضا، وهذا الرضا ليس قاصراً على مقامه في الموجود الدنيوي بل يمتد معه حيث المأمول من وجوده الأخروي"[4].

سابعاً : ثمار الزهد وفوائده:

1. القناعة، فالزهد يغرس في النفس القناعة.
2. قطع العلائق فالزهد يصرف المسلم عن التعلق بالملذات الفانية، والعمل من أجل النعيم
3. المقيم، فيحب الإنفاق في سبيل الله، وعدم التعلق بالدنيا.
4. كبح جماح النفس إلى الشهوات والملذات.
5. محبة الله عز وجل فالزاهد يحبه الله ويقربه إليه.
6. محبة الناس لأن الزاهد لا يزحم الناس في دنياهم فيحبه الناس لذلك.
7. التأسي بالرسول الكريم ﷺ وبصحبه الكرام.
8. الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة [5].

---

(1) الزهد وصفة الزاهدين، ابن الأعرابي، (ص19).
(2) مناقب أمير المؤمنين عمر، أبو الفرج الجوزي،(ص ص135-136).
(3) الزهد، أحمد بن حنبل، 106/1: رقم الحديث، 684.
(4) منهاج الزهد في حياة الرسول، إبراهيم، (ص11).
(5) ينظر: نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم، ابن حميد، (ج2234/6).

المبحث الثاني:
قواعد نجاة الدروب

المطلب الأول:
(القاعدة الأولى) التَّخليةُ قبل التَّحلية

أولاً: مفهوم التَّخلية لغةً واصطلاحاً:

1. التخلية لغةً:

أ- خَلَوَ: الخاء واللَّام والحرف المعتل أصل واحد يدلُّ على تعرِّي الشَّيء من الشَّيء، يقال هو خِلْوٌ من كذا، إذا كان عِرْوًا منه، وخلت الدَّار وغيرها تَخْلُو، وَالْخَلِيُّ: الخالي من الغمّ، وامرأة خَلِيَّةٌ: كنايةٌ عن الطَّلاق، لأنَّها إذا طُلِّقت فقد خَلَتْ عن بعلها، ويقال خلا لي الشَّيء وأَخْلَى[1].

ب- خَلَا الإنسان: صار خَالِياً، وخَلَا فلان بفلان: صار معه في خَلَاءٍ، وخَلَا إليه: انتهى إليه في خلوة، قال تعالى: **﴿وَإِذا خَلَـوْا إِلى شَـياطِينِهِمْ﴾** [البقرة: 14]، وخَلَّيْتُ فلانا: تركته في خَلَاءٍ، ثم يقال لكلِّ تركٍ تخلية، نحو: **﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾** [التوبة: 5]، وناقةٌ خَلِيَّةٌ: مُخْلَاة عن الحلب، وامرأةٌ خَلِيَّةٌ: مخلاة عن الزّوج، وقيل للسّفينة المتروكة بلا ربّان خَلِيَّة، والخَلِيُّ: من خلّاه الهمّ[2].

2. التَّخلية اصطلاحاً:

"التخلي هو اختيار الخلوة والإعراض عن كل ما يشغل عن الحق" [3].

ثانياً: مفهوم التَّحلية لغةً واصطلاحاً:

1. التَّحلية لغةً:

أ- خلَوَ: "الحاء واللَّام وما بعدها معتلٌّ، ثلاثة أصولٍ: فالأوَّل طيب الشَّيء فِي ميل من النَّفس إليه، والثَّاني تحسين الشَّيء، والثَّالث وهو تنحية الشَّيء" [4].

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج204/2).

(2) المفردات، الأصفهاني، (ج298/1).

(3) التعريفات، الجرجاني،(ص 48).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج94/2).

2. **التَّحلية اصطلاحاً:**

أ- التَّحلية التَّزيُّنُ بعد التَّخلية" [1].

ثالثاً: مفهوم التَّخلية قبل التحلية:

(بالنظر في تعريف التَّخلية و التَّحلية لغةً واصطلاحاً تجد الباحثة أنَّ التَّخلية هي عملية تفريغٍ وتهيئة وتطهيرٌ للقلب وإعراضٌ عن كل صوارف الإيمان ومن ثَّم تحليته وتزينه وتحسينه بالقيم الإيمانية والأخلاق الفاضلة).

إنَّ القاعدة الأولى في قواعد نجاة الدروب، هي التَّخلية قبل التَّحلية وهي قاعدةٌ مهمةٌ ترتكز عليها بقية القواعد، فالقلب حتى يعمل بشكلٍ جيد ويقوم بكل وظائفه لابد أن يُخلَّى من كل شوائب الجهل، وينقى من كل رواسب الجاهلية والكفر؛ حتى يستقيم ويصلح لغراس الإيمان الصحيح المبني على العقيدة السليمة، فكما يحرص العبد على طهارة جسده ومكان صلاته؛ ليقف بين يدي ربه بهيئةٍ تليق بمقام خالقه، وكما ينقي الغارسُ أرضهُ قبل الغراس؛ ليضمن جودة نتاج زرعه، وكما يهيئ المهندس الأرض قبل وضع حجارة الأساس ليقيم بيتاً قوياًّ لا تؤثر فيه العوارض الطبيعة أو البشرية، وجب على العبد تنقية قلبه وتخليته من كل ما يتعلق بغير الله سبحانه وتعالى، لينزل الإيمان الصافي الطاهر ويحط رحاله في قلب خالٍ إلا من الفطرة السليمة، فسلامة العقيدة يلزمها أولاً التَّخلية من كل آفات الشرك والتمثيل والتشبيه، وقد مكث النبيُّ ﷺ ثلاثَة عشرَ عاماً يُخلِّي قلوب المشركين من الشرك والعقائد الباطلة.

رابعاً: التَّخلية والتَّحلية في الآيات القرآنية:

1. **سلامة التوحيد تبدأ بالتَّخلية:**

أ- قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة:255] من القواعد المهمة التي يبنى عليها في عقيدة التوحيد أن يجمع بين النفي والإثبات فيكون الإثبات مُفصلاً والنفي مُجملاً، فكل ما تبث في القرآن أو السنة من أسماءٍ وصفاتٍ لله عز وجل نثبتها له دون تعطيل أو تشبيهٍ، وهذا واضحٌ في هذه الآية فالنفي جاء بقوله(**لا إله**)، أمَّا الإثبات (**إلاَّ هُوَ**) فجاء مفصلاً مع ذكر الصفات المثبتةِ لهُ وهي الحياة والقوامة[2].

"لقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى

---

(1) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية، الخادمي، (ج22/2).

(2) ينظر: اللآلئ البهية في شرح العقيدة الواسطية، صالح آل الشيخ(ص 234) .

إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته" [1].

ب- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]، في هذه الآية رد على المعطلة، وقوله تعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**) فيها رد على أهل التمثيل، وفيها نفي تشبيه أيُّ شيءٍ بالخالق وهذا من الصفات السلبية، الذي قصد به إثبات الكمال لله ﷻ، والمعنى أنَّه كمال الله لا يماثله شيء من مخلوقاته، وهو المتفرد بالألوهية والربوبية [2]، فنفيُ التشبيه أو التعطيل هو من باب التَّخلية، وإثبات الكمال لله ﷻ، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقات، وإثبات صفتي السمع والبصر هو من باب التَّحلية.

ت- قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [الأنعام:151] هذه الآية هي أولى الوصايا العشر" وآياتها مرتبةٌ جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، فإن التقية بالحمية قبل الدواء" [3].

تخلصُ الباحثة من هذه الآيات، بأنَّ عقيدة التوحيد لا تصح إلاَّ بالتَّخلية أولاً، وتكون بنفي الألوهية عن غير الله بقولنا (**لا إله**)، ثمَّ بالتَّحلية بإثبات الألوهية لله ﷻ بقولنا واعتقادنا وعملنا بأنَّ لا إله (**إلا هو**).

ث- قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:256] " الدِّين في هذه الآية المعتقد والملة، بقرينة قوله قد تبيَّن الرُّشدُ من الغيِّ" [4]، أي: تبين الإيمان الموصل للسعادة الأبدية من الكفر المؤدي إلى الشقاوة السرمدية[5]، وقد جاء نفي الإكراه خبراً يتضمن معنى النهي، والمعنى لا تجبروا أحداً على الإسلام قسراً ومن يكفر

---

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج110/1).
(2) ينظر: العقيدة الواسطية، ابن العثيمين، (ج206/1).
(3) نظم الدرر، البقاعي، (ج216/7).
(4) المحرر الوجيز، ابن عطية، (ج343/1).
(5) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج249/1).

بالطَّاغوت أي بالأوثان والأصنام حيث سمى المسلمون الصنم طاغية وهو مشتقٌ من الطغيان، ويعني الارتفَاع والغلوُّ في الكبر وهو مذمومٌ ومكروهٌ، فمن آمن بالله فقَد استمسك بالإيمان إذ لم يبق بعد التَّبيين إلَّا الكُفر بالطَّاغوت، فيجب على المؤمن أن يكون سالماً من اضطراب القَلب فِي الدُّنيا وناجٍ من السُّقوط في الآخرة حاله كحال من تمسَّك بعروة حبل متين لا ينفصِم(1)، إذاً التَّخليةُ بالكفر بالطَّاغوت والتَّحلية بالإيمان والتمسك به.

2. التَّخلية تطهيرٌ للقلب:

أ- قال تعالى: **﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾** [آل عمران:8] أي:" ربَّنا ارحمنا رحمة هبةٍ لا رحمة حقٍ، فليس هناك مخلوقٌ له حقٌ على الله إلاَّ ما وهبه الله له" (2)، إنَّ حصول الهداية في القلب هبةٌ من الله يمنُّ بها على من يشاء، وتطهيرُ القلب مقدمٌ على تنويره، فهؤلاء المؤمنون سألوا ربَّهم أولًا أن ن2يخلي قلوبهم من الباطل والعقائد الفاسدة، ثم طلبوا من ربهم أن يُحلي وينور قلوبهم بأنوار المعرفة، وجوارحهم وأعضائهم بزينة الطَّاعة، والرحمة التي سألوها شاملةٌ لجميعِ أنواع الرحمة **فأولها:** أَنْ ينور الإيمان الْقَلْبِ، **وَثَانِيهَا:** أن تنشط الجوارح والأعضاء بنور العبودية والطاعة، **وثالثها:**أن تتحقق في الدنيا مقومات الحياة كالأمن والصحة، **ورابعها:** سهولة سكرات الموت، **وخامسها:** اجتياز سؤال القبر، **وسادسها:** التخفيف يوم القيامة من العقاب، والتجاوز عن السيئات(3).

ب- وقال تعالى: **﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [التوبة:103]، يشير الله في هذه الآية لمقام التَّخْلِيَةَ عن السَّيئات بقوله**(تُطَهِّرُهُم)** وإلى مقام التَّحْلِيَةِ بالفضائل والحسنات بقوله:**(تُزَكِّيهِمْ)**، والتزكيَّة هي الخير الكثير، فالمعنى أنَّ هذه الصَّدقةَ كفارةٌ لذنوبهم ومجلبةٌ للثَّواب العظيم(4).

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج26/3-29).
(2) تفسير الخواطر، الشعراوي، (ج1285/2).
(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج150/7).
(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج23/11).

3. التخلية بطلب المغفرة قبل الرحمة:

قال تعالى: ﴿و نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ * قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ*قالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ [هود:47]، لقد سأل سيدنا نوح عليه السلام ربه أن ينجي ابنه، فأخبره الله أنَّه ذو عملٍ فاسدٍ ولا يستحق النجاة، فأدرك فوراً أنَّه أخطأ فقال :" ربِّ إنّي أعوذ بك أن أسئلك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته، وإلا تغفر لي وإن لم تغفر لي ما فرط مني في السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي أكن من الخاسرين أعمالاً" [1].

وفي قوله: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ قدم طلب المغفرة؛ لأنَّ التَّخلية مقدمةٌ على التَّحلية، ثمَّ أعقبها بطلب الرحمة؛ لأنَّ من رضي الله عنه كان أهلاً لرحمته[2].

والتقوى مقدمة على الإحسان من باب التَّخلية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:128] المراد بالمعيَّة ولاية الله الدائمة الغير منقطعة، والتي لا يخالطها حزنٌ أو جزعٌ، والمعية تكون للمتقين الذين اجتنبوا عن كل ما يُؤثم من فعلٍ وتركٍ، والذين هم محسنون بالإتيانُ بالأعمال على الوجه اللائقِ، وتقديمُ التقوى على الإحسان لأنَّ التخليةَ متقدِّمةٌ على التحلية[3].

إنَّ قاعدة التَّخلية قبل التَّحلية قاعدة ضرورية للنجاة والمفازة، وهى اللبنة الأساسية التي يبنى عليها الإيمان، وترتكز دعائمه في القلب، إذ إنَّ طهارة القلب ونقاءه، وصفاء سريرته، وجلاء الشوائب منه مُقدَّمة على تحليته وتزينه بالطاعات والعبادات؛ لأنَّ الأزهار لا تنبت في حقلٍ من الأشواك.

---

(1) أنوار التنزيل، البيضاوي (ج173/3).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج88/12).

(3) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود،(ج135/5)، محاسن التأويل، القاسمي، (ج6 /425).

المطلب الثاني:
(القاعدة الثانية) مجاهدة النفس

أولاً: مفهوم المجاهدة لغةً واصطلاحاً:

1. مفهوم المجاهدة لغةً:

أ- جُهْد:" الْجِيم والهاء والدَّال أَصله المشقَّةُ، ثُمَّ يحمل عليه ما يقاربه. يقال جهدتُ نفسي وأجهدتُ والجهد الطَّاقَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79]"[1].

ب- الْجَهْدُ بالفتح المشقَّة يقال: جَهَدَ الرجلُ في كذا أَي جدَّ فيه وبالغَ. وجُهِدَ الرَّجُلُ هو مَجْهُودٌ مِنَ الْمَشَقَّةِ. وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، ومُجاهدةً وجِهَادًا والتَّجاهُد بذلُ الوسع[2].

ت- المجاهدة: استفراغ الوُسْع فى مدافعة العدو[3].

ث- المجاهدة : المحاربة[4].

2. المجاهدة اصطلاحاً:

أ- "محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب شرعاً" [5].

ب- "حمل النفس على أداء الواجبات والتزام المكارم والمروءات وترك المحرمات والترفع عن السفاسف والمكروهات" [6].

ت- "حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى، بدل المستطاع في أمر المطاع، وقيل بدل الجهد في القصد وصدق الجهد في العهد" [7].

---

(1) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج486/1).
(2) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، (ج63/1).
(3) ينظر: بصائر ذوي التمييز،الفيروز آبادي (ج401/2).
(4) التعريفات، الجرجاني، (ص171).
(5) التعريفات: مرجع سابق، (ص 171).
(6) الوسائل العملية لإصلاح القلوب، سلطان، (ص 114).
(7) التوقيف على مهام التعاريف، الميناوي، (ص297).

ذكر ابن العثيمين أنَّ المجاهدة قسمان:

الأول: مجاهدة الإنسان نفسه بفعل الطاعات وترك المعاصي.

الثاني: مجاهدة الإنسان غيره وتكون بالعلم والبيان أو بالسلاح [1].

ثانياً: مفهوم النفس لغةً واصطلاحاً:

1. النفس لغة:

أ- "النون والفاء والسين أصلٌ واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من زرعٍ أو غيرها. والنفس: الدَّمُ" [2].

ب-النفسُ: "الروح والدَّمُ، ويقصد بها عين الشيء يقال جاءني بنفسه" [3].

ج- النَفْسُ:" الروحُ. يقال: خرجت نَفْسُهُ. والنَفْسُ أيضاً: الجسدُ" [4].

2. النفس اصطلاحاً:

أ- "هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية" [5].

ب-" النفس الإنسانية هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية ويقصد بالكمال الأول: أيّ من غير واسطة، وقوله: جسم طبيعي أي: غير صناعي لا في الأذهان بل في الأعيان، وقوله آلي أي: ذي آلات يستعين بها ذلك الكمال الأول في تحصيل الكمالات الأخرى"[6].

ثالثاً: تعريف مجاهدة النفس:

مجاهدة النفس تكون " بفطمها عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات" [7]، "وهي: " محاربة النفس في الدعوة إلى الله لنيل رضاه والفوز بالجنَّة" [8].

---

(1) ينظر: شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، (ج2/51-52).

(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج5/460).

(3) القاموس المحيط، الفيروز آبادي،(ص ص577- 578).

(4) الصحاح تاج اللغة و صحاحُ العربية، الجوهري (الفارابي)، (ج3/984).

(5) التوقيف على مهمات التعاريف، الميناوي،(ص327).

(6) معارج القدس في مدارج النفس، الغزالي، (ص21).

(7) الرسالة القشيرية، القشيري، (ج1/102).

(8) زبدة التفسير، محمد الأشقر،(ص404).

(وترى الباحثة أنَّ مجاهدة النفس تخليصها من حب الملذَّات والشهوات، وإقامة سياجٍ فاصلٍ بين النفس وهواها وتخليصها أولاً بأول من عوالق حب الدنيا، ورواسب فتنها وتعاهدها بالتأديب والتعزير).

رابعاً: أنواع المجاهدة:

1- مجاهدة الكفَّار والمنافقين بالبرهان والحجّة كقوله تعالى: **﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾** [التوبة:73] **﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبيرا﴾** [الفرقان:52].

2- جهاد أَهل الضَّلالة بالسّيف والقتال **﴿وَفَضَّلَ الله المجاهدين عَلَى القاعدين﴾**[النساء:95].

3- مجاهدة مع النفس **﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾** [العنكبوت:6].

4- مجاهدة مع الشيطان بالمخالفة طمعاً فى الهداية **﴿والذين جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾** [العنكبوت:69].

5- جهاد مع القلب لنيل الوصْل والقُرب **﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾** [الحج:78] [(1)].

ومن أنواعه أيضاً:

1. جهاد النفس والهوى بعصمتها من كل الشهوات والزامها بالطاعات.
2. الجهاد الدعوي.
3. الجهاد البنائي وهو الذي يعمل على بناء الأمة.
4. الجهاد القتالي [(2)].
5. ومجاهدة النفس سميت بالجهاد الأكبر كما قال بعض الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعنون جهاد النفس[(3)].

---

(1) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (ج402/2-403).

(2) ينظر: أنواع الجهاد، النابلسي، (ص5-12).

(3) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج244/2).

خامساً: مشروعية المجاهدة:

إنَّ القاعدة الثانية لنجاة الدرب هي مجاهدة النفس، ولقد وضع الله في النفس البشرية الخيار والاختيار وألهمها معرفة التقوى ومعرفة الفجور فمن زكَّى نفسه وارتقى بها يفلح، ومن جعلها تبع الهوى والشهوات تخيب ويخيب صاحبها " فالنفس تؤدي لطريقين لا ثالث لهما، إمَّا الجنة وإما النَّار " [1] وفي ذلك يقول تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾** [الشمس:7-10].

ويصف ابن القيم الجهاد فيقول:" إنَّ الجهاد ذِروة سنام الإسلام وقبَّته، ومنازل أهله أَعلى المنازل في الجنَّة، وقد ظفر رسول اللَّه ﷺ بالمنزلة العليا منه، واستوفى جميع أنواعه فجاهد في اللَّه حق جهاده بالقلب والجنَان والدَّعوة والبيان والسَّيف والسِّنان" [2].

ثمَّ إنَّ النفس مَيَّالة إلى الكسل عن الخيرات، أمارة بالسوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومحاربتها للمعاصي، وترويضها على الصبر عند المصائب، وذلك بامتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور، فالمجاهد حقيقة: من جاهد نفسه؛ لتقوم بواجبها ووظيفتها.[3] لذلك قال تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [العنكبوت:69].

والَّذين جاهدُوا فِينا أي: من أجل إرضائنا وعلى هدي قرآننا[4]، وهم المؤمنون الأوائل الَّذين جاهدُوا في اللَّه بالصبر على الفتن والأذى ومدافعة كيد العدوِّ، وجاهدوا لمرضاة الله، وسيهديهم الله ويوفقهم و ييسيرهم إلى الأعمال الموصلة إلى رضاه، فهو مع من كان عمل الحسنات شعارهم [5].

أمَّا في السنة المطهرة فقد قال النبيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: **(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ * مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ* وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ* وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ* وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ)** [6].

---

(1) النفس البشرية في القرآن الكريم، أحمد، (موقع إلكتروني).

(2) زاد المعاد، ابن القيم، (ج5/3).

(3) ينظر: بهجة قلوب الأبرار، السعدي، (ج24/1).

(4) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج1983/3).

(5) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج21/36-37).

(6) مسند الإمام أحمد، ابن حنبل، 381/39: رقم الحديث 23958. صححه الألباني في السلسلة الصحيحة، 90/2: رقم الحديث 549.

وقد اتفق العلماء على "أنّ لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي الهوى عن النفس ومخالفتها والإيمان بذلك واجبٌ" [1].

سادساً: مراتب المجاهدة:

والجهادُ أربع مراتب: جهادُ النفس، وجهادُ الشَّيطان، وجهادُ الكفار، وجهادُ المنافقين، أمَّا جهاد النفس أربع مراتب أيضًا:

1- أَن يجاهدها على تعلُّم الهدى ودين الحق الَّذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلَّا بِه، ومتى فاتها علمه شَقيت في الدَّارين.

2- أَن يجاهدها على العمل بِه بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عملٍ إن لم يضرها لم ينفعها.

3- أَن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلَّا كان من الذين يكتمون ما أنزل اللَّهُ من الهدى والبيِّنَات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب اللَّه.

4- أَن يجاهدها على الصَّبر على مشَاق الدعوة إِلَى اللَّه وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لأجل للَّه [2].

سابعاً: منزلة المجاهدة:

يقول الله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [التوبة: 73]، أمر المولى سيدنا محمد بالجهاد حين بعثه وكان بادئ الأمر بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين الذي هو أصعب من جهاد الكفار والقائمون عليه لهم قدرٌ عند الله، فهذان عدوان امتحن الله العبد بجهادهما وبينهما عدوٌ ثالثٌ لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده، وهو حائلٌ بينهما ويصور للعبد ما في جهادهما من المشاق وفوت اللَّذات والشهوات، إنَّه الشيطان إنَّه العدو يقول تعالى: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾** [فاطر: 6]، والأمر باتخاذه عدوًّا تنبيهٌ على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته.

---

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج 67/3).

(2) ينظر: زاد المعاد، ابن القيم، (ج5/3-9).

لذلك فإنَّ جهاد النفس مقدمٌ على جهاد العدو وهو أصلٌ له، فإنَّ العبد ما لم يجاهد نفسه، أولًا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها في اللَّهِ لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهرٌ له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في اللَّه [1].

ثامناً: أهمية المجاهدة:

جاءت الأقوال في المجاهدة كثيرة ترغب فيها وتبين مدى أهميتها ومنها:

1. قال ابن القيم: " جهاد النفس أعظم الجهاد" [2].
2. قال عيسى عليه السلام: " طوبى لمن ترك شهوةً حاضرة لموعودٍ غائب لم يره"[3].
3. قال علي بن أبي طالب ﷺ: " إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم فإنَّ عاجلها ذميم وآجلها وخيم" [4].
4. قال أبو بكر الصديق ﷺ في وصيته لعمر ﷺ حين استخلفه:" إن أول ما أحذرك نفسك التي بين جنبيك" وقال عبد الله بن عمرو لمن سأل عن الجهاد: "ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزها"[5].
5. النفس "عدوٌ منازع يجب محاربتها" [6].

تاسعاً: قواعد مجاهدة النفس [7]:

1. إحياء حب الله في القلب حتى يكون حبه أرقى من حب النفس والأهل والولد والمال.
2. إحياء الخوف من الله بمطالعة هلاك الظالمين والفاسقين ونهاية المفسدين.
3. قوة الإرادة والعزيمة على مواجهة النفس بقوة الجناحين السابقين الخوف والرجاء.

---

(1) ينظر: زاد المعاد، ابن القيم ، (ج3/6-5).
(2) صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ج1/80).
(3) إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج3/66).
(4) أدب الدنيا والدين، الماوردي،(ص27).
(5) مجموع رسائل ابن رجب، الحنبلي، (ج3/157).
(6) إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج3/65).
(7) ينظر: الوسائل العملية لإصلاح القلوب، سلطان، (ج2/118-122).

عاشراً: كيف تجاهد نفسك:

على من أراد أن يجاهد نفسه أن " لا يترك لجامها، ولايهمل مقودها، بل يرخي لها في وقتٍ، والطول بيده، فما دامت على الجادة، لم يضايقها في التضييق عليها، فإذا رآها قد مالت، ردها باللطف، فإن ونت وأبت، فبالعنف، ويحسبها في مقام المداراة كالزوجة، التي مبنى عقلها على الضعف والقلة، فهي تداري عند نشوزها بالوعظ، فإن لم تصلح، فبالهجر، فإن لم تستقم، فبالضرب، وليس في سياط التأديب أجود من سوط عزم" (1).

حتى تجاهد نفسك اتبع هذه الأمور:

1. الاستعاذة بالله كما قال سيدنا يوسف في سياق قوله تعالى:﴿ **قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف:23].
2. غضُ البصر كما أمر الله في قوله: ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر:19].
3. الابتعاد عن ما يثير الشهوات، ويحرف الأخلاق عن السلوك السوي.
4. إشغال النفس بالحق؛ لأن العبد إذا لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل.
5. المواظبة على الدعاء؛ لأنَّه فيه راحة للعبد (2).
6. التوبة من الذنوب، والرجوع إلى الله.
7. التزام الصحبة الصالحة والابتعاد عن الأشرار.
8. الصبر على المجاهدة يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر:10].
9. قوة الإرادة والعزم على عدم اتباع الهوى والشيطان والاستعانة بالله على ذلك، والمثابرة على الطاعة، ومحاسبة النفس على الأقوال والأفعال والخواطر.
10. علاج آفة الإعجاب بالنفس، ومظهر اليأس من إصلاح النفس.(3).

---

(1) صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ج81/1)(الطول: الزمام، وَنَتْ: قصرت، النشوز: العصيان، سوط العزم: التهديد بالضرب) ينظر: المرجع نفسه.

(2) ينظر: مجاهدة النفس على ترك الشهوات المحرمة: سلطان 2017/5/30م (موقع إلكتروني).

(3) ينظر: كيف تجاهد نفسك، بدرية الراجحي (ص ص 20-26).

كما وتتحقق مجاهدة النفس بلزوم الاستغفار لما له من الآثار على العبد كما قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح:12]، وذكر الله في السر والعلن واستشعار مراقبته كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:10-11] والخوف من الله تعالى ومراقبته سراً وعلانيةً، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قّ:18] وإنَّ للسجود أيضاً عظيم الفائدة فعن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي(1)، خادم النبيِّ ﷺ ومن أهل الصفة ﵁ قال: (كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي :سَلْ، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ :أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَال فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ)(2).

الحادي عشر: ذم القرآن لمن اتبع الهوى:

لقد جاء القرآن بما فيه الهداية للناس وأرشدهم لطريق الحق من خلال الآيات البينات، وفي مقابل ذلك وردت آيات للتحذير وبيان الآثار المترتبة على اتباع الهوى: فيقول تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ا﴾ [النساء: 135]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:50]، وقوله تعالى: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُه فُرُطاً﴾ [الكهف:28] وقوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: 43]، وقوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: 26]، **وقوله تعالى:** ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ

(1) رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ بن مالك بن يعمر، أبو فراس الأسلمي، حجازي، أَسْلَمَ وَصَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ قَدِيمًا، وَكَانَ يَلْزَمُهُ، وَكَانَ مُحْتَاجًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، وَكَانَ يَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ولم يزل مع النبيّ ﷺ إلى أن قبض فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة، وبقي إلى أيام الحرّة، ومات بالحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجّة. أنظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد (ج313/4)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر(ج394/2) وصفة الصفوة، ابن الجوزي، (ص 247).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة/ باب فضل السجود والحث عليه، 353/1: رقم الحديث 489.

﴿الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 56]، والآيات في هذا السياق كثيرة اخترت البعض منها خشية الإطالة.

الثاني عشر: فوائد المجاهدة:

1. تعويد النفس على الصبر عند الشدائد وحبسها عن المعاصي واكسابها قدرة وصلابة على مواجهة الحياة .
2. المجاهدة طريقٌ يوصل للجنة والفوز برضوان الله .
3. قمع الشيطان وقهر وساوسه والاستعاذة منه.
4. جعل النفس خاضعة وملتزمة بطاعة الله .
5. تنقل الإنسان من عاداتٍ غير سليمة وتكسبه الخلق الحسن.
6. بمجاهدة النفس يصبح المجتمع نزيهاً، نظيفاً صفته السلامة[1].

إنَّ البدن إذا كان صحيحاً فالطبيبُ يضعُ قانوناً للحفاظ على صحته، وإن كان مريضاً فيسعى لجلب الصحة إليه، وقس على ذلك النفس إن كانت زكيَّةً طاهرة فينبغي المحافظة عليها وامدادها بمزيدٍ من القوة، أمَّا إن كانت عليلة فينبغي علاجها، وكما أنَّ العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة المرض لا تعالج إلا بضدها فكذلك مرض القلب لا يعالج إلا بضده فيعالج مرض الجهل بالتَّعلُّم ومرض البخل بِالتَّسخِّي ومرضُ الكبر بالتَّواضع ومرضُ الشَّره بالكف عن المشتهى تكلُّفًا وكما أنَّه لا بد من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المرِيضة فكذلك لا بدَّ من احتمال مرارة المجاهدة والصَّبر لمداواة مرض القلب[2].

---

(1) ينظر: نضرة النعيم، إشراف صالح بن حميد، (ج3316/8).

(2) ينظر: إحياء علوم الدين، الغزالي، (ج61/3).

المطلب الثالث:

(القاعدة الثالثة) محاسبة النفس

أولاً: المحاسبة لغةً واصطلاحاً:

1. المحاسبة لغة:

أ- ح س ب: "حاسبَ، يحاسب، مُحاسبةً وحِسابًا، فهو محاسِب، والمفعول محاسَب محاسبة النَّفس: فحص الضَّمير" [1].

ب- الحساب والمحاسبة: "عدّك الشّيء، وحسب الشّيء يحسبه، بالضّمّ، حسبا وحسابا وحسابة: عدّه. وحاسبه: من المحاسبة" [2].

2. المحاسبة اصطلاحاً:

أ- : "حبس الأنفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات"[3].

ب- "المحاسبة مفاعلة من الحساب وهو استيفاء الأعداد" [4].

النفس لغةً واصطلاحاً تم تعريفها.

ثانياً: مفهوم محاسبة النفس:

محاسبة النّفس:" أن يتصفّح الإنسان في ليله ما صدر من أفعال نهاره فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموما استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله فى المستقبل"[5].

وذكر ابن القيم أنَّ: محاسبة النفس هي " نظر العبد في حق الله عليه، ثمَّ ينظر هل أدى ذلك الحق كما ينبغي" [6].

---

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، (ج489/1).
(2) لسان العرب، ابن منظور، (ج313/1-314).
(3) المدخل، ابن الحاج، (ج14/1).
(4) التوقيف على مهمات التعاريف، الميناوي، (ص298).
(5) نضرة النعيم، صالح بن حميد ، (ج8 /3317).
(6) إغاثة اللهفان، (ص 152).

إنَّ محاسبة النفس تكون بمتابعة حركاتها وسكناتها والتدقيق في كل خاطراتها ومراجعتها أولاً بأول، وضبطها باستذكار العقاب الناتج على عصيانها وتمردها، والنعيم المترتب على انصياعها والتزامها، ويأتي مصداقاً لذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات:40-41].

ثالثاً: مشروعية المحاسبة:

القاعدة الثالثة هي محاسبة النفس فبعد أن تجاهد نفسك لتعدل سلوكها وتقيِّم اعوجاجها يلزم المحافظة على ذلك النتاج من الصبر بمحاسبة النفس، وقد جاء القرآن بمنهجٍ فريدٍ للحياة وطالبنا بمحاسبة أنفسنا حتى تستوي وترقى لما أُعدَّ لها من جزاء فيقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر:18]، هذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، فينبغي للعبد أن يتفقد نفسه فإن رأى زللاً تداركه وأقلع عنه، وتاب توبةً نصوحةً، ثمَّ يعرض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصراً في أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وينظر في عظيم نعم الله عليه وفضله وإحسانه وفي تقصيره تجاه كرم الله ؛ فذلك من شأنه أن يكسبه الحياء[1]، ويذكر ابن كثير في تفسيره أنَّ المقصود بقوله:" **(وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ)** أن حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم فهو عليمٌ بما تسرون وتعلنون" [2]، ويقول تعالى: ﴿**وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ [القيامة:2] فليس من نفسٍ برّةٍ ولا فاجرةٍ إلّا وهي تلوم نفسها فإن عملت خيراً استبشرت، وإن عملت سوءً ندمت، فنفس المؤمن هي التي تلومه، لأنَّ المؤمن الحقيقي يلوم نفسه ويحاسبها، وإنّ الفاجر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها[3]، والنفس اللوامة مرة تلوم على ترك الطاعة، ومرة تلوم على فوت ما تشتهي **[4]**.

وهذا اللوم والمحاسبة لأنَّ المسلم يعرف تماماً أنَّه سيجد ما عمل من خيرٍ أو شرٍ فيقول تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ**

---

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج358/1).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ص1854).

(3) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج82/10).

(4) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج2779/3).

بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30].

أمَّا السنة المطهرة فدعت أيضاً لمحاسبة النفس فعن أنس رضي اللَّه عنه، قال: (**إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ**)[1]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:(**لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاس إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَه**) [2]، وقد أجمع العلماء على وجوب محاسبة النفس [3].

رابعاً: أهمية المحاسبة:

لقد خلق الله النفس" شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيءٍ تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصا طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس بمثابة الحب الذي يوضع في الرحى، ولا تبقى تلك الرحى معطلة بل لا بد لها من شيءٍ تطحنه فمن الناس من تطحن رحاه حباً يخرج دقيقاً ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملاً وحصاً وتبناً، فإذا جاء وقت العجن تبيَّن له حقيقة طحينه" [4].

من أهمية المحاسبة:

1. المحاسبة طريق لتزكية النفس واستقامة القلب.
2. هي نتاج الخوف من الله ودليل على صلاح الإنسان.
3. طريق للتوبة.
4. يترتب عليها الكثير من الآثار الإيجابي [5].

بعض ما قيل عن محاسبة النفس:

1. عندما كتب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كتاباً لعماله قال في آخره: «أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدَّة؛ فإنَّه من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدَّة، عاد مرجعه

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقائق/ باب ما يتقى من محقرات الذنوب، 8 /103: رقم الحديث 6492.

(2) صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق/ باب ذكر الإخبار بأنَّ الشَّديد الَّذي غلب نفسه عند الشَّهوات والوساوسِ، 493/2: رقم الحديث 717، أخرجه البخاري بسنده بلفظ(وليس الشديد بالصرعة..)، كتاب الأدب، باب، الحذر من الغضب،1928/4، رقم الحديث:6114.

(3) ينظر: المدخل، ابن الحاج (ج14/1).

(4) تربية النفس، عيساوي. (موقع إلكتروني).

(5) ينظر: محاسبة النفس، العايد، (موقع إلكتروني).

إلـى الرضـاء والغبطـة، ومـن ألهتـه حياتـه وشـغله مَهوَاهُ عـاد مرجعـه إلـى النَّدامـة والحسـرة، فتذكَّر ما توعظ بِه لكي تنتهيَ عما تُنهى عنه" [1].

2. رُوِي عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أنَّه قال: " حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى" قال تعالى: **﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾** [الحاقة:18] [2].

3. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " لابد للعبد من أوقاتٍ ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه وما يختص به" [3].

4. قال ابن القيم: " أجمع العارفون بالله أنَّ التوفيق هو أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأنَّ الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، والمعنى أنَّ الله إذا أراد بعبده الخير يعصمه من نفسه وشهواتها، أمَّا من ركن إلى نفسه فقد حرم توفيق الله" [4].

5. عن ميمون بن مهران[5]، قال: " لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشدُّ محاسبةً من الشريك لشريكه وقيل لا يزال العبد بخيرٍ ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبة همته" [6].

6. قال بعض البلغاء: " من قوى على نفسه تناهى في القوة ومن صبر عن شهوته بالغ في المروة فحينئذٍ يأخذ نفسه عند معرفة ما أكنت، وخبرة ما أجنت بتقويم عوجها وإصلاح فسادها" [7].

---

(1) الزهد الكبير، البيهقي، (ج192/1).

(2) المدخل، ابن الحاج، (ج12/1).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج10 /426).

(4) مدارج السالكين، ابن القيم، (ج413/1).

(5) ميمون بن مهران الجزَريُّ الإمامُ، الحُجَّة، عالم الجزيرة، ومفتيها، يكنى أبو أيوب الجزريُّ، الرَّقي، أعتقتهُ امرأةٌ من بني نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثمَ سكن الرَّقة قيلَ: إنَّ مولده عام موت علي ﷺ سنة أربعين. حدّث عن أبي هريرة وعائشة وابن عمر ينظر سير أعلام النبلاء: الذهبي، (ج5/71-72)، قال عمرو بن ميمون " ما كان أبي بكثير الصيام والصَّلاة، ولكنَه كان يكره أن يعصى الله". ينظر: حلية الأولياء، الأصبهاني، (ج82/4) توفيَّ سنة سبع عشرة ومائة. ينظر صفة الصفوة، ابن الجوزي، (ص799).

(6) محاسبة النفس والإزراء عليها، أبي الدنيا،(ص 25).

(7) أدب الدنيا والدين، الماوردي، (ص246).

هذا بعض ما جاء من الأقوال في محاسبة النفس، فمن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في يوم القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته [1].

خامساً: كيف تحاسب نفسك:

إذا أردنا محاسبة أنفسنا يجب علينا أن نعلم أنَّ هناك نوعين من المحاسبة:

النوع الأول: محاسبةٌ قبل العمل:

إذا همَّت نفس العبد لعملٍ معين وجب عليه أن ينظر لذلك العمل من خلال أربع وقفات:

الوقفة الأولى: هل هذا العمل مقدور عليه أم غير مقدور عليه؟

الوقفة الثانية: أيُّ الأمر خير فعله أو تركه؟

الوقفة الثالثة: هل غاية العمل مرضاة الله أم حباً للجاه والثناء؟

الوقفة الرابعة: هل للعبد أعوانٌ على هذا العمل؟

النوع الثاني: محاسبةٌ بعد العمل: وهي ثلاثة أنواع:

الأول: محاسبة النفس على عملٍ قصرت فيه من حق الله.

الثاني: محاسبة النفس على أمرٍ كان تركه خيرٌ من فعله.

الثالث: محاسبة النفس على أمرٍ مباحٍ أو اعتاد العبد على فعله، لم فعله وهل أراد الدار الآخرة ليكون رابحاً؟ [2].

خطوات المحاسبة:

تبدأ محاسبة النفس أولاً على الفرائض فإن وجد العبدُ فيها النقص تداركه بقضاءٍ أو إصلاح، ثمَّ يحاسب نفسه على المناهي، فإن وجد نفسه قد اقترف منها شيئاً بادر بالتوبة والاستغفار، ثم يكون الحساب على الغفلة، فإن غفل العبد عما خلق له عجَّل بالذكر والإقبال على الله، ثمَّ يحاسب نفسه على ما اقترفته جوارحه على ما نطق به لسانه، وما خطت إليه أقدامه، وما بطشت به يداه أو سمعته أذناه [3].

---

(1) ينظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن، (ج163/1).

(2) ينظر: إغاثة اللهفان، ابن القيم،(ص ص138-139).

(3) ينظر: المرجع السابق (ص 140).

سادساً: ثمرات المحاسبة:

إنَّ محاسبة النفس لها ثمارٌ طيبة تعاهدها صاحبها حتى أينعت وبات ينتظر قطافها ومن هذه الثمار:

1. تخفيف حساب يوم القيامة، لأنَّ العبد كان ينقي نفسه من الذنوب أولاً بأول.
2. الوصول إلى مرحلة متقدمة من الهدى والاستقرار عليه.
3. علاج أمراض القلب بشتى أنواعها.
4. اكتشاف مساوئ النفس وعيوبها واصلاحها.
5. العصمة من الغرور والتكبر [1].
6. استشعار المسلم للهدف الذي وجد لأجله.
7. الاجتهاد في الطاعة والبعد عن المعاصي.
8. تحقيق السعادة في الدارين [2].
9. الاطلاع على عيوب النفس مما يولد الحياء من الله.
10. دوام الخشية من الله وازدياد العمل الصالح [3].

المطلب الرابع:

(القاعدة الرابعة) استقامة القلب

أولاً: الاستقامة لغةً واصطلاحاً:

1. الاستقامة لغة:

أ- قَوَمَ:" القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على جماعة ناسٍ، وربَّما اسْتُعير في غيرهم"[4].

---

(1) ينظر: المحاسبة، المنجد،(ص ص 22-29).

(2) ينظر: محاسبة النفس، العايد (موقع إلكتروني).

(3) ينظر: محاسبة النفس، بالي، (ص ص213-218).

(4) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج43/5).

ب- الإِسْتِقَامَةُ: "الاعتدال يقال: (اسْتَقَامَ) له الأمر. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: 6] أي: في التَّوجُّه إليه دون الآلهة" [1].

ت- الاسْتِقَامَةُ: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، واسْتَقَامَ: اعتدل واستوى[2].

2. الاستقامة اصطلاحاً:

أ- الجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، والاحتراز عنها، وقيل هي ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد بطريق العبودية، بإرشاد الشرع والعقل [3].

ب- " استقامة الظاهر مع الخلق والباطن مع الحق" [4].

ت- سلوك الصراط المستقيم وهو الدين القيِّم من غير تعريج عنه يمنةً ولا يُسرة ويشمل وذلك بفضل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة والابتعاد عن المنهيات، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها [5].

ث- "هي العمل بكمال الشَّريعة بحيث لا ينحرِف عنها قيد شبرٍ" [6].

مفهوم استقامة القلب:

أ- " استقامة القلب محبة الله المتقدمة على جميع المحاب، وتعظيم الأمر والنهي الناشئين عن تعظيم الآمر والناهي" [7].

ب- "امتلاء القلب بمحبة الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته"[8].

(إنَّ استقامة القلب استغراق محبة الله القلب، وعزوفه عن محبة ما سواه وتحقيق تلك المحبة بفعل المأمور وترك المحظور).

---

(1) مختار الصحاح، الرازي، (ج262/1).

(2) لسان العرب، ابن منظور، (ج498/12).

(3) ينظر: التعريفات، الجرجاني، (ص ص19-20).

(4) التوقيف على مهمات التعاريف، الميناوي، (ص49).

(5) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (ص474).

(6) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج175/12).

(7) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم، (ج8/1).

(8) التوحيد، ابن رجب،(ص64).

1. **جاءت الاستقامة على عدَّة وجوهٍ في القرآن الكريم** [1]:

الأوّل: بمعنى تبليغ الرّسالة: كقوله تعالى: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾** [هود:112]
الثَّاني: بمعنى الدّعاءِ، والدّعوة كقوله تعالى: **﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيْمَا﴾** [يونس:89]
الثالث: بمعنى الإقبال على الطَّاعة: عن عبد اللَّه بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ "**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةَ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**"[2]،
الرّابع: بمعنى الثبات على التوحيد والشهادة: **﴿إِنَّ الذِيْنَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوْا﴾** [فصلت:30].

ثانياً: أقوال الصحابة في الاستقامة:

لقد جمع ابن القيم كلام الصحابة عن الاستقامة على النحو التالي:

1- سئل صدّيق الأمّة وأعظمها استقامة أبو بكرٍ ﷺ عن الاستقامة فقال:" أن لا تشرك بالله شيئاً".

2- أمَّا عمر ﷺ قال: " الاستقامة أن تستقم على الأمر والنهي، ولا تروغ كروغان الثعلب".

3- قال عثمانﷺ: " الاستقامة إخلاص العمل لله".

4- قال عليٌّﷺ: "الاستقامة أداء الفرائض" [3].

رابعاً: أهميّة الاستقامة:

يأتي الحديث عن الاستقامة وهي القاعدة الرابعة لنجاة الدرب وسلامة الطريق، وهذه القاعدة مرتبطة بسابقاتها من القواعد، فبعد تمهيد الطريق أمام القلب بتخلية طريقه من كل عوارض الشهوات، وتحليتها بالإيمان، وتزينها بالطاعات تبدأ مرحلة المجاهدة للحفاظ على السير الآمن، ومن ثمَّ محاسبة النفس إذا أخطأت أو زلت وبعد ذلك تتحقق الاستقامة بالتزام المنهج القويم الواضح المعافى من الاختلال والاعوجاج، ولا يكون ذلك إلا باتباع الطريق المستقيم الذي تكفل الله ﷻ ببيانه، وأرسل نبيه ليرشدنا إليه، ولقد جاء في سورة الأنعام مجموعة من الوصايا تنهى عن أخلاقٍ فاحشةٍ، وعاداتٍ قبيحةٍ، وترسخ في النفوس حقيقة الاستقامة

---

(1) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، (ج146/2).

(2) سنن ابن ماجة، ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها/ باب المحافظة على الوضوء، 185/1: رقم الحديث 278، صححه الألباني في تمام المنة في التعليق على فقه السنة،(ج234/1).

(3) مدارج السالكين، ابن القيم، (ج104/2).

القائمة على العدل والإحسان، والوفاء بالعهد، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ*وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:151-153]، هذه جملةٌ من الوصايا ختمها الله بقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ) وذلك إشارةٌ لعموم شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ وبيان ما تضمنته من التزامٍ بعقائدٍ وعباداتٍ وأحكامٍ وأخلاقٍ، وما نهت عنه من اتباع الملل والنحل الضالة، وهذا جوهر الإسلام، وروح الإيمان، وغاية الرحمن، فمن تبعه وفق، ومن أعرض عنهُ حاد عن الطريق المستقيم(1).

ثمَّ بين الله في نفس السورة حقيقة الطريق المستقيم فقال: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:161-165]، هذا المقطع من الآية يتصف بالبراعة والتناسب مع أسلوب السورة، الذي ابتدأ بخطاب النبيّ ﷺ بكلمة (قل) وحكى حال أهل الشرك المبدوء بكلمة(قالوا) مع بيان شبههم، وإقامة الحجة عليهم، وجاء بخاتمة جامعة من قول النبيّ ﷺ لما فصِّل في سياق السورة وهو الصراط المستقيم، والدين القيم، وهو ملة إبراهيم، أي: قل أَيُّها الرَّسول لقومك وسائر الأمة وهم جميع البشر: أنَّ الله أرشدني إلى طريق مستقيم بفضل وحيهِ، من يسلكه يصل إلى سعادة الدَّارين(2).

---

(1) ينظر: الوصايا العشر في سورة الأنعام، سحلول، (ص353).

(2) ينظر: المنار، محمد رشيد رضا، (ج210/8-211).

وقال أيضاً في بيان قيام دعوة النبيّ صلى الله عليه على الاستقامة: **﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ *يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [المائدة:15-16]، لقد بعث الله الرسول لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، ليكشف عن الأمور التي أخفوها وهي متعلقة بالأحكام الشرعية، ويتجاوز عن ما سواها لعدم فائدة من بيانها إلا مجرد افتضاح أمرهم المخزي والمشين، ثمَّ جاء استئناف الكلام بقوله: **(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)** ليؤكد أنَّ بعثة محمد ﷺ لها مقاصد أخرى فهي غير مقتصرة على البيان، وقيل أنَّ النور أراد به، محمداً، أو الإسلام ولا تعارض بينهما، والكتاب المبين هو القرآن[1]، فيهدي به من آمن سبل السلام وهي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب[2]، وهي" مناهج الاستقامة " [3]، وهي شريعته التي حرَّرت القلوب والعقول من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان والهداية، يهديهم بها إلى الطريق المستقيم الذي يتوصلون به إلى الحق، وهو" أقرب الطرق إلى الله سبحانه وتعالى ومؤدٍ إليه لا محالة" [4].

ولقد جاءت دعوة الله للنبيِّ ﷺ إلى التَّوحد على الملَّة الحنيفة والاستقامة عليها، قال تعالى: **﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ*فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** [الشورى:14-15] ، لم يتفرق أهل الأديان المختلفة إلا وهم يعلمون ببعث محمد وصفته، ولولا أن أخر الله عذابهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم بالعذاب، والذين أورثوا الكتاب من اليهود والنصارى[5]، ومشركوا العرب لفي شك مما جئتهم به من الدين الحق وهو

---

(1) ينظر: فتح القدير، الشوكاني،(ص 361).

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج19/3).

(3) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص597).

(4) أنوار التنزيل، البيضاوي، (ج120/2).

(5) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج 306/8-307).

الإسلام، وشكهم في غاية الريبة والاضطراب النفسي[1]؛ فلأجل ذلك التفرق والاختلاف ادع إلى الاتفاق على الملَّة الحنيفة، واستقم عليها وحافظ على الدعوة إليها كما أُمرت، ولا تلتفت لأصحاب الأهواء الباطلة، وقل آمنت بجميع الكتب المنزلة من عند الله[2].

ثمَّ يقول الله تعالى آمراً الرسول ﷺ الأكمل خلقاً والأكثر تنزيهاً واتصافاً بالاستقامة : **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** [هود:112] وجَّه الأمر في هذه الآية للنبيّ ﷺ تنويهاً لمكانته وأنَّه هو المتلقي الأول للأوامر الشرعية، وتنبيهاً بمقام رسالته،" ثمَّ جاء الخطاب لأمَّته ؛ لأنَّها تبعٌ له، وتشبيه الاستقامة المأمور بها بما أمر به النبيّ ﷺ هو تشبيه المجمل بالمفصَّل في تفصيله بأن يكون طبقه، أي لا تتغيَّر ولتشبه أحوالك المستقبلة حالتك هذه، وقد جمع قوله (**فاستقم كما أمرت**) أصول الصلاح الدينيّ وفروعه، وقال ابن عبَّاس: ما نزل على رسول اللَّهِ ﷺ آيةٌ هي أشدُّ ولا أشقُّ من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشَّيب (شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا)" [3]، "والاستقامة التي أمر بها هي لزومه الصراط المستقيم الَّذي لا عوج فيه والثَّبات عليه وَاتِّقاء الاختلاف فيه، هو ومن تاب معه من الشّرك وآمن به واتَّبعه وأن لا يطغوا فيه بتجاوز حدوده غُلوًا في الدِّين، فإنَّ الإفراط فيه كالتفريط كلٌّ منهما زيغٌ عن الصِّراط المستقيم، وهو يدلُّ على وجوب اتّباعِ النصوص في الأمور الدِّينِيَّة وهي العقائد والعبادات" [4].

من الملاحظ في هذه الآية أنَّ الأمر الصريح فيها بدعوة النبيّ ﷺ وأصحابه للاستقامة، جاء ليكشف الستار عن مراد الشيطان وغرضه الذي يسعى إليه، وهو إضلال بني آدم وإبعادهم عن الاستقامة، أليس هو القائل: **﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** [الأعراف:16]، وهذا الأمر للنبيّ ﷺ إنَّما هو للثبات على الاستقامة، ولغيره أمرٌ بها وبالثبات عليها [5].

وقد عمل الرسول ﷺ بما أمر به وبين أنَّ عمود الإسلام وأساسه الاستقامة، فعن سفيان بن عبد الله الثقفيّ قال: قلت: يا رسول الله، قُل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك :

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج599/4-600).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، (ج589/27).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج176/12) (بتصرف يسير).

(4) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (ج136/12-137).

(5) ينظر: قواعد قرآنية ، المقبل،(ص 230).

قال: "**قُلْ :آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ** " (1).

وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ** »(2).

والسَّداد هو:" الوصول إلى حقيقة الاستقامة، والإصابة في جميع الأقوال والأعمال والمقاصد، والمقارَبة: القرب من مرتبة السداد، فالمسلم أمامه مرتبتان؛ فهو مطالب أن يجتهد في الوصول إلى المرتبة الأولى، وهي السداد، فإن اجتهد ولم يصبها فلا يفوتنه القرب منها بالوصول إلى المرتبة الثانية، وهي المقاربة، وما سواهما تفريط وإضاعة " (3).

إنَّ الالتزام بالاستقامة أمرٌ في غاية الصعوبة لذلك فإنَّها تتطلب من العبد كامل اليقظة وعدم الغفلة (4).

ومن فضل الله علينا أن فرض علينا صلواتٍ خمسٍ ندعو يومياً فيها بالهداية إلى الصراط المستقيم وهي فاتحة الكتاب قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:6] أي: اهدنا الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الله وهو الإسلام وهو دين الحق، ولما كان المسلم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وأمره كله بيد الله، كان لزاماً عليه أن يسأل الله الهداية والتثبيت عليها بهذا الدعاء (5)، "والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علما وعملا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك" (6).

لقد جاءت هذه الدعوة للإرشاد إلى طريق الجنة والثبات على الإسلام ومع أنَّ المؤمنين رزقوا الهداية، إلا أنَّهم طلبوا الاستزادة منها(7).

فإذا خوطب النبيُّ ﷺ بهذه الآيات وأصحابه كذلك وهو عنوان للاستقامة وأهلٌ لها حتى من قبل أن يكون نبيَّاً، فما القول في حالنا وما نحن عليه من الاعوجاج والانحراف عن ديننا والبعد

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب جامع أوصاف الإسلام، 65/1: رقم الحديث 38.
(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقائق/ باب القصد والمداومة على العمل، 98/8: رقم الحديث 6464.
(3) ينظر: سددوا وقاربوا، الدوسري، (موقع إلكتروني).
(4) تفسير الخواطر، الشعراوي، (ج6708/11).
(5) ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، (ج771-772).
(6) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج39/1).
(7) ينظر: معالم التنزيل: البغوي، (ج75/1-76).

عن تطبيق شريعتنا، إنَّ حالنا يرثى له وإننا بحاجةٍ لإعادة ترميمٍ لقلوبنا وصيانةٍ شاملةٍ لعلها تهتدي وتستقيم.

سادساً: أصل الاستقامة:

أصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد وهذا ما فسر به أبو بكر ﷺ قوله تعالى: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [الأحقاف:13]، بأنَّهم لم يلتفتوا إلى غيره فمتى استقام القلب على معرفة الله، وخشيته وإجلاله ومهابته، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارح كلها على طاعته تبعاً للقلب[1]، أي: إنَّ الذين التزموا بطاعة الله وداوموا علي الاستقامة مدة حياتهم هم في أمانٍ من الله وحفظه ومعيته، لا يخافون من شرٍ قد يُلمُّ بهم، ولا يحزنون ويأسفون على ما عملوه سابقاً، فهم أصحاب الجنة بامتياز، ملازمون لها، خالدين فيها جزاءً للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها[2].

لقد جمعوا بين التوحيد والاستقامة على الشريعة، وهذا أصل الدين، والترغيب في هذه الآية له ما بعده من الأثر؛ لأنَّ نفي الخوف والحزن على الدوام والاستقرار في الجنة للأبد ممَّا تسعى له الأنفس وتتوقُ إليه[3].

إنَّ استقامة القلب هي الأصل الذي يتفرع عنه أنواع الاستقامة الأخرى، ثمَّ تأتي بعد ذلك استقامة اللسان في المرتبة الثانية، فإذا استقام العبد فيما يقول وابتعد عن النميمة والكذب والغيبة والطعن في الناس استقامت بقية الجوارح، فقد بين الرسول ﷺ خطورة اللسان في حديث معاذ بن جبل قال: "**كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا،......إلا أن قال أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ.**" [4]،" ثمَّ يأتي بعد اللسان العين لأنَّها الطريق

---

(1) ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب،(ص 476).

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ، (ج780/1).

(3) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ج21/5).

(4) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة، 308/4: رقم الحديث 2616، صححه الألباني في موارد الظمآن،(ج105/1)، رقم الحديث:20.

المختصرة للقلب فوجب صيانتها عن كل المحرمات، ثمَّ يليها الأذن فيجب منعها عن سماع المحرمات التي ترسخ في القلب فتحرفه عن الصراط المستقيم، كما أنَّ استقامة باقي الجوارح لها أثرٌ في استقامة القلب وصلاحه فكلها مسئولة قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء:36]" [1].

سابعاً: جزاء الاستقامة :

يبين الله جزاء الذين استقاموا فقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ *نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ** ﴾ [فصلت:30-32].

الاستقامة في هذه الآية " تشمل معنى الوفاء بما كُلِفوا بِه وأوَّل ما يشمل من ذلك أن يثبتوا على أَصل التَّوحيد، أي لا يغيرُوا ولا يرجعوا عنهُ" [2].

ومن هذه الآية وحدها نستخلص عدة ثمار:

1. **تنزل الملائكة:** إنَّ الاستقامة لها عظيم الشأن، ولها فضلٌ على المؤمنون الذين تبثوا على التوحيد ووفوه حقه واستقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً، فأولئك تَتنزَّل عليهم الملائكة عند الموت بالبشرى، وقيل أنَّ البشرى في ثلاثة مواطن فتكون عند الموت، وفي القبر وإذا قاموا من قبورهم وهذا خير الجزاء [3]، وذكر نزول من باب الكرامة للمسلم حين تتنزل عليه الملائكة كما تتنزل على الأنبياء والرسل[4].
2. **الطمأنينة والسكينة:** في قوله (**أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا**) أي: لا تخافوا من أمر الآخرة ولا على ما تقدمون عليه، ولا تحزنوا على ما خلَّفتم من الأهل، فإنا نخلفكم في ذلك كله وأمَّا ذنوبكم فإني أغفرها لكم[5].

---

(1) الاستقامة، برهامي، (ص 7).

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج282/24).

(3) ينظر: الكشاف ،الزمخشري، (ج198/4-199).

(4) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج284/24).

(5) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، (ج137/17).

3. **البشرى بالجنـة:** يقول الله تعالى لعباده: أَبشروا بالجَّنـة الَّتي وعدتكم بِها فـي الدُّنيا فإنَّكم ستستقرون فيها وتتخلدون فِي نعيمها ثمّ زاد الله في البشريات وقال: نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ونحن المتولين بحفظكم والرازقين لكم ما تشتهون، ومن كان اللَّهُ وليه فاز بكل مطلبٍ ونجا من كل مخافةٍ [1].

ومن ثمرات الاستقامة سعة الرزق في الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَأَلَّـوِ اسْـتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا**﴾ [الجن:16] أي:" وأوحى إليه أنه لو استقام الإنس والجن على ملة الإسلام، لوسّعنا عليهم أرزاقهم، ولبسطنا لهم في الدنيا، وإنما خص الماء الغدق بالذكر، لأنه أصل المعاش، وكثرته أصل السعة " [2]، والماء الغدق هو: "الكثير ومن كلام العرب فرسٌ غيداقٌ إذا كان كثير الجري، والمقصود أكثرنا لهم المال والنعم؛ لأنَّ الماء سبب ذلك"[3]. إنَّ المسلم إذا التزم، بالاستقامة وحافظ عليها، كانت بمثابة طوق النجاة له من هموم الدنيا، والفوز برضا الحق تبارك وتعالى، ونيل الدرجات العليا في جنة الفردوس تفضلاً من الله سبحانه وتكريماً لمن يستقيم.

---

(1) ينظر: فتح القدير، الشوكاني، (ج590/4).

(2) تفسير المراغي، (ج101/29).

(3) تفسير القرآن، السمعاني، (ج69/9).

الفصل الثالث

أثر إحياء القلوب وصلاحها

المبحث الأول
أثر إحياء القلب وصلاحه على الفرد
المطلب الأول:
إصلاح النفس وجمع شتاتها

أولاً: الإصلاح لغةً واصطلاحاً:

1. الإصلاح لغةً:

أ- مادة الإصلاح: "مشتقةٌ من الفعل أَصلَحَ، صلَّح، صلُح، وتدل على تغييرٍ في حالة الفساد، أي إزالة الفساد عن الشيء" [1].

ب- " استصلح الشيء ضد استفسد، والصلاحية الحالة التي يكون بها الشيء صالحاً"[2].

ت- الإصلاح: هو الإتيان بالصلاح، أَصْلَحَ، أتى بالصلاح وهو الخير والصواب، وأصلح بينهم بمعنى وَفَقَ [3].

2. الإصلاح اصطلاحاً هو:

أ- "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد، وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة "[4].

ب- " جعل الشيء صالحاً، وحقيقة الصلاح تقوم على إزالة الفساد وفعل الخير"[5].

ت- " اتباع ذلك العمل السيء التأثير على النفس عملاً يضاده، ويذهب بأثره من قلبه حتى يعود إلى النفس زكاؤها وطهارتها، وتصير كما كانت من قبل أهلاً لنظر الرب"[6].

ث- " استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل"[7].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، (ج516/2).
(2) مقاييس اللغة، ابن فارس، (ج303/3).
(3) ينظر: المصباح المنير، الفيومي، (ج345/1).
(4) مجالس التذكير، ابن باديس، (ج73/1).
(5) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج154/2).
(6) تفسير المنار، رضا، (ج450/7).
(7) معجم الكليات، للكفوي، (ج116/3).

ثانياً: إصلاح النفس:

هو ضرورة إنسانية لإنقاذ الإنسان من الهلاك المبين، وهو عمل إصلاحي يهدف له الجميع، وغاية نبيلة سيكون من خلالها الإنسان إنسانًا[1].

(والتعريف الذي تجده الباحثة مناسباً لإصلاح النفس بعد الاطلاع على التعريفات السابقة، هو إزالة الفساد ومحو آثاره والتخلص من كل رواسبه العالقة بالقلب، وتطهير النفس وترويضها على فعل الخير والصلاح).

إنَّ من عظمة الإسلام ورفعته أن نظَّم الأولويات في الحياة فجعل إصلاح النفس مقدَّم على أي إصلاحٍ آخر، فإنَّ أول أثر لحياة القلب هو إصلاح النفس، لهذا كان المنهج المتبع في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم، البدء بإصلاح النفوس وتزكيتها، وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها، ولهذا أكد الإسلامُ على إصلاح النفوس، وبين أنَّ تغيُر أحوالِ الناس وتغيِّر أوضاعهم تبعٌ لتغيُّر ما بأنفُسهم من معانٍ وصفات فذكر الله تعالى في كتابه المُحكم: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [الرعد:11] أي: " إنَّ الله لا يغير ما بقومٍ من العافية والنعمة حتَّى يغيّروا ما بأنفسهم أي: من الأعمال الصالحة أو ملكاتها "[2]، فالعمل الصالح سبب لدوام النعم.

هذه الآية عظيمة في معناها فلن يتغير قومٍ في حالهم حتى يقوم كل فرداً بتغيير ما بداخله بشكل صحيح وبشكل مدروس للأحسن تلك قاعدة بسيطة ومفهومة جداً لِكُل إنسان عاقل، فلن نستطيع إصلاح حال القوم بدون أن نُصلح أنفُسنا أولاً، فلو قام كل فرداً بإصلاح نفسه وذاته وتصرفاته لانصلح حال الجميع، كذلك يخبر تعالى عن سنة من سننه في خلقه ماضية فيهم فهو لا يزيل نعمة أنعم بها على عباده من عافية وأمن ورخاء بسبب إيمانهم وصالح أعمالهم إلاَّ إذا تغيرت نفوسهم وسرائرهم بسبب ارتكابهم للذنوب وغشيانهم للمعاصي، وإهمال شرع الله وتعطيل حدوده والانغماس في الشهوات والضلالات[3]، نستنتج من هذه الآية أنَّ النفس ركيزة التغيير، وأنَّها إذا استقامت ضمنت لصاحبها السلامة، وإذا اعوجت أوجبت لصاحبها الهلاك.

---

(1) إصلاح النفس، الحيدري، (ص34).

(2) محاسن التأويل، القاسمي (ج266/6).

(3) ينظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري (ج14/3).

لقد كانت قلوب البشر في الجاهلية بعيدةً كل البعد عن ملامح الحياة السليمة، فلم تكن تحتكم لدين قويم ولا لشريعة سمحاء، وكانت المسافة بين الإسلام وبين واقع الناس في الجزيرة العربية مساحةٌ شاسعةٌ، وكانت الفجوة كبيرة، والانتقال من واقع تسانده أحقابٌ من التاريخ، وألوانٌ من القوى، إلى واقعٍ جديد لا يهدف لتغيير العقائد والقيم فحسب، بل يسعى لتغيير الأنظمة، والشرائع، والقوانين، فكان منهج النبي ﷺ في إحداث تلك النقلة أن بدأ بالنفس البشرية، فصنع منها الرجال العظماء الذين أخرجوا المجتمعات من الظلمات إلى النور [1].

فإذا ما نظرنا في سيرة سيدنا محمد ﷺ نجد أنَّه حرص حرصاً شديداً على إصلاح الأفراد وإرشادهم؛ "لأنَّه يعلم أنَّ دولة الإسلام التي يسعى لقيامها لا تبنى إلاَّ على أكتاف الرجال الأقوياء الذين يقدرون على حمل رسالة الدعوة، والنهوض بالأمة، وكان يدرك أنَّ سر القوة، والعزة، والنصر، والتمكين لا تكون إلاَّ بتربية الفرد الصالح، الذي يؤمن بمبدأ التضحية في سبيل الدين، وفي سبيل إحياء الأمة" [2].

لذلك " لن يقدر على إصلاح أهل الدنيا من لا يقدر على إصلاح أهل منزله، ولا يقدر على إصلاح أهل منزله من لا يقدر على إصلاح نفسه، فينبغي أن تقع البداية بإصلاح القلب، وسياسة النفس، ومن لم يصلح نفسه وطمع في إصلاح غيره كان مغروراً "[3].

إنّ لإصلاح النفس وتربيتها تربية إيمانية نتائج مثمرة يانعة، ومن أهم هذه النتائج إصابة خيري الدنيا والآخرة، وحبّ الله ومعيته، والبشارة عند الموت، والنجاة من العذاب، وإقبال الخلق عليه، وغير ذلك من الثمار الطيبة.

ثالثاً: صفات أصحاب النفوس الصالحة:

1. **قوة الإيمان:** من صفات العبد الصالح قوة الإيمان التي تظهر بالتزامه بشرع الله، والاستسلام والانقياد له، واحترام حدوده، ومراعاة أوامره ونواهيه، " إذ أنَّ الإيمان اسمٌ جامعٌ لشرائع الدين، وعقائده، وأخلاقه، وأعماله الظاهرة والباطنة، فالإيمان هو الدين كله"[4] قال تعالى: **﴿ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾** [النور:52].

---

(1) ينظر: المنهج النبوي في بناء القيم في العهد المكي: الصلابي (موقع إلكتروني).

(2) بناء الفرد وأثره في تكوين الأمم والحضارات، العودة، (ص5).

(3) موسوعة مصطلحات الإمام الغزالي، العجم، (ص 68).

(4) حلاوة الإيمان، الجنزوري، (ص6).

2. **حسن التوكل على الله** : الآيات الدالة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ** ﴾ [الرعد:30] أي" كما أرسلنا المرسلين قبلك أرسلناك أيها الرسول في أمة قد مضت مِن قبلها أمم المرسلين؛ لتتلو على هذه الأمة القرآن المنزل عليك، وحال قومك الجحود بوحدانية الرحمن، قل لهم أيها الرسول: الرحمن الذي لم تتخذوه إلهًا واحدًا هو ربي وحده لا معبود بحق سواه، عليه اعتمدت ووثقت، وإليه مرجعي وإنابتي"[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ** ﴾ [الشعراء: 217] وقوله تعالى: ﴿ **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ** ﴾ [النمل: 79].

إنَّ التوكل على الله يجب أن يكون شعار المسلم فهو ركيزته بعد الأخذ بالأسباب.

3. **بغض أعداء الله وعدم المداهنة لهم:** قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الممتحنة:1]، وقال أيضاً:﴿ **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة:22].

4. **الصمود أمام الفتن:** وهو من علامات الإيمان القوي قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ*وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت:2-3]، " أي أحسبُوا أنفسهم متروكين بلا فتنةٍ بمجرَّدِ أن يقولوا آمنَّا أو أحسبوا تركَهم غير مفتونين بقولهم آمنَّا، والمعنى إنكارُ الحُسبان المذكور واستبعادُه وتحقيقُ أنَّه تعالى يمتحنُهم بمشاقِّ التَّكاليفِ كالمهاجرةِ والمجاهدة ورفضِ ما تشتهيةِ النَّفسُ ووظائفِ الطَّاعاتِ وفنونِ المصائبِ في الأنفسِ والأموالِ ليتميَّز المخلصُ من المنافقِ والرَّاسخُ في الدِّينِ من المتزلزلِ فيه ويجازيَهم بحسبِ مراتبِ أعمالِهم" [2].

5. **الإخلاص لله ﷻ** : ناشئٌ من الإيمان القوي، بحيث يلبس العبد لباس التقوى، ويفترش قيم الدين الإسلامية، ويتلحف بالأخلاق والفضيلة عن حب وقناعة، إذ يتغلغل الإيمان إلى أن يصل إلى عمق القلب فيستقر فيه، ولا يكون مجرد عادة أو ممارسة أو موروث وجدنا

---

(1) التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، (ج253/1).

(2) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج29/7).

آباؤنا عاكفون عليه، قال تعالى: **﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾** [الزمر:2]، بين الله ﷻ أنَّ هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق وأتبعه ببيان بعض ما فيه من الحق وهو اشتغال الإنسان بعبادة الله على سبيل الإخلاص(1)، لذلك إنَّ أساس قبول الأعمال الإخلاص فيها.

6. **الحب في الله واستشعار الأخوة للمؤمنين:** عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:(**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)** (2)، من أهم العلامات التي يجب أن يوسم بها العبد الصالح، محبة الآخرين، ورجاء الخير لهم جميعاً.

7. **نصرة الحق:** الصراع بين الحق والباطل قائم وهو سنة أزلية باقية، قد أقرها القرآن في كثيرٍ من آياته منها قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾** [محمد:3]، وقوله تعالى: **﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾** [الكهف:56].

إنَّ صراع الباطل ونصرة الحق يلزمه صبرٌ، وتضحية، وجرأة، وكل هذه الصفات تتوافر في العبد الصالح.

8. **الثبات في العسر كما الثبات في اليسر:** المؤمن القوي يتماسك أمام المصائب ويثبُت بين يدي البلاء راضيًا بقضاء الله وقدره، وقد صور هذا الحال رسولُنا ﷺ حين قال : **(عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ، إنَّ أمرَه كلَّه خَير، وَلَيسَ ذَلكَ لأحَدٍ إلاّ لِلمؤمنِ؛ إن أصابَته سرّاءُ شكَر فكانَ خيرًا له، وَإن أصابَته ضرّاء صبرَ فكانَ خيرًا له)**(3).

هذه بعض صفات المسلم الصالح التي يجب على كل موحد أن يتصف بها إضافةً إلى الصدق والصبر، وحفظ الأمانة، التزام الأخلاق الحميدة وغيرها من الصفات التي دعا لها الإسلام.

---

(1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (ج468/16).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، 12/1: رقم الحديث 13].

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق/ باب المؤمن أمره كله خير، ج2295/4: رقم الحديث 2999.

المطلب الثاني:
بناء الشخصية المسلمة القوية

لقد أحبَّ الإسلام لأبنائه أن يكونوا أقوياء، أعزاء، قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنفال:60].

وعن أَبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**)[1].

والمراد بالقوة "عزيمةُ النفس والقَرِيحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدَامًا على العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابا في طلبه وأشدَّ عزيمةً في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاقِ في ذات اللَّـهِ تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظةً عليها ونحو ذلك" [2].

وأما قوله ﷺ " وفي كلٍ خيرٌ فمعناه في كلٍ من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي بِه الضعيف من العبادات" [3].

وفي ذلك إشارة إلى استيعاب المجتمع للمؤمنين جميعهم، قويُّهم وضعيفهم، فيكونوا كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضهُ بعضاً.

إنَّ المؤمن يجب أن يكون ذو بنيةٍ قوية، كما يجب أن يكون ذو عقيدة وإيمان قويان، حتى يستطيع أن يؤدي العبادات التي فرضها الله عليه، ويستطيع أن ينفع الناس، وأن يعينهم، فالقوة إذا سُخِّرت في الإيمان كانت نتائجها مذهلة.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب القدر، بابٌ في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لِلَّه، 2052/4: رقم الحديث 2664.

(2) المنهاج في شرح صحيح مسلم ،النووي (ج215/16).

(3) المرجع السابق، (ج215/16).

وإذا كانت شخصية المسلم قوية، فإنَّ ذلك مستمدٌ من اتصالها المباشر بأقوى الأقوياء سبحانه وتعالى، فالمسلم يعي تماماً أنَّه لا يستطيع مخلوق أن يضره أو ينفعه إلا إذا شاء الله، كما أن شخصية المسلم تفتخر بالانتماء إلى الله ﷻ، فهي شخصية عالية المطلب، توجِّهُ همها إلى إرضاء الله ﷻ، وفعل محابِه من الأعمال، فإذا انفرد المسلم بنفسه فكَّر بالله، وإذا اجتمع مع الناس تحدث عن الله، وإذا احتاج سأل الله، وإذا استغنى شكر الله، وإذا استوحش أَنِس بالله واشتاق إليه، واطمأن بذكره(1).

وشخصية المؤمن تتميز عن غيرها بالعقيدة الإسلامية التي تؤمن بها، وتستقر في وجدانها، فهي ترسخ القيم وتثبتها، إذ لا قيمة للحياة بدون عقيدة، والعقيدة لدى المسلم هي المعيار الأساسي للعمل، فأي عمل لا ينبعث من العقيدة لا قيمة له في ميزان الإسلام مهما كان وزنه ونفعه الذي قد يعود على البشرية بالخير، يقول الله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾** [التوبة: 17، 18] " إنَّ إعداد الأمة إعداداً قويًا، وبناء قوتها الذاتية، يتطلب عملاً متواصلاً من الجهاد، والاعتماد على الذات وثقات الناس، والإقبال على عمارة المساجد عمارة مادية بالبناء والترميم، ومعنوية بالصلاة والعبادة والخدمة، وعقد حلقات العلم والإرشاد والتوجيه، والإخلاص في العمل وبناء العقيدة الراسخة في النفوس"(2).

وقد تضمنت الآيات الكريمة خطوات لبناء ولإصلاح الفرد والجماعة، و طريق الحفاظ على كيان الأمة وصدّ عدوان المعتدين عليها، وبناء شخصيات المؤمنين بروحانية عالية ومعنويات رفيعة بالصلاة والزكاة، ليظفروا بجنان الخلد، وينعموا بالهداية والرشاد وليعلم المؤمنون أنَّه لا طريق يُسلك إلى الجنة من دون جهادٍ ولا يصح ترك جماعة المسلمين من دون تمحيص ولا اختبار(3).

---

(1) شخصية المسلم، النابلسي، (ص ص1-2).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج383/1).

(3) ينظر: المرجع السابق، (ج839/1).

" فبقوّة العقيدة والإيمان جعل الله لرسوله من الضعف قوةً، ومن القلة كثرةً، ومن الفَقر غنى، لقد كان فردًا فصار أمةً، وكان أمّيًا فعلَّم الملايين، وكان قليل المال فصار بالله أغنى الأغنياء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾"[1] [الضحى:6-8].

أولاً: أنواع القوة في القرآن الكريم:

أ. القوة المعنوية في القرآن:

1. قوة القلب:

إنَّ إحياء القلوب له أثر أيضاً على بناء الشخصية المسلمة القوية،" وإنّ المتدبر في كتاب لله يجد الآيات التي تشير إلى القوة كثيرة، وإنَّ المؤمن الذي يعمل بأوامر الله بإيمان وقوة وعزيمة يمده الله بروح القوة فيجعله قوياً وإن كان دون سلاح، عزيزاً وإن لم يكن معه عشيرة، غنياً وإن لم يكن معه مال، سعيداً وإن تكالبت عليه الدنيا، وإن أحاطت به أمواج الفتن واضطربت به سفينة الحياة"(2).

وتتجلى مظاهر قوة القلب في قوله تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم:12] أي: " قلنا (يا يحيى) خذ الكتاب بقوَةٍ أي تعلم التوراة بجدّ وحرص واجتهاد"(3)، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، هذا تمام أخذ الكتاب بقوة، فامتثل أمر ربه، وأقبل على الكتاب، فحفظه وفهمه"(4) لقد أمر الله ﷻ نبيه يحيى عليه السلام بالقوة "و ليس المراد منه القدرة على الأخذ لأنَّ ذلك معلومٌ لكل أحدٍ فيجب حمله على معنًى يُفيد الْمدح وهو الجِد والصَّبرُ على القيام بأَمر النُّبوَّة وحاصلها يرجِع إِلى حصول ملكةٍ تقتضي سهولة الإقدام على المأمور به والإحجام عن المنهي عنه"(5).

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:63]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا

---

(1) القوة في الإسلام، موقع السكينة،(موقع إلكتروني).
(2) القوة في القرآن، عاصي (ص 46).
(3) محاسن التأويل، القاسمي، (ج88/7).
(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج490/1).
(5) مفاتيح الغيب، الرازي، (ج516/12).

الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:171].

بينت الآيات أمر الله للإنسان بأهمية الالتزام وأخذ ما أمر به بقوة الإتقان والشدة والحرص عليه بعدم التفريط أو النقصان ومحاولة الالتزام بالأحسن.

2. القوة في الأخلاق:

لقد فتح المسلمون الأوائل بعض البلدان بقوة الأخلاقِ فحسب، دون أن تتحرَّك جيوشٌ أو تزلزل عروش.

إنَّ ثبات الأخلاق والتشبث بها في الفرح والشدة والحزن والألم، مع الصديق والعدو والغني والفَقير، هو من هدي الإسلام، الذي يسعى للحافظ على صورة المسلم حيث قال تعالى: **﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾** [المائدة:8][1].

أمر الله تعالى المؤمنين أن يكونوا قوامين له بسائر حقوقه عليهم من الطاعات، وأن يقيموا العدل لا يحيفون ولا يجورون في شيء إن كان المخاصم ولياً أو عدواً، ونهاهم عن ترك العدل وقد أمروا به، وأعلمهم أنَّ أقرب الناس إلى التقوى، هم العادلين؛ لأنَّ من كانت ملكة العدل صفة له أدى الحقوق والواجبات على أكمل وجه، ثمَّ أمرهم بالتقوى مؤكداً شأنها؛ لأنها ملاك الأمر، وأعلمهم بأنه خبير بما يعملون حتى يعوا ويستشعروا مراقبة الله تعالى فيجمعون بين العدل والتقوى معاً[2].

3. قوة الإرادة:

ففي سيرةِ نوحِ ﷺ ترى قوة العزيمةِ والإرادة وهو" يسير في دعوته ليلاً ونهارًا، سرًّا وجهارًا، يمر عليه قومه وهو يصنع السفينة، فيلقُون على سمعه عبارات التَّهكم والسخرية، فلم تهن عزيمته ولم تضعف إرادته؛ لأنَّه كان واثقًا بنصر الله، مطمئنًّا إلى وعده قال تعالى: **﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ* فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** [هود:38- 39]"[3].

---

(1) ينظر: قوة المسلم، الثبتي، (موقع إلكتروني).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج602/1-603).

(3) قوة المسلم، موقع السكينة (موقع إلكتروني).

ب. القوة البدنية في القرآن:

كما حرص الإسلام على إكساب المسلم قوةً معنويةً متمركزةً في القلب، دعا إلى امتلاك قوة بدنية؛ لتكتمل صورة العبد المسلم فالقوتان ضروريتان لبناء الشخصية القوية.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:

أ. قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ *فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾ [القصص:23-26]، تتحدث الآيات عن سدينا موسى عليه السلام عندما خرج من مصر بلا زادٍ ولا درهم ولا ظهرٍ ولا حذاء إلى مدين وبينهما مسيرة ثماني ليال نحواً من الكوفة إلى البصرة، ولم يكن له طعام إلّا ورق الشجر، ولمَّا ورد ماء مدين وهو بئر كانت لهم وجد عليه أمةً من النَّاس يسقون مواشيهم ووجد من دونِهم امرأتين تذودانِ تحبسان وتمنعان أغنامهما عن أن تشذ وتذهب وتختلط بأغنام الناس، فاستغرب موسى عليه السلام وسألهما عن سبب منعهما للغنم فقالتا لا نستطيع أن نزاحم الرجال فإذا صدروا سقينا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض وأبونا شيخٌ كبير لا يستطيع السقاية فسقا لهما فلمّا رجعتا إلى أبيهما سريعاً قبل الناس وأغنامهما حفّل بطان، قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا، فسقى لنا أغنامنا قبل الناس، فقال لإحداهما:اذهبي فادعيه لي، فجاءته إحداهما على استحياء ساترةً وجهها، وأبلغته دعوة والدها فلمَّا قص عليه القصص أخبره بأمره والسبب الذي أخرجه من أرضه (**قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) يعني فرعون وقومه لا سلطان له بأرضنا فعرض عليه تزويجه إحدى ابنتيه[1].

أما قوله تعالى:(**يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ**) يعني: استأْجر موسى ليرعى لك الغنم (**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**). أي: خير من استعملتَ على عملك من قوي عليه وأدَّى الأمانة وقد وصفته بالقوة؛ لرفعه الحجر على رأس البئر، وقيل: لأنه استقى بدلو لا يُقِلُّها إلا العدد الكثير

---

(1) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج7/242-244).

من الرجال، ووصفته بالأمانة؛ لأنَّه أمرها أن تمشيَ خلفه[1].

ويرى سيد قطب أنَّ ما ذهب إليه أغلب المفسرين من الحديث عن دلائل قوة سيدنا موسى عليه السلام ، ودلائل أمانته، فيه تكلف ولا داعي له وكأنه يقصد الإسرائيليات فيقول: أنَّ هذا تكلف ودفع لريبة لا وجود لها فهو عفيف النظر، نظيف الحس، وهي أيضاً كذلك [2].

ومع تقدير الباحثة للعلامة سيد قطب إلا أني لا أجد حرجاً من ذكر شواهد لقوة سيدنا موسى عليه السلام خاصةً أنَّ الموقف كان مرئياً فقد شاهدت الفتاة بأمِّ عينها قوته، واستشعرت بفطرتها النقية عفته وحفظه للأعراض، ثمَّ إنَّه في سياق تفسيره للآيات قد ذكر: " أنَّها رأت من قوته ما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ليسقي لهما، وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، ورأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته"[3].

ب. وفي موضعٍ آخر قال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال:60]. الإعدادُ التَّهيئة والإحضار، ودخل في ما استطعتم كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخَاذه من العدة[4]، فالعلم قوة، والسلاح قوة ،المال قوة، والصحة قوة، والتفكير قوة، فالقوة مطلقة وليست مقيدة، وقد كان رسول اللَّه ﷺ يقول وهو على المنبر:(**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**)[5][6].

إنَّ كل ما من شأنه إرهاب العدو أو زعزعة بنيانه فهو قوة وإن كان من أبسط الأشياء، وخير شاهدٍ على هذا مسيرات العودة التي يخوض فيها الشعب الفلسطيني صراعاً ضد الباطل بصدورٍ عاريةٍ ووسائل بدائية بسيطة، فقد أثبتت تلك الوسائل التي يستخدمها الشبان من حجارة أو زجاجات حارقة أو طائرات ورقية تحمل علم فلسطين خفاقاً فو أراضينا المحتلة أنَّها قوة يخشاها المحتل وينزعج منها، بل إنَّ مجرد تجمع الناس والحشود المتوافدة إلى

---

(1) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (ج380/3).

(2) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج2688/20).

(3) المرجع السابق (ج2687/20).

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج55/10).

(5) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج71/4).

(6) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة/ باب فضل الرمي والحث عليه، 1522/3: رقم الحديث 1917.

الحدود الزائلة بإذن الله يرهب العدو ويقذف في قلبه الرعب مما جعلهم يستخدمون كل الوسائل لإيقاف تلك المسيرات كأن يسوق أحد خنازيرهم الآيات والأحاديث ويحرف مفهومها ومضمونها بمقتضى فهمهم المسموم محاولاً العبث بديننا، الذي أمرنا بمحاربتهم لقتلهم الأنبياء ونقضهم العهود، والمساس بعقائدنا، واحتلال أرضنا، والتي أثبتت على مر العصور والأزمان أحقيتنا فيها.

إنَّ القوة إذا جمعت إلى الإيمان كانت رائعةً في أداء المهمة، عظيمة في بلوغ المرام، وقد حثنا الإسلام على الاتصاف بصفة القوة المعنوية كقوة الإيمان في القلب، والقوة البدنية التي تساعد على أداء العبادات ومجابهة الأعداء.

ثانياً: من أهم أسس بناء الشخصية المسلمة القوية:

1. إتباع القدوة الحسنة:

الشخصية المسلمة القوية هي الشخصية التي جعلت محمداً ﷺ، قدوتها في كل شيء: في الصدق، وحفظ الأمانة، والكرم، وحسن الخلق، والإيثار، والصبر، وعزة النفس، وغيرها من الصفات التي لا حصر لها؛ لأنَّ شخصية النبي هي الوحيدة التي توسم بأنها سوية في صفاتها وخصائصها وطبائعها واختيارها وموازينها، بحيث لم تمسخ فطرتها ولم تشوه جبلتها، وهي تسعى لتكون كما أرادها الله عز وجل[1]، وقوله تعالى خير دليل: **﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** [الأحزاب:21] فهذا نصٌ صريح وواضح على وجوب إتباع الرسول ﷺ " والأسوةُ الحسنةُ، أن تتأسَّوا بِه، وتكونوا معه حيث كان، ولا تتَّخلفوا عنه، إنَّ من يرجو ثواب اللَّه ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنَه تَكون له بِه أسوةٌ في أن يكون معه حيث يكون"[2]، وقد وصف الله نبيه بعظم الخلق فقال تعالى: **﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾** [القلم:4] و**(كان رسول اللهِ ﷺ أَحسن النَّاس، وكان أَجود النَّاس، وكان أشجع النَّاس)**[3].

ومما وصفته به أم المؤمنين عائشة عندما سئلت عن خلقه فقالت كان خلقه القُرآن، **وقال أَنسٌ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا**

---

(1) ينظر: محاضرات إسلامية هادفة : الأشقر،(ص278).

(2) جامع البيان، الطبري، (ج59/19).

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل/ باب في شجاعة النبي، 1802/4: رقم الحديث 2307.

أَذْهَبْ، وفِي نِفْسِي أَنْ أَذْهَبْ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَى أمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَاي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ[1]، فكيف لمن كانت صفاته الصبر والصدق، والعفة والعزة، والرأفة والرحمة، والإحسان والإخلاص، والطيبة والطهارة، والكرم والكياسة، والوفاء والود، والحب والحلم، والرفق والرزانة، والشهامة والشجاعة، وغيرها من الصفات، ألاَّ يكون قُدوة، ألاَّ يُحبُ.. بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

إنَّ الناظر في سيرة النبيِّ ﷺ العطرة مع قومه وأهله، وصبره على صنوف الأذى، وألوان العذابات، وتغير الأحوال عليه، واحتماله ما لم يحتمله نبيٌّ من قبله، من قتل أحبابه وأنصاره بين يديه، واتهامه بالسحر والكذب، وإخراجه من أرضه، وتحمله مشقة الدعوة، ونفاق المنافقين، وكره المخالفين وتصديهم لدعوته، ومحاولات قتله، وهو ثابتٌ على الحق لم يرفع راية الاستسلام، ولم يفقد الأمل في أن يوصل الإيمان إلى القلوب ويغير مجريات التاريخ لتسجل سيرته العطرة الحافلة بالانتصارات، والبطولات، والفتوحات، نموذجاً راقياً يحتذى ويتأسى به.

2. طلب العلم:

لا يمكن للمسلم أن يكون قوي الشخصية، مميز عن غيره، مرتقٍ في مجتمعه إذ لم ينل حظاَ من العلم، فالعلم شرفٌ وفضيلة إذ كان مِفتاح الرسالة في قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ** ﴾ [العلق: 1]، فكان أول أمرٍ أُمر به النبي ﷺ الأميّ هو القراءة، و" لقد أشار الحقُّ سبحانه في آياتٍ عديدةٍ من كتابه إلى فضيلة العلم، بل أنَّه لا يُمكِنك أنْ تَدخُل في معرفة الأسرار الإلهيَّة والكونيَّة إلا من خِلال العلم؛ قال تعالى: ﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [محمد: 19]، فقدَّم الحقُّ سبحانه العلمَ على كلمة التوحيد؛ لأنك لا تستَطِيع معرِفتَها ومعرفةَ مُقتَضاها إلا من خِلال العلم" [2].

إنَّ العلم بمثابة القمر المنير في الظلمة، و هو سلاح لكل فرد ولكل مجتمع يريد أن يتحصن ويزرع المهابة في قلب عدوه، وهو أساسٌ لرقي الفرد، وزهاء المجتمع ورخاء الشعوب، والبشر جميعًا، وقد حث الله سبحانه وتعالى على طلب العلم لما له من أثر فعّال، ونفع كبير.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفضائل/ باب كان الرسول أحسن خلقاً، 1805/4: رقم الحديث 2310.

(2) العلم نبراس الحياة، الزبيدي (موقع إلكتروني).

أ. **أهمية العلم في الإسلام:**

- أوجب الله تعالى العلم في الإسلام قبل العمل، فقال تعالى: **﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾** [محمد: 19]" فدُم واثبت يا محمد على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية، وتكميل النفس بإصلاح أحوالها، وبما ينفع في القيامة، واطلب المغفرة لأجل ذنبك، وهذا الأمر مع عصمته ﷺ عن الذنوب للتعليم واستنان أمته به"[(1)].

حذّر الله تعالى من القول دون علم، فقال: **﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾** [الإسراء: 36] أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله؛ لأنَّ كل شيء محسوبٌ عليك **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾** فحريٌّ بالعبد أن يكون مسئول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته، وأن يمتلك العلم الكافي[(2)].

- العلم بآيات الله ومخلوقاته المختلفة، يورث الخشية منه قال تعالى: **﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾** [فاطر: 28] "أي إنَّما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عزَّ وجلَّ وبما يليق به من صفاتِه الجليلةِ وأفعالِه الجميلةِ لما أنَّ مدارَ الخشية معرفة المخشى والعلم بشئونه فمن كان أعلم به تعالى كانَ أخشى منه عزَّ وجلَّ كما قال ﷺ أنا أخشاكُم لله وأتقاكُم له" [(3)].

- علو منزلة العلماء وتميزهم عن غيرهم قال تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** [المجادلة:11] تمنح لهم هذه الدرجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به. وقيل يرفعهم في الثواب والكرامة، وقيل يرفعهم على غيرهم ممن لا علم عنده في الفضل، وقيل اختص العلماء فقط بالدرجات [(4)].

- اختصاص أهل العلم بإدراك الحق والإيمان به، فقال تعالى: **﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ ﴾** [الحج: 54] يعني:" يتأكدوا تأكيداً واضحاً

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (ج107/26).

(2) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج475/1).

(3) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج151/7).

(4) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، (ج7366/11).

أن هذا هو الحق، مهما شوَّشَ عليه المشوِّشُون، ومهما قالوا عنه: إنه سحر، أو كذب، أو أساطير الأولين؛ لأن الله سيُبطل هذا كله، وسيقف أهل العلم والنظر على صِدْق القرآن بما لديهم من حقائق ومقدمات واستدلالات يعرفون بها أنه الحق، وما دام هو الحق الذي لم تزعزعه هذه الرياح الكاذبة فلا بُدّ أن يؤمنوا به" [1].

- اقتران شهادة الله بشهادة أولوا العلم، قال تعالى: **﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَايِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [آل عمران:18].

والمعنى: أنَّ الله أخبر عباده وأعلمهم بالآيات القرآنية التي أنزلها على نبيه، والآيات الكونية التي لا يقدر على خلقها أحد سواه، وكل الأدلة التي تشهد بوحدانيته، وبين أنّهَ الإله المستحق للعبادة، وأنَّه الغني وقد شهد بذلك (الملائكة) بأن أقروا بأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد فعبدوه حق العبادة، وأطاعوه حق الطاعة، وشهد بذلك أيضا (أولو العلم) بأن اعترفوا له سبحانه بالوحدانية، وصدقوا بما جاءهم به الرسول ﷺ وبلغوا ذلك لغيرهم[2]، وذكر ابن كثير في تفسيره " أنَّ هذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام"[3].

وفي هذه الآية ما يدل على فضل العلم وأهله من وجوه ذكرها ابن القيم وهي كثيرة لا مجال لسوقها كلها فقد اخترت منها ما يلي[4]:

1. اختصاص أهل العلم بالشهادة دون غيرهم.
2. مدح أهل العلم والثناء عليهم وبيان شرفهم.
3. الاستشهاد بأهل العلم والإيمان يوم القيامة على بطلان قول الكفار.
4. بيان أنَّ العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة.

- أمر الله بالاستزادة من العلم، قال تعالى: **﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾** [طه:114]، تعالى اللَّهُ في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين فهو الملكُ النافذ أمره والذي يخشى وعيده والحقُّ في ملكوته، وهو الثابت في ذاته وصفاته يخبر نبيه ﷺ بعدم التعجل بالقُرآن من قبل أَن يُقضى إِليك

---

(1) تفسير الخواطر، الشعراوي، (ج9882/16).
(2) ينظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (ج55/2).
(3) التفسير العظيم، ابن كثير، (ص357).
(4) ينظر: مفتاح دار السعادة،(ص ص64-71).

وحيهُ من جبريل عليه السلام، وقوله: (**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً**) أي: سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال[1]، وقيل معناها ربي زدني فهماً وحفظاً[2]، ففي طلب الاستزادة من العلم بيان لأهميته وأفضليته.

- نفى الله التسوية بين المتعلم وغيره، قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:9] أ ي:" قل أيها الرسول لقومك: هل يستوى الذين يعلمون ما لهم في طاعة ربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من عقاب، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخبطون خبط عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيرًا، ولا يخافون من سيئها شراً، وجاء هذا الكلام بأسلوب الاستفهام للدلالة على أن الأولين بلغوا أعلى معارج الخير، وأن الآخرين درجوا في دركات الشر، ولا يخفى ذلك على منصف ولا مكابر"[3]، والذين يعملون "هم الَّذين ينتفعون بعلمهم ويعملون بِه، فأَمَّا من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل بِه فهو بمنزلة من لم يعلم إِنَّما يتذكّر أُولوا الألباب" أي أصحاب العقول من المؤمنين"[4].

- في قصةُ صفيّهُ وكليمهُ سيدنا موسى ﷺ عندما رحل إلى رجلٍ عالمٍ يتعلم منه، ويزداد علماً على علمه فائدةٌ عظيمةٌ فقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً** ﴾ [الكهف:60] أخبر سيدنا موسى ﷺ خادمه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمنًا طويلاً حتى أصل إلى العبد الصالح؛ لأتعلم منه ما ليس عندي من العلم [5]، لقد كان حريصاً أشدَّ الحرص على أن يلتقي بهذا العالم والتعلم منه يقول السعدي رحمه الله في قوله ﷻ:(**لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**) أي:" لا أزال مسافراً وإن طالت علي الشقة، ولحقتني المشقة، حتى أصل إلى مجمع البحرين، وهو المكان الذي أوحي إليه أنك ستجد فيه عبدًا من عباد الله العالمين، عنده من العلم، ما ليس عندك، ﴿**أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**} أي: مسافة طويلة، المعنى: أن الشوق والرغبة، حمل موسى أن قال لفتاه هذه المقالة، وهذا عزم منه جازم"[6].

---

(1) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (ج40/4).

(2) ينظر: الكشف والبيان، الثعلبي، (ج262/6).

(3) تفسير المراغي، (ج151/23).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج240/15).

(5) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من المفسرين(ص 300).

(6) تيسير الكريم الرحمن، (ج481/1).

فإذا كان هذا فعلُ نبي الله، فيجب أن نتأسى به ونتعلم منه التواضع والحرص على طلب العلم وبذل النفس في تحصيله، فبعد أن لقي موسى معلمه بين الله آداب المتعلم فقال عز وجل: **﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾** [الكهف:66]، يذكر القرطبي رحمه الله في هذه الآية مسألتان:

الأولى: سؤال المخاطب المبالغ في الحسن والأدب.

الثانية: أنَّ المتعلم تَبعٌ للعالم وإن تفاوت في المراتب ولا يُظن أنَّ في تعلم موسى من الخضر ما يدل على أفضلية الخضر على سيدنا موسى، فالخضر وإن كان وليًّا، فإنَّ فموسى أفضل منه كونه نبيًّا(1).

ب. أهمية العلم في السنة الشريفة:

- حض النبي ﷺ على طلب العلم، فقال ﷺ : **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلى الجَنَّةِ، وَمَا اجتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِنْ بُيوتِ اللهِ، يَتلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُم، إِلَّا نَزَلَت عَلَيهِم السَّكَينَةُ، وَغَشِيَتهُم الرَّحمَةُ وَحفَّتهُم المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلَهُ، لَم يُسرِعْ بِهِ نَسَبُهُ)**(2).
- ومما ذكره النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **(مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةً، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسُ، فَشَرِبُوا وَسَقُوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمْ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعُ بِذَلِكَ رأسًا، وَلَمْ يَقْبَلِ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ** "قال أَبو عبد اللَّه: قال إسحاق: وكان منها طائفةٌ قيَّلت الماء، قاعٌ يعلوه الماء، والصَّفصفُ المستوِي من الأرض"(3).

إنَّ العلم " منارة الحياة ونورها الساطع الذي لا ينطفئ أبداً، وهو اليد التي تُمسك بالعالم لتقوده إلى حيث التطور والعزة والرفعة، وهو الحياة بأسمى معانيها، والشمس التي تشرق دوماً

---

(1) ينظر:الجامع لأحكام القرآن، (ج17/11).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، 2074/4: رقم الحديث 2699.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، 27/1: رقم الحديث 79.

ومن كل الجهات، أما الجهل فهو ظلام الحياة الدامس، والفكر المنغلق الذي يرفض التطور والتقدم، وهو عدو الحياة ولعنتها الكبيرة، فالعلم يبني الأمم والعقول والدول، أما الجهل فإنه يهدم كل جميل، بل إنه ينسف جميع أسس الحياة الجميلة لتصبح غارقةً في التخلف"[1]، ولقد كان لأبناء أمتنا الإسلامية نصيبٌ وافرٌ من العلم وقد أُتوا حظاً منه، واستطاعوا أن يهزموا أعدائهم وينتصروا عليهم في صراع الأدمغة والعقول، وأن يثبتوا أنَّ العلم والحق إذا اجتمعا يغيران القواعد والقوانين، فما كان من أعداء الدين إلاَّ أن يتخلصوا منهم عن طريق اغتيالهم، وتصفيتهم، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدل على إفلاسهم وعجزهم وأنهم يهابون العلم والعلماء.

3. استقلالية الفكر:

على الشخصية المسلمة أن تكون مستقلة الفكر، نافدة البصيرة، عندها من الوعي الفكري والثقافي والسياسي، مخزون كافٍ لمجابهة المتغيرات، ومكافحة الجهل، ومحاربة الأعداء، وأن لا يكون لأحدٍ عليها سلطان سوى كتاب الله وسنة نبيه.

أي: لا تكون إمعة، إنّ القرآن الكريم يعطينا القدوة في التميّز وذلك في قوله تعالى: **﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ *مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾** [الزمر: 39-40].

" لما أعلن النبيُّ صلى الله عليه وسلم الدعوة الإسلامية اعتمد على وجود الشخصية الإنسانية كنقطة أساسية معترفا بقيمتها، فوجه الخطاب إلى العقل، وأحيى الضمير، وجعل لكلٍ كيانه الخاص، وحمَّل كل فرد مسئولية نفسه أمام الله، وأسقط الوسائط بينه وبين ربه، وقضى على الدكتاتورية الدينية، ومنح الإنسان الرشد الفكري والاستقلال العقلي" [2]، ففي قوله تعالى في سورة سبأ: **﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾** [سبأ:46]، هذه الآية تدعو للبحث عن الحق، وفيها دعوة للقيام لله بعيداً عن كل الدوافع المشوشة للقلب، والتأثيرات التي تحاول خلط الحقائق، واضطراب الرؤية وحجبها عن صفاء الحقيقة، ثمَّ إنَّ الدعوة موجهة للتفكر والتدبر دون الالتفات للمؤثرات الخارجة عن الواقع، وقوله(وأن تقوموا لله مثنى وفرادى)

---

(1) العلم نور والجهل ظلام، موقع *weziwezi.com*، 2017/12/14 .

(2) استقلالية الشخصية الإنسانية في الإسلام، إدريس (موقع إلكتروني).

مثنى ليراجع أحدهما الآخر، وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادئ وعميق، فصاحبكم ليس به مسٌ من الجن وما تعرفونه عنه من رجاحة عقله، واتزانه خيرُ برهانٍ على صدقه، فما هو إلاَّ نذيرٌ مبين يقول عز وجل: **(إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ)** في هذه الآية لمسة تصور لوشوك وقوع العذاب المسبوق بالإنذار بخطوة وهو كالهاتف المحذر من حريقٍ يوشك على التهام الجميع، فهو تصويرٌ بارعٌ وموحٍ ومثيرٌ[1].

إنَّ الإسلام دين العقل والقوة،" يهتم بالشخصية الإنسانية وتكوينها تكوينا صحيحا، وكل ما لاكته ألسن الجامدين من المتأخرين، إنما هو خروج عن الجادة الكبرى التي خطها الإسلام وانحراف عنها باسم الدين إلى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، فعلى قادة الفكر في الإسلام أن ينظروا من جديد في ينابيع الإسلام الأولى الصافية، وأن يزيلوا عنها الطفيليات التي علقت واختلطت بها فأنت ترى أنَّ الإسلام لم يطلب منهم استعمال عقولهم فقط، بل أشار إلى التفكير باستقلال عن جميع المؤثرات، وإثبات الشخصية، بالابتعاد عن الظروف التي تضعفها"[2].

إنَّ الروح المستقلة المتميّزة، التي ترفض التبعية، وتثق بالحق الذي هداها ربّها إليه، صاحبها يعاشر الناس على بصيرة من أمره، إن رآهم على الصواب تعاون معهم، وإن وجدهم على باطل ينأى بنفسه، ويستمسك بالحق الذي عرفه ووثق به، ولا يضعف أمام التقاليد الزائفة، والعادات السلبية بالمجتمع، فلا يكترث بشيء من ذلك، ولا يكترث بنقد الناس له واتهامه بالتخلف، فلا شيء يعنيه غير أن يكون على جادة طريق ربّه، مهما قسا عليه النقاد، وأثخنته الألسنةُ تجريحاً وسخريةً.

4.الحث على الجهاد:

الجهاد ذروة سنام الإسلام، ولولاه لما قامت للإسلام قائمة، ولما ارتفعت له راية، ولما استطاع المسلمون الأوائل إقامة دولة الإسلام، عن معاذ بن جبلﷺ أن النبي ﷺ قال له: "**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**"[3].

(1) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج2914/22).
(2) استقلالية الشخصية الإنسانية في الإسلام، إدريس (موقع إلكتروني).
(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الفتن/ باب كف اللسان في الفتنة، 1314/2: رقم الحديث 3973. وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، (ج2/ 359).

وللجهاد أهمية بالغة في حياة الفرد منها:

1. الجهاد تجارة رابحة:

يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:111]
" نزلت في البيعة الثَّانية وهي بيعةُ العقبة الكبرى، وهي الَّتي أَناف فيها رجالٌ الأنصار على السَّبعين، وكان أصغرهم سنًّا عقبة بن عمرو، ذلك أَنَّهم اجتمعوا مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا: اشترط لك ولربِّك، والمتكلّم بذلك عبد اللَّه بن رواحةَ، فاشترط ﷺ حمايته ممَّا يحمون منه أنفسهم، واشترط لربه التزام الشَّريعة وقتال الأحمر والأسود في الدَّفع عن الحوزة فقالوا: ما لنا على ذلك؟ قال: الجنَّةُ، فقالوا: نعم ربح البيع، لا تقيل ولا نقائل. وفي بعض الروايات، ولا نستقيل، فنزلت، والآية عامةٌ في كلّ من جاهد في سبيل اللَّه من أمَّة محمَّدٍ ﷺ إلى يوم القيامة"[1].

هذا هو حال المؤمنين إيماناً حقاً، فقد وعدهم الله الجنَّة دار النعيم الأبدي، والرضوان السرمدي جزاءً لبذل أنفسهم، وأموالهم في سبيله، ولطفًا منه تعالى وكرمًا وتكريمًا لعباده المؤمنين بجعلهم كالمتعاقدين معه كما يتعاقد البيِّعان على المنافع المتبادلة وهو ﷻ المالك لأنفسهم، إذ هو الَّذي خلقها، وإنَّما المبيع والثَّمن له، وقد جعلهما بكرمه لهم.

وقوله: (**يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**) بيانٌ لصفة تسليم المبِيعِ وهو أَنَّهم يُقاتلون في سبيل الحق والعدل الموصِّلة إلى مرضاته [2]، " ولا أحد أوفى بعهده من الله لمن وفَّى بما عاهد الله عليه، فأظهِروا السرور أيها المؤمنون ببيعكم الذي بايعتم الله به، وبما وعدكم به من الجنة والرضوان، وذلك البيع هو الفلاح العظيم" [3].

2. علو درجة المجاهد:

قال تعالى: ﴿**لاَّ يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً**

(1) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (ج5/508-509).
(2) ينظر: تفسير المنار، رضا، (ج11/39).
(3) التفسير الميسر، نخبة من المفسرين،(ص 204).

وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء:95]، وقال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾** [التوبة: 20].

وقد أعد الله درجاتٍ للمجاهدين عن أَبي هريرة ﷺ ، قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : " **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**"، **فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: " إِنَّ فِي الجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أُوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ** "[1].

3. **أفضل الناس من جاهد بنفسه وماله:**

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ ، قال: " **قيل: يا رسول اللَّهِ أيُّ النَّاس أَفضلُ؟ فقَال رسول اللَّهِ ﷺ: «مؤمنٌ يجاهدُ في سبيل اللَّهِ بنفسهِ ومالهِ»، قالوا: ثُمَّ من؟ قال: " مؤمنٌ في شعبٍ من الشعاب يتقي اللَّه، ويدع النَّاس من شره**"[2].

4. **الجنة تحت ظلال السيوف:**

عن عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: **(أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف)**[3].

إنَّ شكيمة المؤمن لا تقوى، إلاَّ إذا عوَّد نفسه على الجهاد، ولا أعني هنا الجهاد المتعارف عليه من قتال الكفار، والمشركين، والمنافقين فحسب، إنَّما الجهاد بأنواعه المختلفة، جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الفكر المتطرف، وجهاد القوانين الظالمة، والأنظمة المستبدة، إنَّ الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية، بعدما تكالب عليها الأعداء، وتنادوا

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب درجات المجاهدين في سبيل الله، 16/4: رقم الحديث 2790.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد/باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، 15/4: رقم الحديث 2786.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد/ باب الجنة تحت بارقة السيوف، 22/4: رقم الحديث 2818.

من كل فجٍ عميق، وتداعوا على حرب الإسلام وأهله في حملةٍ شرسة، وحقدٍ دفين، من اضطهاد ومحاولات لطمس هويتها، وانتزاع كرامتها، وزجها في مستنقع الجهل والتخلف، كل ذلك يفرض على الإنسان المسلم أن يتمسك بخيار الجهاد والدفاع عن الأوطان والأعراض، وإعادة الرفعة والعزة والشموخ للإسلام، بجميع الوسائل المتاحة، رغم أنوف الحاقدين قال تعالى: **﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة:32].

وقد جاءت أحاديث النبي ﷺ ترهب من ترك الجهاد منها:

- عن أبي هريرة، قال:" قال رسول اللهِ ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم يُحدِّث به نفسه، مات على شُعبةٍ من نفاقٍ**" (1).
- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" **إذَا تَبَايَعتُم بِالعِينَـةِ وَأَخَذْتُم أَذْنابَ البَقَر، وَرَضِيتُم بِالزَرعِ وتَرَكْتُم الجِهَادَ، سَلّطَ اللهُ عَلَيْكُم ذلاً لَا يَنزَعَهُ حتَى تَرجِعُوا إلَى دِينِكُم**"(2).

لذلك كان لزاماً علينا نحن المسلمين أن نصحو من سباتنا العميق، ونشُّد ترهل عزائمنا، ونحدث أنفسنا بالجهاد؛ لأنَّ به دون غيره تقوى شوكة المسلمين، ويُقذف الرعب في قلوب الكافرين، وتصلح النفوس، وتتطهَّر به القلوب المؤمنة بالله.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة/ باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، 1517/3: رقم الحديث 1910.

(2) سنن أبي داود، أبو داود، كتاب البيوع/ باب في النهي عن العينة، 332/5: 3462. صححه الألباني لمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة، 42/1: رقم الحديث 11.

المبحث الثاني
أثر إحياء القلب وصلاحه على الأسرة

المطلب الأول
مفهوم الأسرة وأهميتها

أولاً: تعريف الأسرة لغةً واصطلاحاً:

1. الأسرة لغةً:

أ. إنَّ أصل الأسرة مأخوذٌ من الأسر بمعنى الشّدُ والعصب[1].

ب. " وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون؛لأنَّه يتقوى بهم" [2].

2.الأسرة اصطلاحاً:

أ. الأسرة هي الجماعة التي يتقوى بها الإنسان، ويحتمي في كنفهم" فالإنسان لا يكون قويًّا عزيزاً في منعة، إلاَّ إذا كان في أسرة تحضنه وتمنعه"[3].

ب. وهي" الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع، وهي التي يتم من خلالها حفظ النوع الإنساني"[4].

ثانياً: أهمية الأسرة:

إنَّ الأسرة هي النواة الأولى في المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع يقول تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنْ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً** ﴾ [الفرقان:54]، وقد خلق الله الإنسان وجعل من فطرته الزوجية، شأنه، كشأن كلَّ شيءٍ في الوجود قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الذاريات:49]، ثمَّ جعل الزوجين في الإنسان شطرين لنفسٍ واحدة قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾ [النساء:1]، ثمَّ جعل هذا اللقاء للشطرين في

---

(1) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، (ج13/3).

(2) لسان العرب، ابن منظور (ج19/4).

(3) الأسرة في ضوء الكتاب والسنة، فرج، (ص6).

(4) معالم الأسرة المسلمة في القرآن، أبو عبدو، (ص4).

النفس الواحدة بمثابة السكن والطمأنينة، والستر، والصيانة، والراحة، ومزرعة النسل، وامتداد الحياة مع رعاية المحضن الساكن الهادئ المطمئن قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم:21] [(1)].

كما أنَّها المكون الأول في المجتمع، وتبعاً لصلاحها أو فسادها يصلح أو يفسد المجتمع، والقرآن الكريم لم يترك الأسرة المسلمة تنشأ دون توجيهات وإرشادات فقد اهتمت النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية بوضع الخطوط العريضة التي يجب على الأسرة المسلمة السير وفقها يقول سيد قطب: "إنَّ آيات نظام الأسرة في القرآن الكريم تدل على خطورة شأن الأسرة في النظام الإسلامي، فالإسلام نظام أسرة، البيت باعتباره مثابةً وسكناً، في ظله تلتقي النفوس على المودة، والرحمة والتعاطف، والستر والتجمل، والحصانة والطهر، وفي كنفه تنبت الطفولة، وتتدرج الحداثة، ومنه تمتد وشائج الرحمة، وأواصر التكافل"[(2)].

لذلك وضع الله عز وجل معايير لاختيار الأزواج و سيتم إيضاحها في المطلب التالي.

المطلب الثاني

اختيار الأزواج الصالحين وأثره على صلاح الأبناء

أولاً: اختيار الزوجة الصالحة:

حتى تقوم الأسرة على أساسٍ متينٍ وسليمٍ، كان لا بد من اختيار زوجة صالحة؛ لأنَّها عمود المجتمع، وأهم مقومات صلاحه، ولذلك يجب مراعاة الدين كعامل أساسي في الاختيار قال تعالى: ﴿ **وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾ [البقرة: 221].

كما قال تعالى: ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [النساء:34] فَالصَّالِحاتُ أي: " من النساء قانِتاتٌ أي مطيعات لله في أزواجهن حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ " [(3)].

" والغيب خلاف الشهادة، أي: إذا كان الأزواج غير شاهدين لهنّ حفظهن ما يجب عليهنّ حفظه في حال الغيبة، من الفروج والبيوت والأموال، وقيل (**لِلْغَيْبِ**) لأسرارهم بما حَفِظَ

---

(1) ينظر: بناء الأسرة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة، العك، (ص15).

(2) في ظلال القرآن، قطب، (ص3595)

(3) محاسن التأويل، القاسمي، (ج79/3).

اللَّهُ بما حفظهنّ اللّه حين أوصى بهنّ الأزواج في كتابه أو بما حفظهنّ اللّه وعصمهنّ ووفقهنّ لحفظ الغيب، أو بما حفظهنّ حين وعدهنّ الثواب العظيم على حفظ الغيب، وأوعدهنّ بالعذاب الشديد على الخيانة "[1]، فالملاحظ أنَّ الآية الأولى عنت بالدين والإيمان وهو الأصل في الاختيار، أمَّا الآية الثانية فبينت صلاح الزوجة ووجوب حفظها لزوجها.

أمَّا السنة المطهرة فقد حددت الأساس السليم للاختيار، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: " **تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدّين، تربت يداك**"[2].

ثانياً: اختيار الزوج الصالح:

لما كان من الشارع أن حدد صفة الزوجة التي تنكح، لم يغفل عن صفات الزوج، فالزواج مؤسسة مشتركة بين الزوجين، ونجاح تلك المؤسسة واستمرارها مسؤوليةٌ تقع على عاتق الزوجين معاً لا أحدهما، وإذا كان اختيار الزوجة الصالحة من أهم عناصر ديمومة الحياة الزوجية، فإن اختيار المرأة للرجل الصالح أكثر أهمية؛ لما يترتب على سوء اختيار الرجل من معاناةٍ للمرأة وهضمٍ لحقوقها. ونفهم هذا من قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ [البقرة، 221]، ففي هذه الآية بيانٌ أن التفاضل يكون في الإسلام أولا، والآية التالية تبين أنّ التفاضل بين المسلمين يكون بالقرب من الله والتقوى حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات، 13] وقد بين النبي ﷺ أن المرأة المسلمة إذا أرادت الزواج، فلا بد لها من أن تقبل بالرجل الصالح، فقال: قال رسول الله ﷺ: " **إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**"[3].

---

(1) الكشاف، للزمخشري، (ج506/1).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب النكاح/ باب الأكفاء في الدين، 7/7: رقم الحيث 5090.

(3) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب النكاح/ باب ما جاء إذا جاء من ترضون دينه وخلقه، 385/2: رقم الحديث:1084، حسنه الألباني لغيره في السلسلة الصحيحة،(20/3)، رقم الحديث:1022

إنَّ الأصل المتعارف عليه هو اختيار الزوج للزوجة، لكن إذا ما نظرنا في نصوص القرآن وشواهد السنة وجدنا أنَّه يجوز للرجل أن يخطب لابنته زوجاً يرتئيه صالحاً لها، فلا حرج في ذلك كما فعل النبيُّ شعيب عليه السلام مع سيدنا موسى عليه السلام قال تعالى: **﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ﴾** [القصص:27]، "فقد عرض عليه نكاحًا لا يخجل منه لبناء أسرةٍ مسلمةٍ صالحةٍ في المجتمع فهذه الدعوة لا يوجد فيها خجلٌ ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد، فمتى ما وجد الرجل الصالح رجلاً مناسباً بدأ هو بخطبته لابنته "[1] وهذا العرض كان بناءً على ما التمسه من قوة وأمانة، وفي ذلك دليل على عرض الولي ابنته على الرجل[2].

ومما ورد في السنة المطهرة أَنَّ امرأةً عرضت نفسها على النَّبيِّ ﷺ، فقال له رجلٌ: **يَا رَسُولَ اللَّه زَوِّجْنِيهَا، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكْ؟» قَالَ: مَا عِنْدِي شَيءٌ، قَالَ: «اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَديدٍ»، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: لَا وَللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلِكِنْ هَذَا إِزَارِي وَلَهَا نِصْفُهُ قَالَ سَهْلٌ : وَمَا لَهُ رِدَاءٌ فَقَال النَّبيُّ ﷺ: وَمَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ، إنْ لَبِسَتَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيءٌ، وَإِنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكْ مِنْهُ شَيءٌ، فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ، فَرَآهُ النَبِيُّ ﷺ فَدَعَاهُ أَوْ دُعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا مَعَكَ مِنَ القُرآنِ؟» فَقَالَ: مَعَيَ سُورةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا لِسورٍ يُعَدِدْها فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: "أَمْلَكْنَاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ"**[3].

ومن خلال النظر إلى هذا الحديث نجد أنَّ المال ليس هو معيار القبول في الزواج وليس الشرط الأساسي لنجاحه، فالنبيُّ طلب من الرجل التماس خاتمٍ من حديد، وهو أبسط الأشياء وأبخسها ثمناً، ولما عجز عن إحضاره ولم يملك إلا ثوبه الذي يرتديه، سأله عن حفظه للقرآن فهو أغنى من كل الأموال، وبحفظه تحفظ الحقوق وتصان، وتبنى النفوس والقلوب.

إنَّ الفهم السليم لمنظومة الزواج، وما يترتب عليها من حقوق وواجبات تقع على كاهل الزوجين وهو أساس لضمان نجاح تلك المنظومة وضمان بقائها، فكثيرٌ من الأزواج لا يدركون

---

(1) دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة والمجتمع، قاسم، (ص252).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج271/13).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، 13/7: رقم الحديث 5121.

الحقوق والواجبات المنوطة بهم، وهذا الخلل في الفهم، يؤدي إلى كوارث أسرية يروح ضحيتها الأبناء فهم من يدفعون فواتير الأخطاء.

وليس من الغريب بعد أن صان الإسلام كرامة المرأة، وأعطاها حقوقاً، وغير من واقعها المأساوي الذي كانت تعيشه قبل الإسلام، وجعلها كالدُّرة المصونة، أن تجد أصواتاً تنعق بها بعض الجهات تطالب بحرية المرأة، وتتهم الإسلام بأنَّه دين متطرف، وتطالب بتحرير المرأة من الدين الإسلامي.

" فلتعلم المرأة المسلمة أنّ الإسلام شرع الله ودينه، منح حقوقًا للمرأة تتفق مع الحق، والعدل، والمساواة العميقة الجذور مع الرجل، لا السطحية الجوفاء، وجعل لها ذمة مالية وأهلية مستقلة، تتصرف بما لها كما تريد، ولا يحجر عليها في شيء، وتدخر ما يأتيها من ميراث وغيره، وهي لا تطالب بشيء من التزامات الزوجية والأسرية ومسؤولياتها، فعليها ألا تنخدع بالدعوات الجوفاء التي تريد إقامة نظام للحياة الأسرية على النمط الغربي، يراد به تفريغ الأسرة من الرقيب، وهدم نظام الأسرة من الداخل، فيتحمل الأولاد والأزواج ضريبة جّر المرأة من بيتها، لتكون أداة استمتاع ولهو "[1].

وليعلم الرجل أنَّ الله حين جعل القوامة من حقه، فقال تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [النساء:34] قيد ذلك بالحب والمودة والاحترام والحفظ أَي: "إنَّ من شأنهم المعروف المعهود القيام على النساء بالحماية والرِّعاية والولاية والكفاية "[2]، وقال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء:19].

حتى في حال الانفصال وجب الإحسان قال تعالى: ﴿ **الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة:229] "فحكم الله بعد كل طلقة هو إمساك المرأة بالمعروف، وحسن العشرة بعد مراجعتها، أو تخلية سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها، وألا يذكرها مطلقها بسوء"[3].

---

(1) حقوق الزوجين المشتركة، الزحيلي، (ص7).

(2) تفسير المنار، رضا، (ج55/5).

(3) التفسير الميسر، نخبة من المفسرين، (ص36).

ثالثاً: أثر اختيار الأزواج على الأبناء:

إنَّ من أثر إحياء القلوب وصلاحها على الأسرة أن يلتزم كل من الزوجين بتعاليم الإسلام لأنَّ لصلاح الزوجين وأعمالهما الصالحة عظيم الأثر في صلاح الأبناء ونفعهم في الدنيا، بل وفي الآخرة، وكذلك فللأعمال السيئة والموبقات التي يقوم بها الآباء والأمهات أثر سيءٌ على تربية الأبناء، فلا شيء أشد خطرًا من ضياع قلوب الأبناء، وعقولهم، وأخلاقهم، ثمَّ بقاء أجسادهم كأنَّها خشبٌ مسندة لا تحمل عقيدة ولا تعيش لغاية.

إنَّ الذرية الصالحة أمل العبد الصالح وهي أفضل عنده من الكنوز والذخائر، وأروح لقلبه من كل زينة الحياة الدنيا، والدعاء يمتد من الوالدين إلى الذرية ليصل الأجيال المتعاقبة في طاعة الله[1]، وهذه فطرة الإنسان الطبيعية التي فُطر عليها، وإنَّ الأسرة الصالحة تحب أن ترى عملها الصالح في أبنائها قال تعالى: **﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾** [الأحقاف:15].

فقوله:(**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي**) بمعنى: "اجعل الصلاح ساريًا في ذريتي راسخا فيهم "[2].

" إنَّ من فضل الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل، قويم في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم، وبناء الحضارات، وإرساء قواعد المجد والمدنية، وما ذاك إلاَّ تحويل الإنسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة، والضلال والفوضى إلى نور التوحيد، والعلم، والهدى والاستقرار "[3].

وكان من هدي النبوة أن بين النبيُّ ﷺ المسئولية الواقعة على عاتق العبد المؤمن باختلاف وظيفته ودوره في المجتمع، فعن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّهُ عنهما، أَنَّه: سمع رسول اللَّهِ ﷺ يقولُ: **كُلُكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسئُولٌ عَنْ رعِيَتِهِ، والرَّجلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَتِّهَا، وَالْخَادِمُ**

(1) في ظلال القرآن، قطب، (ج6/3263).

(2) التفسير الوسيط، الزحيلي، (ج26/30).

(3) تربية الأولاد في الإسلام، علوان، (ج1/5).

فِي مَالِ سيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قال: فسمعت هؤلاء من النَّبيِّ ﷺ، وأحسبُ النَّبيَّ ﷺ قال: "**والرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَتِهِ**"[1].

لذلك يتوجب على الآباء تربية أبنائهم تربيةً سليمةً قائمةً على ترسيخ العقيدة الصحيحة، وغرس بذور الإيمان منذ الصغر، وتعاهد تلك البذور حتى تزهر، فيكون القلب السليم منبتها، ويكون سقياها الحب، وهواؤها المتابعة، وضياؤها النصيحة، فقط بتعاليم الإسلام يرتقي الفرد، وترتقي الأسرة، ليبنى مجتمعٌ غير متفكك، قائم على العدل والمساواة.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العتق/ باب العبد راعٍ في مال سيده، 150/3: رقم الحديث 2558.

المبحث الثالث

أثر إحياء القلب وصلاحه على المجتمع

المطلب الأول

صيانة المجتمع من التفكك.

إنَّ الفرد الصالح هو الذي ينشىء أسرة صالحة، وهو نفسه الذي يبني مجتمعاً متماسكًا، ليس هشاً تأرجحه عواصف المتغيرات، وتحمله رياح الفتن أينما شاءت، وتغرقه سيول الذنوب في بحارها المظلمة.

لقد تخطى النبي ﷺ مرحلة بناء الفرد في مكة المكرمة، وعند وصوله للمدينة، انتقل لبناء المجتمع والدولة، وقد سُبق ذلك بفترة تربية إيمانية دعمت ركيزة العقيدة في النفوس، وأسست للإيمان السليم، فكان ذلك أساس انطلاق المجتمع الإسلامي،الذي ارتكز على ثلاثة ركائز أساسية:

الأولى: بناء المسجد الذي فيه تبنى النفوس وترسخ العقيدة.

الثانية: المؤاخاة بين المسلمين عامة، والمهاجرين والأنصار خاصة.

الثالثة: كتابة الوثيقة (الدستور) التي حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم، ومع غيرهم [(1)].

لقد كانت أول لبنة لإقامة المجتمع المسلم بناء المسجد النبوي الذي كان حاضنًا للمسلمين، وتعدى دوره من أداء العبادة إلى التعليم، واستقبال الرسل والوفود، والتشاور، والاجتماع، إلى جانب الإخاء بين المهاجرين والأنصار ومن ثمَّ وضع الدستور الذي أقر مبدأ المواطنة، وسيادة الدولة والقانون، ودعا إلى الألفة والوفاق وبث الأمن وهذه دعوة القرآن قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [الحجرات:13].

إنَّ تماسك المجتمع، ووحدته، واستقراره سبيل التقدم والرقي، وتحقيق نجاحات متميزة في كافة مجالات الحياة، والإسلام العظيم حرص كل الحرص على بناء مجتمع سليم من كل الآفات التي قد تلحق به فأرسى قواعد ربانية يتوجب الالتزام بها وسنَّ قوانين للوقاية، وأخرى

---

(1) ينظر: فقه السيرة، البوطي،(ص151).

للعقوبة، من أجل الحفاظ على بنية جسد المجتمعات الإسلامية في كامل قوته قال رسول الله ﷺ " **المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**"[1].

من عوامل صيانة المجتمع:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي؛ لأنَّ المجتمع المسلم مجتمع قائم على التناصح، وعلى الدعوة إلى الأعمال الخيّرة، والنهي عن الأعمال السيئة، يقول تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: 104]، يعني يدعون إلى شرائع الإسلام الَّتي شرَّعها اللَّهُ لعباده، ويأمرون الناس بإتباع محمدٍ ﷺ، ودينه وينهون عن عبادة أحدٍ سوى الله والتكذيب بمحمد، وبما جاء بِه، وإن لزم ذلك جهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة [2].

ومن الواجب على الناس التناصح فيما بينهم وترشيد بعضهم بعضًا بما يتفق مع الشريعة الإسلامية حتى يستقيم الناس في أجسادهم ونفوسهم وعقولهم وعلاقاتهم بشتى صورها وأنواعها، بينهم وبين بعضهم، وبينهم وبين الله سبحانه وتعالى، يقول تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [التوبة: 71] [3] ، قال القرطبي رحمه الله: "فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه" [4].

وقال تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: 110].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الآداب/ باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، 12/8: رقم الحديث 6026.

(2) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، (ج5/665).

(3) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، السمالوطي، (ج1/36-37).

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،(ج4/49).

وروي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: " **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيّرهُ بِيَدِهِ، فَإن لَمْ يَستَطِع فَبِلِسَانِهِ، فَإن لَم يَستَطِع فَبِقَلبِهِ، وَذَلِكَ أَضعَفُ الإيمَانِ**"[1]، قال العلماء: "الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضُعفاء، يعني عوامَّ الناس، فالمنكر إذا أمكن إزالته باللسان للنَّاهي فليفعله، وإن لم يمكنه إلَّا بالعقوبة أو بالقتل فليفعل، فإن زال بدون القتل لم يجز القتل"[2].

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين الصالحين كما قال تعالى: **﴿ التّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السّائِحُونَ الرّاكِعُونَ السّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ ۗ وَبَشّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾** [التوبة:112].

على عكس أهل الشر والفساد يقول تعالى: **﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾** [التوبة:67].

كما قال تعالى في شأن بني إسرائيل وسبب لعنتهم فهم من أهل الشر والفساد: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ۝ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [المائدة: 78-79]،" ذم الله تعالى هذه الفرقة الملعونة بأنهم كانُوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوهُ أي إنهم كانوا يتجاهرون بالمعاصي وإن نهى منهم ناهٍ فعن غير جد، بل كانوا لا يمتنع الممسك منهم عن مواصلة العاصي، وروى ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على ذنب نهاه عنه تعزيرًا، فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون خليطه وأكيله، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى"[3].

كذلك إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب النصر والتمكين، قال تعالى: **﴿ وَلَيَنصُرَنّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مّكّنّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ**

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان كون النَّهي عن المنكر من الإيمان، 69/1: رقم الحديث 49.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج49/4).

(3) المحرر الوجيز، ابن عطية، (ج224/2).

وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج:40-41].

إنَّ المجتمع المسلم يعيش في سعادة أبدية وبهجة سرمدية ما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وما إن يترك ذلك حتى تنزل المصائب وتتوالى الكوارث، قال تعالى: **﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾** [النمل:82] في المراد "**بالقول**" ثلاثة أقوال: **أحدها**: العذاب، **والثاني**: الغضب، **والثالث**: الحُجَّة، أمَّا وقت ذلك، فيه قولان: أحدهما: إذا لم يأمروا بمعروف، ولم ينهَوا عن منكر، والثاني: إذا لم يُرج صلاحُهم[1]، أمَّا الدابة فهي كائنٌ حيا يدب على الأرض، وهو الجسّاسة تُكلمهم تنبئهم وتخبرهم أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ أي: أنَّ أكثر الناس كانوا لا يؤمنون بآيات الله الدالة على مجيء الساعة، والله أعلم بحقيقة تلك الدابة، ولعلها إنسان عادي، والمهم الإخبار عن تكذيب الجم الغفير من الناس بوقوع القيامة[2].

لقد جعل الله جل وعلا في شرائع دين الإسلام، وفي كل أمر ونهي حكمة بالغة، تنصلح بها الحياة في كل زمان ومكان، فالزواجر والحدود التي شرعها الله، ونظمتها تعاليم الإسلام، ليست إلا وقاية للمجتمع من تسلط فئة على فئة، وحماية لأفراده وأمنه من أصحاب النزعات الشريرة.

ثانياً: التزام الأخلاق الإسلامية:

إنَّ التخلق بالأخلاق الإسلامية من سمات المجتمع المتماسك؛ لأنَّ الأخلاق الإسلامية تقتضي من المسلم الإخلاص والتوبة المستمرة والاستغفار والصبر والصدق ومراقبة ربه في كل أعماله وعلاقاته واليقين بالله والتوكل عليه والاستقامة والمجاهدة وبر الوالدين، وصلة الأرحام وستر عورات المسلمين، والبعد عن البخل والشح، واستمرار ذكر الموت وقصر الأجل والتواضع، وخفض الجناح وهدم التكبر، وحسن الخلق والحلم والأناة، والرفق والعفو والإعراض عن الجاهلين، وحفظ السر والوفاء بالعهد وطلاقة الوجه عند اللقاء[3].

إنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأول للأخلاق، والآيات في ذلك كثيرة: قال الله سبحانه وتعالى: **﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾** [الإسراء:9] وقال سبحانه وتعالى: **﴿ إِنَّ اللهَ**

---

(1) ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (ج369/3).

(2) التفسير المنير، الزحيلي، (ج34/20).

(3) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، السمالوطي، (ج37/1).

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33] ونظائر هذه الآيات كثيرة في كتاب الله تعالى، وكلها من مصادر الأخلاق، والرسول ﷺ هو أول من تخلق بأخلاق القرآن الكريم وألزم نفسه بآداب القرآن، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " **كان خلق الرسول ﷺ القرآن**" [1].

"وما دامت أخلاقنا الإسلامية تقوم على القرآن والسنة، فهي بذلك تتسم بالشمول، والصلاحية للتطبيق في كل زمان ومكان، كما أنها تتسم بأنها قائمة على الإقناع العقلي والوجداني (العاطفي) معاً، كما أنها تقوم على المسؤولية، فللمسؤولية في أخلاق المسلم جانبان: شخصي وجماعي معاً، كما أنها تحكم على الأعمال ظاهراً وباطناً، فالرقابة الذاتية لها أثرها الفعال في أخلاق المسلم، وهي في النهاية تجعل الجزاء العادل لكلٍ من الأخيار والأشرار في الدنيا والآخرة" [2].

وأما أثرها في سلوك المجتمع كله، فالأخلاق هي الأساس لبناء المجتمعات الإنسانية الإسلامية كانت أو غير إسلامية، يقرر ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 1 – 3].

"إنَّ العمل الصالح المدعم بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعاً محصناً لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامناً في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها"[3].

إنَّ أيَّ مجتمعٍ من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا سعداء، دون أن تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب جامع صلاة اللّيل ومن نام عنه أو مرض، 512/1: رقم الحديث 746.

(2) موسوعة الأخلاق الإسلامية، السقاف، (ج11/1).

(3) الأخلاق الإسلامية، المرسي (ص 24) بتصرف.

"ولو فرضنا وجود مجتمع قائم على تبادل المنافع المادية فقط، فإنَّه لا يكون مجتمع سوي، إذ لا بد من وجود روابط أخلاقية كالأمانة والثقة، والتعاون كأقل تقدير، فإنها ضرورة اجتماعية لا يُستغنى عنها، ومتى فقدت فقد انسجام الإنسان مع أخية، وتفكك المجتمع وتصارع أفراده، وانهارت مقوماته"[1].

ثالثاً: التكافل الاجتماعي:

وأيضًا مما دعا إليه الإسلام لضمان صيانة المجتمع من التفكك التكافل الاجتماعي، ويجب الأخذ بعين الاعتبار أنَّه ليس مقصوراً على الجانب المادي وإن كان ذلك ركناً أساسياً فيه، بل يتجاوزه إلى جميع حاجات المجتمع، ماديةً كانت تلك الحاجة أو معنوية أو فكرية.

ومن مظاهر التكافل التي دعا لها الإسلام التعاون قال تعالى: **﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّه إِنَّ اللّه شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [المائدة: 2].

وجاء في حديث النبيِّﷺ: " **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَهَرِ وَالحُمَى**"[2].

وقد صور الرسول ﷺ الصورة التكافلية التي تجب على الجماعة تجاه الفرد في مثال رائع بقوله ﷺ: **(مَثَلُ القَائِمِ في حُدُودِ اللَّه والْوَاقِعِ فيها، كَمثل قَومٍ اسْتَهَموا على سَفِينَةٍ، فَأَصابَ بَعْضُهم أعْلاهَا، وبعضُهم أَسْفَلَهَا، فكان الذي في أَسفلها إذا استَقَوْا من الماء مَرُّوا على مَنْ فَوقَهمْ، فقالوا: لو أنا خَرَقْنا في نَصِيبِنَا خَرقا ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوقَنا؟ فإن تَرَكُوهُمْ وما أَرَادوا هَلَكوا وهلكوا جَميعا، وإنْ أخذُوا على أيديِهِمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَميعاً)**"[3]، والقائم على حدود الله يدخل فيه القائم على حفظ النظام العام للمجتمع وأفراده.

إنَّ أعظم فرق بين المجتمع الإسلامي ومجتمعات الأرض الأخرى أن المجتمع الإسلامي يستمدُّ تصوره ومنهجه من السماء، عن طريق الوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ والذي تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة، فإذا ما اتضح لنا هذا الأمرُ تبين لنا الفرقُ الهائل بينه وبين مجتمعات الأرض الأُخرى التي تستمدُّ تصورها للكون والحياة وقوانينها التي تحكم أمور

---

(1) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية، علوي السقاف، (ج15/1).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب البر والصلة/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، 4/ 1999: رقم الحديث 2586.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشركة/ باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، 139/3: رقم الحديث 2493.

حياتها من العقل البشريِّ الضعيفِ، الذي لا يعرف ما يدور حوله من عالم الغيب، وما يحويه عالم الشهادة من الأسرار التي تجهلها تلك العقولُ القاصرة عن تحقيق مصالحها بنفسها.

إنَّ التزام المجتمع الإسلامي بالصفات الحميدة والأخلاق الراقية التي اتصف بها مجتمع الرسول الكريم، ذلك المجتمع الذي يعدُّ مقياساً لنجاح كل من أراد الإصلاح في الأرض، فهو المجتمع الذي حقق المثل العُليا التي تسعى الصحوةُ الإسلامية اليوم لإعادتها إلى المجتمعات التي عزفت عنها قروناً من الزمن؛ لأنَّ الناظر إلى حال المسلمين اليوم يجد التفريط الواضح في خصائص دينهم، وتشبه بعضهم بالمجتمعات الغربية الكافرة، مما أدى إلى الانفصام النكد بين الأمة ودينها، والذي عانت منه على مدى عقود من الزمن، ذلك الانفصام كانت له نتائجه السيئة التي عانى منها ولا يزال يعاني منها المجتمع الإسلامي في كل مكان، لقد كان من النتائج السيئة التي عانى ويعاني منها المسلمون بسبب تنصلهم من تلك الخصائص، الذلة والمهانة وتسلط الأعداء، والتبعية المفرطة لأنظمة الغرب وأفكاره، لكننا نسأل الله العلي الكبير أن يهيئ لنا مجتمعات صالحة مصلحة، تعبد الله على علم وبصيرة، وبقلوب صادقةٍ حيَّةٍ وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتأخذ على يد الظالم وتنصر المظلوم، وتعلي راية الإسلام[1]؛ "لأنَّ التكافل في الإسلام أولى دعائمه القلوب، وما ينبني على القلوب يكون له البقاء"[2].

المطلب الثاني
تحقيق العدل والمساواة

إنَّ من أثر إحياء القلوب وصلاحها تحقيق العدل والمساواة، إذ تُلزم تعاليم الإسلام الإنسان المسلم بإتباع منهج سليم، يتساوى فيه الجميع أمام الشريعة الإسلامية، والقانون الرباني.

أولاً: أهمية العدل في حياة المجتمعات والأمم:

إنَّ العدل من أهم الأخلاق التي حثنا عليها الإسلام؛ فإنَّ له مكانة كبيرة ومنزلة عظيمة، وإنَّ الحضارات الإنسانية لا تبلغ أوج عزها، ولا ترقى إلى عز مجدها إلا حين يعلو العدل تاجها، وتبسطه على القريب والغريب، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والحاضر والغائب، فبالعدل قامت السماوات والأرض، وبالظلم يهتز عرش الرحمن، وبه جاءت الأوامر والنواهي والتكاليف[3].

---

(1) ينظر: خصائص المجتمع الإسلامي، موقع إمام المسجد (موقع إلكتروني).

(2) التكافل الاجتماعي في القرآن، أبو زهرة، (ص:16).

(3) ينظر: العدل وأثره في صلاح الفرد والمجتمع، بدوي (موقع إلكتروني).

من أهمية العدل أنَّه أساس الحكم قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ [النساء:58] في هذه الآية أمرٌ من الله عز وجل يأمر فيه عباده بحفظ الأمانات و" في تصدير الكلام بكلمة التحقيق وإظهار الاسم الجليل وإيراد الأمر على صورة الإخبار، من الفخامة وتأكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه، وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة، كما أنَّ الأمانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم: من حقوق الله تعالى وحقوق العباد. سواء كانت فعلية أو قولية أو اعتقادية" [1]، ثمَّ بيَّن أنَّ أساس الحكم وأصله الذي يبنى عليه هو العدل والمساواة في الأشياء، فكل ما خرج من الظلم والاعتداء سمي عدلاً[2].

"والعدل قائم على إعطاء الحق إلى صاحبه وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضرورِي والحاجيّ من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات، إذ المسلم مأمورٌ بالعدل"[3].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل:90] إنَّ العدل الذي أمر الله به "يشمل العدل في حقه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه"[4].

" فالعدل واجب في كلِّ شيء، لكنه في حق ولاة الأمور آكد وأولى وأعظم؛ لأنَّ الظلم إذا وقع من ولاة الأمور حصلت الفوضى والكراهة لهم، حيث لم يعدلوا"[5].

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ [النساء:135]، أمر الله تعالى عباده

(1) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (ج192/2).

(2) ينظر: محاسن التأويل، القاسمي، (ج179/3).

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج254/14-255).

(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج447/1).

(5) شرح رياض الصالحين، ابن العثيمين، (ج641/3).

المؤمنين أن يقوموا بالعدل ويتعاونوا ويتعاضدوا فيه، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ثمَّ يأمرهم أن يكونوا مبالغين بإقامة العدل؛ لأنَّه عام ويشمل الحكم بين جميع الناس فيستوي الجميع في المعاملة، وأمرهم أن يشهدوا شهادةً صحيحةً عادلةً حقًا من غير مراعاة أحد ولا محاباة، ولو كانت الشهادة على أنفسهم، أوعلى الوالدين والأقارب وعاد ضررها عليهم، فلا بد أن يقروا بالحق ولا يكتمونه، ولا يراعوا الغنى والفقر في أحكامكم، فالله يتولى أمرهما، ثمَّ أمرهم أن لا يتبعوا الهوى كي لا يعدلوا عن الحق إلى الباطل، إذ في الهوى الزلل، فلا يحملهم الهوى والعصبية وبغض الناس إليهم على ترك العدل في أمورهم وشؤونهم، بل عليهم التزام العدل على أيّةِ حال [(1)].

فهذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود، فلا توضع عن شريف لشرفه إذا ارتكب ما يوجبها، ولقد بيّن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن التفرقة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود كانت العلة في ضلال الأمم السابقة.

ولقد جاءت الرسالات كلها تأمر الناس بالقسط، قال تعالى: **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾** [الحديد: 25]، إلاَّ أنَّ المعارضين والمعاندين، والمستكبرين، أعرضوا عن أمر الله وآثروا بقائهم على درب الظلم والعدوان.

فما كان من الله إلاَّ أن امتدح عباده العادلين قال تعالى: **﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [النحل:76]، قال تعالى: **﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾** [الأعراف:181].

وقال ﷺ: "**إنَّ المقسطين يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا** "[(2)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : " **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشابٌ نَشأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِد، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِي**

---

(1) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، (ج5/311-312).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة/ باب فضل الإمام العادل، 1458/3: رقم الحديث 1827.

أخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"[1].

إنَّ الإمام العادل هو أول السبعة وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، "وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد رُوي أنَّه ظلُّ الله في الأرض؛ لأنَّ الخلق كلَّهم يستظلون بظلِّه، فإذا عدل فيهم أظلَّه الله في ظلِّه" [2].

ثانياً: من صور العدل في المجتمع:

أ. العدل في القول قال تعالى: **﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [الأنعام:152].

ب. العدل عند الإصلاح بين المتنازعين فيقول تعالى: **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الحجرات : 9]، وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فعليكم الإصلاح أيها المؤمنون بالدعوة إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل، فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدّت ما جعل الله عدلاً بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما، فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله، حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه ،فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلاً بين خلقه[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الآذان/ باب من جلس فيا لمسجد ينتظر الصلاة، 133/1: رقم الحديث 660.

(2) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، (ج6/46).

(3) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري، (ج22/ 292).

ت. العدل بين الأبناء كما جاء في سنة سيدنا محمد ﷺ فقد قال النعمان بن بشير رضي اللَّهُ عنهما، وهو على المنبر يقول: أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول اللَّه ﷺ، فأتى رسول اللَّه ﷺ، فقال: إنّي أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول اللَّه، قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟»، قال: لا، قال» :فَاتَّقُوا اللَّه واعدلوا بين أولادكم»، قال: فرجع فرد عطيته[1].

ث. العدل في الكيل والميزان قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: 152].

ومن رفعة الإسلام وعظمته وقوته أن جعل العدل أيضاً في معاملة غير المسلمين فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:8] أي: "لا يحملنكم بُغض قومٍ على ترك العدل فيهم، بل استعملُوا العدل في كل أحدٍ صديقًا كان أو عدوًّا، ولهذا قال اعدلوا هو أقرب للتَّقوى أي عدلكم أقرب إلى التَّقوى من تركه"[2].

ج. صور العدل كثيرةٌ، لكنَّ أهمَّ صوره وأشدُّ ما تفتقر إليه أمتنا الإسلامية اليوم هو عدل الولاة والحكام، إنَّ الوالي سواء كانت ولايته ولاية خاصة أو عامة يجب عليه أن يعدل بين الرعية، وأن يستعين بأهل العدل، وما أحوجنا اليوم لولاة أمورٍ حكمهم قائمٌ على العدل والإحسان، لا على الجور والظلم.

ثالثاً: نماذج قرآنية للعدل عند الحكام:

إنَّ القرآن الكريم بيَّن صفات الحاكم العادل من خلال قصصٍ ساقتها الآيات سطرت أروع النماذج للحكام ومن هذه القصص:

1. قصة طالوت عليه السلام مع بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب الإشهاد في الهبة، 158/3: رقم الحديث 2587.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج56/3).

إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:246].

إنَّ قصة طالوت عليه السلام التي تناولتها سورة البقرة وضحت في جزءٍ منها صفات الحاكم الصالح، العادل.

افتتحت القصة بأسلوب استفهام مفاده ألم ينته إلى علمك خبر الجماعة الأشراف أو القوم وهم المعبر عنهم (الملأ)، سموا بذلك لأنهم يملئون العيون رهبةً إذا اجتمعوا، وغرض الاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائنٌ وأنه صائبٌ في توقعه [1]،" الذين قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا ملكاً أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره، طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول اللَّه ﷺ من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها، ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره"[2]، فقال لهم :هل" عسيتم بصيغة الاستفهام إن كتب وفرض عليكم القتال مع ذلك الملك أَلَّا تُقاتلوا وأن لا تفوا بما تقولون ولا تقاتلوا معه، قالوا وما لنا أَلَّا نُقاتل في سبيل اللَّـهِ "[3]، أي:" أيُّ شيء يمنعنا من القتال وقد ألجأنا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا وسبيت ذرارينا، فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا، فكيف مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل، ولهذا لما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقوَ توكلهم على ربهم فلما كتب عليهم القتال تولوا فجبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن ﴿إلا قليلا منهم} فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا والآخرة"[4].

ثمَّ يقول تعالى في كتابه : **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة :247].

ولمَّا أخبرهم نيبهم ببعث طالوت ملكاً قالوا:" كيف يكون ملكًا علينا؟ وهو لا يستحق هذا الملك، لأنه ليس من سلالة الملوك ولا من سلالة الأنبياء، وقد كان الملك في سبط يهوذا بن يعقوب، ومنهم داود وسليمان، وكانت النّبوة في سبط لاوي بن يعقوب، ومنهم موسى وهرون،

---

(1) ينظر: التفسير المنير، الزحيلي، (ج420/2).

(2) الكشاف، الزمخشري، (ج291/1).

(3) الكشف والبيان، الثعلبي، (ج209/2).

(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج107/1).

وهناك من هو أحق بالملك منه، ولأنَّه فقيرٌ، لا مال له فلا يستطيع الحكم، وهذا قائم على وهم أن الغنى شرطٌ أساسي في الملك، وأن الملك حق موروث، لا يتجاوز أبناء الملوك أو الأشراف، حتى يخضع الناس له"[1].

لقد كان الأولى بهم طاعة وقول معروف، فالله اختاره من بينهم وهو أعلم به منهم. وأكد ذلك نبيهم فقال: أنا لم أعينه من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لمَّا طلبتم مني ذلك واصطفاه عليكم.

ثمَّ قال تعالى:﴿ **وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ** ﴾ أي: "وهو مع هذا أعلم منكم، وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبرًا في الحرب ومعرفة بها أي: أتم علمًا وقامة منكم، ومن هاهنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال: ﴿ **وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ أي: هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يُسأل عما يفعل وهم يسألون لعلمه، وحكمته، ورأفته بخلقه؛ ولهذا قال: ﴿ **وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ أي: هو واسع الفضل يختص برحمته من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه "[2].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾، **إن الشروط التي ينبغي اعتبارها في الاختيار للملك هي :**

1- الاستعداد الفطري للشخص قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ**﴾.

2- السعة في العلم الذي يكون به التدبير، قوله تعالى: ﴿**وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾.

3- بسطة الجسم المعبَّر بها عن صحته، وكمال قواه المستلزم ذلك صحة الفكر، قوله تعالى ﴿**الْجِسْمِ**﴾.

4- توفيق الله تعالى لا سبب له، وهو المعبّر عنه بقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ**﴾[3].

ثمَّ يعقب الشيخ محمد رشيد رضا فيقول:" إذا أراد الله إسعاد أمةٍ جعل ملكها مقويًا لما فيها من الاستعداد للخير، حتى يغلب خيرها على شرها، فتكون سعيدةً، وإذا أراد إهلاك أمةٍ

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (ج2/422).

(2) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، (ج1/ 666).

(3) تفسير المنار، رضا ، (ج2/379-378).

جعل ملكها مقويًا لدواعي الشر فيها حتى يتغلب شرها على خيرها، فتكون شقيةً ذليلةً، فتعدوا عليها أمةٌ قويةٌ، فلا تزال تنقصها من أطرافها، وتفتات عليها في أمورها، أو تناجزها الحرب حتى تزيل سلطانها من الأرض، يريد اللهُ تعالى ذلك فيكون بمقتضى سننه في نظام الاجتماع، فهو يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، بعدل وحكمةٍ، لا بظلمٍ ولا عبثٍ" [1].

2. **قصة سيدنا سليمان عليه السلام كحاكم دولة:**

إن سورة النمل تلك السورة العظيمة قد عرضت في بعض آياتها صفات سليمان عليه السلام كملك وحاكم دولة، ومن تلك الصفات:

- **العلم والحكمة:** وذلك مثلما أعطي أبوه من قبل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالاَ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[النمل: 15_16]، أي:" الوالد والولد علماً خاصاً كمعرفة منطقة الطير وصنع الدروع والإلانة الحديد زيادة على علم الشرع والقضاء"[2].

إنَّ سيدنا سليمان ﷺ " لم يرث من والده مالاً، أو داراً، أو عقاراً، إنَّما ورث عنه العلم، والحكمة، وورث النبوة، ولهذا اعتبر سليمان مُلكه مفخرة عن ملك بلقيس ليس لامتداده وسعته وتفوقه فحسب، ولكن لأن ملك سليمان قام على العلم وأسس على الإيمان فقال: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ* وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: 42_43]" [3].

- **الحزم:** ويظهر ذلك عند ظهور التقصير، أو التكاسل عن الحضور وقت الطلب أو التأخر وقت العمل قال تعالى: ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ﴾ [النمل:21]، فإنَّه لمَّا تبين لسليمان عليه السلام أن الهدهد غائب، تهدد أمام الجمع الذي يعلم بغياب الهدهد، حتى لا يكون غيابه إن لم يؤخذ بالحزم أسوة سيئة لبقية الجند [4].

- **التريث والتأني قبل الحكم:** فلعل للغائب عذرًا، أو للمقصر حجة تدفع الإثم، وترفع العقوبة،

---

(1) المرجع السابق (ج380/2).
(2) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (ج12/4).
(3) تبصرة المؤمنين بفقه النصر والتمكين، الصلابي، (ص150).
(4) ينظر: في ظلال القرآن، قطب، (ج5/ 2638) .

ولهذا قال سليمان بعدها: **﴿أَوْ لَيَـأْتِيَنِّي بِسُـلْطَانٍ مُّبِـينٍ﴾** [النمل:21]، أي "بعذر واضح بين"[1]، وهذا هو اللائق بالحاكم والقاضي إذا كان عادلاً، وسليمان عليه السلام الذي اشتهر بالعدالة لا يليق به أن يعاجل بالعقوبة قبل ثبوت الجريمة ولا المبادرة إلى المؤاخذة قبل سماع الحجة [2].

- **سعة الصدر:** في الاستماع إلى اعتذار المعتذر، وحجة المتخلف، وسليمان عليه السلام أنصت **لاسترسال** الهدهد حتى انتهى من قوله، رغم أن فيه نوع معاتبة لسليمان، وفيه نسبة عدم الإحاطة إليه: **﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ - وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ * أَلاَّ يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ *اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** [النمل:22-26].
- **قبول الاعتذار ممن يعتذر في الظاهر:** وإيكال سريرته إلى الله تعالى، فسليمان عليه السلام سكت عن المؤاخذة وانتقل إلى تحري الخبر.
- **التروي في تصديق الخبر:** فهذا الذي حكاه الهدهد، أمر ليس بالسهل ولا باليسير، ثم إن الهدهد لا يجرؤ على اختلاق هذه القصة الطويلة، وهو يعلم تمكن سليمان من الرعية، **ومقدرته** على التأكد من صحة الأخبار، ومع ذلك لم يبادر عليه السلام إلى التصديق، كما أنه لم يتعجل التكذيب، بل قال: **﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾** أي :"سنتأمل فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر ﴿ **أَصَدَقْتَ** ﴾ في ذلك كله ﴿**أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ فيه" [3].

3. قصة ذي القرنين:

كما ذكر القرآن قصة ذي القرنين التي تناولتها سورة الكهف تلك السورة القرآنية العظيمة، في آيات إعجازية قليلة صورت قصة تاريخية نادرة، مليئةٍ بالدروس والعبر، والحكم والأخلاق ومن أهم تلك الأخلاق الصبر، الشجاعة، الشخصية المتوازنة، المهابة، العفة والترفع عن المال، كثرة الشكر [4].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج 6/ 185).

(2) ينظر: التبصرة بفقه النصر والتمكين، الصلابي، (ج1/ 159).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (ج 19/ 450).

(4) العدل في الحكم القواعد والآثار والصفات، جمال عبد الله، (ص ص53-54).

إنَّ قصة ذي القرنين في القرآن اشتملت على عدَّة أمورٍ أبرزها: أنَّه كان ملكًا صالحًا عادلًا، وكان ملهمًا من اللَّه، وقد شمل ملكه أقطارًا شاسعةً [(1)].

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً*إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً *فَأَتْبَعَ سَبَباً*حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً*قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً*وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾ [الكهف:83-88] إلى قوله تعالى: **﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً*آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً﴾** [الكهف:95 - 98].

يقول سيد قطب رحمه الله" لقد سطر ذو القرنين نموذجاً طيِّبً للحاكم الصالح، إذ مكنه الله في الأرض، ويسر له الأسباب فاجتاح الأرض شرقاً وغرباً، ولكنَّه لم يتكبَّر، ولم يطغى، ولم يتخذ من الفتوح وسيلةً للمغنم المادي، واستغلال الأفراد، والجماعات، والأوطان، ولم يعامل البلاد المفتوحة معاملة الرقيق، إنَّما نشر العدل في كل مكان حلَّ به، واستخدم القوة التي وهبها الله له في التعمير والإصلاح، ودفع العدوان، وإحقاق الحق، وكان مع ذلك كله يرجع كل شيء يحققه لله على يديه إلى رحمة الله وفضله، ولم ينسى وهو في إبان سطوته قدرة الله"[(2)].

إنَّ للعهد النبوي أيضاً دورٌ مهم من خلاله أرسى قاعدة العدل، وبين مفهوم المساواة وطبقها فلم يجامل أحدًا، ولم يحابي أحداً فعن عائشة زوج النبي ﷺ :"**أنَّ قريشًا أهمَّهُم شَأْنُ المَرأَةَ التِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ الفَتْح، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلاَّ أُسَامَةَ بْنُ زُيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ. فَأَتَى بِهَا رَسُولَ الله ﷺ، فَكَلَمَهُ فِيهَا أُسامَةُ بنُ زَيدٍ، فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟! فَقَالَ لَهُ أُسَامةُ: استَغْفِر لِي يَا رَسُولَ الله، فَلَمَا كَانَ العَشِيُّ قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فاختَطَبَ، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أَهلَهُ، ثُمَّ قَالَ أَمَا بَعْد: فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهُمْ الشَرِيفَ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهُم الضَعِيفَ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدّ، وَإِني وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتُ**

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (ج20/16).

(2) في ظلال القرآن، (ج2293/4).

مُحمدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[1].

ويعيب الرسول ﷺ على أبي ذر وهو من أصحابه الملازمين له على الحب والتلقي منه، أنَّه عير صاحباً له بأمه، فشكاه للنبيِّ ﷺ، فغضب النبي ﷺ وقال له: **(إنَّكَ امرؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَةٌ)**[2].

وأقامت الشريعة الإسلامية أصل المساواة في أحكامها، على النحو الذي يجعل هذا المبدأ وسيلة لرقي الإنسان، وتحصيل مصالح الحياة.

إنَّ الإسلام هو النظام الوحيد الذي سما بالإنسان وكرّمه، وأزال الفوارق في الحقوق، وفي المعاملات بين جميع أفراده، وجعلهم أمام حكمه، وقضاءه سواسية، إنَّها دولة الإسلام، دولة الرفعة والسمو، دولة العدل التي تقيم حدود الله، دون الانحياز لقريبٍ أو حبيبٍ، أوصديق، وتطبق أحكام الله حتى على أقرب الأقربين.

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فإذا اجتمعوا قال:"أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم، فما قام أحد إلا رجل واحد قام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ عاملك فلانا ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص فقال :يا أمير المؤمنين إنَّك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أُقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه. قال: فدعنا فلنرضه. قال: دونكم فأرضوه، فافتدى منه بمائتي دينار. كل سوط بدينارين"[3].

وذكر ابن تيمية بعد أن ذكر عموم الولايات وخصوصها، كولاية القضاء، وولاية الحرب، والحسبة، و ولاية المال قال: "وجميع هذه الولايات هي في الأصل ولاية شرعية ومناصب دينية، فأيُّ مَن عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل، وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان فهو من الأبرار الصالحين، وأيُّ مَن ظلم وعمل فيها بجهل، فهو من الفجار الظالمين"[4].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الغار، 175/4: رقم الحديث 3475.

(2) صحيح مسلم، كتاب الأيمان/ باب إطعام المملوك مما يأكل، 1283/3: رقم الحديث 1661.

(3) الطبقات الكبرى، ابن سعد، (ج293/3).

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج28/68).

المبحث الرابع:
أثر إحياء القلوب وصلاحها على الأمة

المطلب الأول:
خصائص الأمة الإسلامية

إنَّ صـلاحُ الأمَّـة مربوطٌ بصـلاح مجتمعاتهـا، وصـلاح مجتمعاتهـا مبنـيٌّ علـى صـلاحِ أفرادِهـا، وصـلاحُ الأفراد منشؤه صـلاحُ القلـوب، والنـاظر فـي الواقـع المريـر الـذي باتـت الأمـة الإسـلامية حبيسـته، يجـده واقـعٌ مشـينٌ، ولا يبشـر بـالخير أبـداً، خاصـةً بعـد أن غـزت ثقافـة المجتمعات الغربيـة بيوتنـا، وسكنت فـي وجدان شبابنا وشاباتنا، لقد وجـه الأعداء تجاه أمتنـا المتهالكة سلاحاً مسموماً يفتك بضحيته بالتدريج، عن طريق الغزو الفكري الذي يعتبر أخطر أنواع السموم التي تغلغلت في جسد الأمة، فحرفت البوصلة، وامتزج الحابل بالنابل، واختلطت الأمور إلى ما لا يحمد عقباه، ولم يسلم من ذلك الغزو القاتل كبيرٌ ولا صغير، فقد تسلل السم من كل الثغرات، ولوث نقاء القلوب وعاث فيها فساداً.

"فليس صدفة ولا عن حسن نيـة أن توجَّه طاقات شبابنا وبناتنـا إلـى الرسم والرقص والغناء، ويكون ذلك محور التوجيه في الصحافة والإذاعة والتلفزيون من حيث لا توجَّه طاقاتهم ولا عبقرياتهم إلى العلم والصناعة والاختراع، إنها خطة استعمارية تنفَّذ من أموال الشعب على أيدي بعض الأغرار من المراهقين والمراهقات من أمتنا!"[1].

- **من خصائص الأمة الإسلامية:**

1. أنَّها أمَّةٌ مجاهدة، كما أنَّ أمتنا محفوظة من الهلاك والاستئصال، فعن ثوبان رضـي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ،**

---

(1) هكذا علمتني الحياة، السباعي، (ص 104).

وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا – أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا.""[1].

2. الأمَّة الإسلامية لا تجتمع على ضلالة وأحلَّ لها الكثير مما كان محرماً على غيرها.
3. تجاوز الله عنها الخطأ والنسيان، فعن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ:" **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ**"[2].
4. خصَّ الله عز وجل الأمَّة الإسلامية باستواء الصفوف في الصلاة، كصفوف الملائكة وهذه ميزةٌ لهم، فقد قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: "**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ «فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**" [3].
5. اختصَّ الله الأمَّة أيضاً بالشهادة قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة:143][4].

المطلب الثاني:
إحياء القلوب وأثرها على صلاح الأمَّة

أولاً: توحد الأمَّة الإسلامية:

تتجسد وحدة المسلمين في اجتماعهم على عقيدة واحدة، وشريعة واحدة، إنَّ وحدة الأمَّة في اجتماع المسلمون على عقيدة واحدة في الله تعالى، وفي جميع أركان الإيمان، لا اختلاف بينهم في أصول الدين ومبادئه الأساسية، فالمسلمون كلهم يؤمنون بوحدانية الله تعالى، ويؤمنون بالملائكة، وبالكتب، وبالرسل، وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض 2215/4: رقم الحديث2889.

(2) صحيح البخاري، كتاب العتق باب/ الخطأ والنسيان في العتاقة والطّلاق ونحوه، 145/3: رقم الحديث 2528.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الصلاة/ باب الأمر بالسكون في الصلاة، 322/1: رقم الحديث 430.

(4) خصائص الأمَّة الإسلامية، المراكبي (موقع إلكتروني).

﴿أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285].

كذلك شرع المولى سبحانه للمسلمين شرائع في منتهى السماحة والعدالة والشمول لتنظيم جميع شؤون الحياة، وإسعاد كل شرائح المجتمع، وتساهم في رقي الأمَّة وازدهارها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: 105].

ولعلَّ من أبرز محاسن هذه الشرائع الإسلامية مراعاة الجماعية، فجلُّ الأقضية في الإسلام ليس إلى الأفراد، وإنما خاطب بها الشارع الحكيم الجماعة المسلمة ممثلة في ولاة الأمر ومن ينوبهم، كما في الأمر بالقتال في سبيل الله في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 244]، والأمر بجباية الزكاة وإعطائها للمستحقين في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 103]، والأمر بإقامة الحدود في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: 38][1].

وكذلك إذا تأملنا في مقاصد تلك الشرائع نجد جملة منها لتحقيق مصلحة الأمة الإسلامية من حيث قوتها وتماسكها وتعاون أفرادها، وبالنظر في الأمثلة السابقة نرى في الأمر بالقتال لحماية الضعفاء ورفع الظلم عنهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾ [النساء: 75] وهذا على الصعيد الخارجي للأمة، وفي سبيل حفظ الكيان المسلم شرع قتال البغاة والمحاربين كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: 9].

وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]، لقد "بعث الله

---

(1) ينظر: وحدة الأمة الإسلامية ضرورة وفريضة، موقع مسلم، *almoslim.net/node*

الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة" [1]، نستنتج من الآيات بأن قيام الدين على ركنين هما: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، ولا يستقيم أمور المسلمين في الدين والدنيا إلا بهما.

وقوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾** [الصف:4] أمَّا السنَّة المطهرة فإنَّها لم تغفل عن ضرورة الدعوة إلى التوحد، وترك الفرقة فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:"**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا. فيرضى لكم: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تَفرَّقوا. ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**"[2].

قال الإمام النووي: "وأما قوله ﷺ"**ولا تفرقوا** "فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين، وتألف بعضهم ببعض، وهذه إحدى قواعد الإسلام"[3].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبي ﷺ أَنَّه قال: "**مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَة، وَخَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، فَمَاتَ فَمِيتَتَهُ جَاهِلِية، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لا يَخْشَّى مُؤْمِنًا لإِيمَانِه، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ منْ أُمَتِي، وَمَنْ قُتُلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِيَّة يَغْضبُ لِلعَصَبيَة، أَوْ يُقَاتلُ لِلعَصَبيَة؛ فَقِتْلَتُهُ جَاهِلِية**" [4].

لقد تظافرت الآيات والأحاديث، واجتمعت على تحقيق مبدءٍ واحدٍ ينهى عن التفرقة ويدعم الوحدة، وإنَّما كان نهي القرآن والسنَّة عن التفرقة ؛ لأنَّ الاختلاف والتقاطع والتشاحن هو طريق الكفار وسبيلهم وإن أظهروا التوحد والاتفاق، قال الله تعالى: **﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾** [الحشر: 14]، أي: " تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء" [5].

ولأنَّ الفرقة توجب الهلاك، فقد صور القرآن وجوه أهل الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، الذين اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة[6]، فقال

---

(1) معالم التنزيل للإمام البغوي، (ج7 /186).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الأقضية/ باب النهي عن كثرة المسائل، 1340/3: رقم الحديث 1715.

(3) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، (ج11/12).

(4) صحيح مسلم، كتاب الإمارة/ باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن،1446/3: رقم الحديث 1848.

(5) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (ج4/ 110).

(6) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ج142/1).

تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:105-107].

إنَّ القلوب إذا صحت، وعمَّرها الإيمان بعد خرابها، ستستعيد الأمة الإسلامية أمجادها وعزها بتوحد الصف، وتوحد الكلمة، والتزام طاعة الله ورسوله ﷺ، ونبذ الفرقة، والاختلاف، وهذه كانت دعوة الإسلام ولا زالت، والنصوص القرآنية الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وَأَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46].

ثانياً: تحقيق القوة العسكرية والاقتصادية:

لقد كانت دعائم صمود الأمة الإسلامية قديماً قائمة على القوة التي تزرع في قلب العدو المهابة، وتقيم سداً منيعاً أمام أطماعه بالاستيلاء على الأرض وطمس الهوية الإسلامية، ولطالما كان المسلمون الأوائل شوكةً تستقر في حلق الأعداء يحسبون لهم ألف حساب، لكن للأسف الشديد منذ أن أهمل أبناء الأمة الأخذ بأسباب القوة، وانغمسوا انغماساً بلا هوادةٍ إلى الأعماق في تبعيتهم للغرب الكافر تبعيةً عمياء، ضاعت الهيبة الإسلامية من القلوب وتربع مكانها الذل والخنوع، والهوان لذلك من آثار إحياء القلوب وصلاحها على الأمة أن تأخذ بأسباب القوة العسكرية والاقتصادية.

1. **القوة العسكرية:** وتتمثل في عدة أمور أهمها:

أ- الرباط في سبيل الله:

الرباط من أعمال الجهاد وهو مختصٌ بحراسة المسلمين في الثغور وملازمتها، لذلك هو أفضل العبادات، والأجر فيه يكون على قدر الخوف في ذلك الثغر، ومدى حاجة المسلمين إليه [1].

(1) ينظر: الإنجاد في أبواب الجهاد، عبد الله بن أصبغ الأزدي،(ص:83).

أما مكان الرباط فهو" المقام بمكان يخيفُه العدو، ويخيف العدو، فمن قام فيه بنية دفع العدو، فهو مرابط والأعمال بالنيات"(1).

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [آل عمران:200]، أي:" اصْبِرُوا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد. وَصابِرُوا وغالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى، وَرابِطُوا أبدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو، وأنفسكم على الطاعة"(2).

وفي فضل الرباط قال النبيَّ ﷺ: "**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيرٌ مِنْ صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ، وَإِنْ ماتَ فيهِ جَرَى عَلَيْهِ عمَلُهُ الَّذي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزقُهُ، وأمِنَ الفَتَّانَ**"(3).

ب- إعداد العدَّة لمواجهة العدو:

قال تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** [الأنفال:60] طالب الله عز وجل عباده بالتحضير والتجهز واستحضار جميع وسائل القوة لإرهاب العدو.

"والإعداد تهيئةُ الشَّيء للمستقبل إذ أمر اللهُ تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الإستعداد للحرب الَّتي علموا أَن لا مندوحةَ عنها لدفع العدوان والشَّر، ولحفظ الأنفُس ورعايَته الحق والعدل والفضيلة بأمرين:

أحدهما: إعداد جميع أسباب القوَّة لها بقدر الاستطاعة.

ثانيهما: مرابطةُ فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهيَ مداخل الأعداء ومواضع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمَّة جندٌ دائمٌ مستعدٌ للدّفاع عنها إذا فاجأها العدوُّ على غرَّةٍ، قاومه الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتِهم على الجمع بين القتال، وإيصال أخباره من ثُغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها "(4).

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج418/28).
(2) أنوار التنزيل ، البيضاوي، (ج56/2-57).
(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة/ باب فضل الرباط في سبيل الله، 1520/3: رقم الحديث 1913.
(4) تفسير المنار، رضا، (ج53/10).

ت- الإنفاق في سبيل الله:

الإنفاق في سبيل الله جهاد، إذ كما يكون الجهاد بالنفس يكون بالمال ويكون بهما معا، ولقد أمر الله المسلمين أن ينفروا خفافاً وثقالاً وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله، فقال جل شأنه: ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:41]، وجعل الله الجهاد بالمال والنفس علامة إيمان الشخص والدليل على صدق هذا الإيمان قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: 15] ولقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: 111]، وجعل هذا البيع التجارة الرابحة المنجية، ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف:10-11]، واعتُبر الامتناع عن الانفاق في سبيل الله القاء بالنفس في التهلكة قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195]. فإذا لم يبذل المسلمون في سبيل الله، وتأييد دينه واعلاء كلمته كل ما يستطيعون من قوة ومال فقد أهلكوا أنفسهم، ومكنوا أعدائهم منهم.

2. القوة الاقتصادية:

إنَّ تحقيق القوة الاقتصادية لا يقل أهميةً عن تحقيق القوة العسكرية، فاقتصاد الدولة إذا ما كان مزدهراً، ومنتعشاً؛ فإنَّها تستطيع أن تجعل لنفسها سداً منيعاً أمام الفقر، والبطالة، وتغلق الباب أمام انتشار الجرائم وانتهاك الحدود، واستباحة المحرمات، وتستطيع أن توجد لنفسها قوةً عسكريةً تحمي سيادتها وكيانها.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:15]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:10].

هذه النصوص وغيرها في القرآن تدعو لسعي الإنسان لكسب رزقه، ففي سورة الجمعة طالب الله عباده بعد انقضاء الصلاة " بالانتشار والتفرق في الأرض للتجارة والتصرف فيما

يحتاجون إليه من أمر معاشهم، والطلب من فضل الله أي من رزقه الذي يتفضل به على عباده من الأرباح في المعاملات والمكاسب، ولا ينسوا في أثناء عملهم وبيعهم وشرائهم أن يذكروا الله ذكرا كثيرا بالشكر له على ما هداهم إليه من الخير الأخروي والدنيوي وفي هذا دلالة على أن عمل المؤمن للدنيا ينبغي أن يكون مصحوبا بذكر الله تعالى ومراقبته، حتى لا يطغى عليه حبها، وإنَّ في مراقبة الله تعالى تحقيق الفوز في الدنيا والآخرة" [1].

" لقد جاء الحث على العمل وبذل النشاط الاقتصادي مطلقاً غير مقصور على نوع معين وغير مقيد بشيء سوى الحل الشرعي، وعلى هذا فإنَّه يشمل جميع أنواع النشاط الاقتصادي، ومختلف أنواع المعاملات والمكاسب مثل التجارة والزراعة والصناعة والشركة والمضاربة والإجارة وسائر ما يباشره الإنسان من أوجه العمل والنشاط الاقتصادي لغرض الكسب الحلال، ولا تنقص قيمة الإنسان في الإسلام بمباشرة أيِّ عملٍ حلالٍ وإن عدَّه الناس بسيطاً أو حقيراً؛ لأنَّ قيمة الإنسان في نظر الإسلام في دينه وتقواه لا في ماله وغناه"[2].

3. مجابهة كافة أنواع الفتن:

أخطر ما قد يجابهه الإنسان المسلم الفتن ؛ إذ أنَّها معولُ هدمٍ في المجتمعات وذكر القرآن عدَّة أنواعٍ منها :

أ- فتنة النساء: قال تعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ [آل عمران: 14] قوله تعالى: "**(مِنَ النِّساءِ)** بدأ بهنَّ لكثرة تشوُّق النُّفُوس إليهنَّ، لأنهنَّ حبائل الشّيطان وفتنة الرجال، وفتنةُ النساء أشد من جميع الأشياء، فيهما فتنتان: إحداهما أن تؤدي إلى قطع الرَّحم، لأَنَّ المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأّمهات والأخوات، والثَّانية يبتلى بجمع المال من الحلال والحرام"[3].

وقال رسول اللَّه :ﷺ" **ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء**"[4].

يؤكد الحديث معنى الآية؛ لأنَّ الطباع كثيراً ما تميل إليهنَّ، وتقع في الحرام لأجلهنَّ،

---

(1) التفسير المنير، الزحيلي، (ج198/28).

(2) ينظر: أصول الدعوة ، زيدان، (ص 279).

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج29/4).

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب النكاح/ باب ما يتقى من شؤم المرأة، 8/7: رقم الحديث 5096.

وتسعى للقتال والعداوة بسببهنَّ، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا، وأي فسادٍ أخطر من هذا"[1]

ب-فتنة المال: قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:46] وهذه الفتنة التي ضيعت الحقوق، وأغرقت العالم في مستنقع الظلام، إذ بالسعي وراء المال انتهك الكثيرون حرمات الله، وفرطوا في الثوابت.

ت-فتنة الأئمة المضلين: وهذه أيضاً فتنةٌ خطيرةٌ؛" لأنَّ أئمة الضلال يلبسون على الناس أمر دينهم، وينشرون سوءاتهم العقدية، ومذاهبهم المنحرفة، تحت عناوين براقة، وشعاراتٍ أخاذةٍ، فينخدع الناس بأصحاب العمائم المأجورة، والفتاوى المهجورة، ويعتقدون أنَّ كل ما جاءوا به يجب أن يتعبد الله من خلاله، وأنَّ كل من يخالف ذلك يصدر في حقه صك حرمان من الجنة، فيدفعون الناس في طريق الغواية والضلال"[2].

د. عودة الأمَّة لخيريتها:

لقد منَّ الله على الأمة الإسلامية بالدين الإسلامي الذي جمعها بعد فرقتها، وأحياها بعد موتها بانتشالها من مستنقعات الجهل والكفر، والضلال، ووصفها بخير أمةٍ أخرجت للناس، فعندما أَمر اللهُ تعالى بالاعتصام بحبله وذكَّر بنعمته على المؤمنين بتأليف القلوب وأخوة الإسلام، وبعد ما نهى عن التفرُّق في الأهواء والاختلاف في الدين إذ قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:103].

بيَّن فضل المعتصمين بحبله، المتآخين في دينه، المتحابّين فيه، ووصفهم بهذا الوصف الشَّريف قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110] فعلم منه أَنَّ خَيريةَ الأمة وفضلها على غيرها تكون بهذه الأمور: الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، والإيمان بالله تعالى، وفي قوله تعالى: **(كنتم)** ثلاثة أوجهٍ: **أولها:** أَنَّ **(كنتم)** تامَّةٌ المعنى أي: وُجدتم خير أمةٍ كأنَّه قال: أنتم خير أمةٍ في الوجودِ الآن ؛ لأَنَّ جميع الأمم غلب عليها الفساد فلا يُعرف فيها المعروف ولا ينكر فيها المنكرُ، وإيمانهم غير

(1) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري (ج53/8).

(2) الأمة الإسلامية سماتها ومقوماتها وأهدافها، زيدان،(ص65).

صحيحٍ فلا يمنعهم عن الشر ولا يصرفهم إلى الخير، بخلاف إيمانكم بالله فهو إيمانٌ صحيح يظهرُ أثرهُ في العمل، **ثانيها:** أنَّها ناقصةٌ والمعنى حينئذٍ كنتم في الأمم السابقة كما في كتبها المبشرة بكم خير أمةٍ، **ثالثها:** أنَّكم صرتم خير أمةٍ وهذا أضعف الأقوال[1].

وحتى تستعيد الأمَّة الإسلامية خيرتها وتعود لسابق مجدها، فإنَّها بحاجةٍ إلى عقولٍ مفكرةٍ، وسواعد قويةٍ، وبطون ممتلئةٍ، وهممٍ عاليةٍ، وأجسامٍ مكسوة، واستقلاليةٍ في التفكير واتخاذ القرار، ولكن للأسف أين هي العقول المفكرة؟!، أين أصحاب الهمم والعزم؟!، أين السواعد التي هيئت للنضال؟!، وأين هي البطون التي درأ عنها الجوع؟!، وأين هي الأجسام التي سترت من العري؟!... إذا أرت الجواب فاسأل جدران الزنازين عن شرفاء الأمَّة الذين باتوا فيها قابعين، أو اسأل أزقة القهر التي يقطنها الفقراء والمساكين، أو اسأل مقاعد الرؤساء والحكام المبجلين الذين ظنوا أنَّهم في الدنيا مخلدين، أو اسأل دموع الثكلى والأرامل في العراق أو اليمن، أو سوريا و فلسطين...

"إنَّ كرامة الأمة تسترد حين نتخلصُ من الجهل، والفقر، والضعف، والظلم، والخوف، وعندما يحرر ولاة الأمور شعوبهم من القيود فتكون لهم كرامة وسلطان في الأفئدة والقلوب؛ لأنَّه طالما كانت الشعوب تعجز عن انتقاد الحكام خشية التكبيل بالأغلال، وكان الحكام يرفضون المعارضة ويرون أنَّ أصحابها متآمرين على الدولة والسلطان، فلن يستطيعوا كسر قيود الأعداء، إذ يجهلون أنَّ الشعوب لا تساق إلى ميادين المجد بالحديد والنار، والضغط والإكراه، إنَّما تساق إليها، بتوحد الحاكم والمحكوم على كلمةٍ سواء، تحت راية التضحية والفداء"[2].

أسأل الله أن يمنَّ على أمتنا الإسلامية بالشفاء، والعودة لكتاب الله فآياته منهجُ حياة، وأسأل الله أن يعيد لنا عزنا ومجدنا وكرامتنا.

---

(1) ينظر: تفسير المنار،محمد رضا، (ج 4/47-48).

(2) هكذا علمتني الحياة، السباعي،(ص361)، بتصرف.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، الحمد لله حمداً طيباً مباركاً يليق بجلاله، وعظمة سلطانه، الحمد لله الذي منَّ عليَّ بإتمام هذا البحث المتواضع، بالرغم من كل الصعوبات والمعيقات، التي مررت بها كسائر أبناء شعبنا المبارك في فلسطين، من تبعات الحصار المفروض علينا، الذي يؤثر سلباً على كل نواحي الحياة ومجالاتها، ومنها المجال العلمي.

لقد كان سبب اختياري لهذا البحث ما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من تحجرٍ في القلوب وتصلبٍ فيها، وفقدان غالب أبنائها للبصيرة النافذة التي يدركون من خلالها حجم المؤامرة التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين.

وإني في هذا العمل لا أقول أني أوفيته حقه، إنَّما هو جهد المقل، وقد حاولت أن ألملم شمل جميع مواضيعه بقدر المستطاع، دون الإسهاب الممل، أو الإيجاز المخل، فأرجوا أن يكون له القبول عند الله عز وجل وأن يأجرني بقدر نيتي.

لقد توصلت في هذا البحث إلى مجموعةٍ من النتائج والتوصيات أخرج بها في هذه السطور علها تجد صداها في القلوب.

أولاً: أهم النتائج:

1. دعوة الإسلام هي دعوة لحياة القلب، وهي سبيل الفوز والنجاة.
2. الحياة الدنيا ما هي إلا دار اختبار للإنسان يواجه فيها الشدائد والمصاعب التي تكشف عن مصداقية إيمانه، ومدى التزامه بالقوانين الربانية التي وضعها الخالق لخدمته ولتحقيق أمنه واستقراره؛ لذلك وجب على كل ذي بصيرة أن يشق طريقه نحو النجاة وأن يحافظ على خط السير المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، ولا ظلم ولا اجحاف، لضمان سلامة الدرب والنجاة.
3. السبب الرئيس لتفرق الأمة وتأخرها هو الأمراض التي استوطنت القلوب، وعاثت فيها الفساد.
4. للأسف استبدل الكثير من أبناء الأمة الإسلامية الذي هو أدنى بالذي هو خير! وباعوا كرامتهم بثمنٍ بخس، واشتروا ذلهم بأثمانٍ باهظةٍ؛ لأنَّهم انحرفوا عن المسار الصحيح، ودفنوا قلوبهم في مقابر الشهوات والملذات.

5. القرآن الكريم هو حجة الله عز وجل على عباده، إذ بيَّن لهم طريق الهداية، ورسم لهم معالمه المفضية إلى الجنة، وبيَّن في المقابل سبل الضلال وحذَّر من اتباعها؛ لأنَّها تميت القلوب وتلقي بها إلى التهلكة.

6. القلوب السليمة هي القلوب المقبلة إلى ربها بالطاعة، والالتزام، أما القلوب السقيمة فهي التي انهزمت أمام متاع الدنيا وسلمت لها مفاتيح عزيمتها، والقلوب القاسية هي تلك التي أغلقت منافذ النور، وحجبت عنها الهداية.

7. هناك وسائل كثيرة ومعينة، تساعد على تخطي أمراض القلوب، وكل ما تحتاج إليه النية الصادقة في الرجوع إلى الله ﷻ، وتدبر القرآن، وتقوى الله ﷻ، والاحتراز عن المعاصي، والزهد في الدنيا.

8. نجاة القلوب من العذاب قائمة على تخليتها من كل الشوائب، ومن ثمَّ تحليتها بالإيمان، ومجاهدة ومحاسبة النفس، والعمل على تحقيق استقامتها.

9. إصلاح القلوب وإحياءها يعود على الأمة بالنفع والخير الكثير، إذ به تستعيد الأمة عافيها، وتقوى على مجابهة أعدائها.

10. من أثر إحياء القلوب صلاح النفس وإعادة ترميمها، وصقل الشخصية المسلمة؛ لتكون قوية ومميزة.

11. إحياء القلوب يثمر ثماراً جنية على الأسرة المسلمة فتربي أبناءها على المنهج الرباني السليم.

12. صلاح المجتمع الإسلامي وخلوه من الآفات، وتماسكه، وتحقيق العدل، ونبذ كل مظاهر الظلم والاستبداد هي نتاج لصلاح القلوب، وإحياءها.

13. من أثر إحياء القلوب تعزيز دعائم صمود الأمة الإسلامية وتحقيقها للقوة العسكرية والاقتصادية التي من خلالها يكون عز الأمة ومجدها.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. بالرغم من كل ألوان المعاناة التي يعيشها المسلمون في جميع أصقاع الأرض من مشارقها إلى مغاربها، وبالرغم من صنوف العذابات والحسرات التي تجرعناها؛ إلا أنَّ الأمل موجود باستعادة الكرامة والعزة؛ لذلك أوصي أبناء أمتي أن يعودوا إلى كتاب الله وسنة نبيه.

2. على الأمة الإسلامية أن تعمل على مجاهدة النفس، ومحاسبتها أولاً بأول؛ حتى لا تصدأ القلوب.

3. أوصي بضرورة تدبر كتاب الله حق التدبر؛ لأنَّ فيه الخير الكثير، وبتدبره التدبر القلبي تنجلي كل غيوم الظلم، وتنقشع كل سحب الجهل عن الأمة.

4. أوصي الدعاة أن يركزوا في دعوتهم على إصلاح القلوب، وبث الحياة فيها، وتعاهد المدعوين ومتابعتهم؛ لتقوم العلاقات بينهم على المحبة، والأخوة.

5. أوصي كل من كان بيده زمام الأمور من حكام أو سلاطين، أن يتقوا الله في رعاياهم وأن يعملوا بشريعة الله المنزهة عن الزيف والباطل، وأن يحتكموا إلى الله لا إلى الطواغيث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خير المرسلين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. *أبو بكر الصديق*، علي طنطاوي، دار المنارة، ط3، 1406هـ-1986م.
2. *أثر المعصية على الفرد والمجتمع*، محمد بن صالح العثيمين، السعودية، دار الهداية، ط1، 1430-2009م.
3. *إحياء علوم الدين* ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الطوسي(ت505هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط1، (د.ت).
4. *الأخلاق الإسلامية*، حسن السعيد المرسي، مكتبة المتنبي، السعودية، ط2، 1427هـ.
5. *أدب الدنيا والدين*، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، الرياض، دار اقرأ، ط4، 1405هـ-1985م.
6. *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، أبو السعود الهادي محمد بن محمد بن مصطفى، (ت982هـ)، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت)
7. *أسباب هلاك الأمم السالفة*، سعيد بابا سيلا، سلسلة إصدارات الحكمة، بريطانيا، ط1، 1420هـ-2000م.
8. *الاستقامة*، ياسر برهامي، إعداد وتنسيق، براحة الدورات الشرعية والبحوث العلمية، منتدى البراحة،إشراف، أبو الفرج المصري، تاريخ الاطلاع: 2018/04/27م، الرابط: www.airaha.com .
9. استقلالية الشخصية الإنسانية في الإسلام،عبد العزيز بن إدريس، *مجلة دعوة الحق*، (12).
10. *الأسرة في ضوء الكتاب والسنة*، أحمد فرج، دار الوفاء، مصر، ط1، 1407هـ.
11. *أسس بناء المجتمع المسلم في الصدر الأول(وثيقة المدينة نموذجا)*، عبد الحليم علي رمضان دويم، ورقة مقدمة إلى مؤتمر مكة المكرمة الثالث عشر(المجتمع المسلم الثوابت والمتغيرات)، السعودية، رابطة العالم الإسلامي، 2012م.

12. *الإصابة في تمييز الصحابة*، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني،(ت852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد المجيد السلفي، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1415هـ.

13. *إصلاح النفس عرض للأخلاق الواقعية والتعليمية*،كمال الحيدري، بقلم، طلال الحسن، مؤسسة، الإمام جواد للفكر والثقافي،1437هـ-2015م.

14. *أصناف الذين يطبع الله على قلوبهم*، أبو حميد عبد الملك بن ظافر الماجوني الكوسوفي، تاريخ الاطلاع: 2018/02/14م، الرابط: www.alukah.net .

15. *أصول الدعوة*، عبد الكريم زيدان، العراق، جامعة بغداد، ط3، 1396هـ-1976م.

16. *أصول العقيدة الإسلامية، (مع منتخبات اختارهاعبد المنعم صالح العلي العزي)*، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن مسلمة الأزدي الطحاوي(ت321هـ)،دار النشر للجامعات، ط1، القاهرة،1432هـ-2012م.

17. *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415 هـ - 1995 م.

18. *إعراب القرآن وبيانه*، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت1403هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية،حمص - سورية، دار اليمامة، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط4، 1415 هـ.

19. *إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان*، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (691-751)، تحقيق: محمد عزير شمس، خرج أحايثه، مصطفى بن سعيد إيتيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1432 هـ.

20. *أفلا يتدبرون*، ناصر بن سليمان العمر، مركز تدبرات للدراسات والاستشارات،الرياض، ط2، 1434هـ-2013م.

21. *أكام المرجان في أحكام الجان*، محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي أبو عبد الله بدر الدين بن تقي الدين،(ت769هـ)، تحقيق، إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، مصر، ط1، 2000م.

22. *الأمة الإسلامية (سماتها، مقوماتها، أهدافها)*، عبد الوهاب عصام زيدان، إشراف، د. محمد رضوان أبو شعبان،2013م.

23. الإنجاد *في أبواب الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه*، أبو عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ الأزدي القرطبي المعروف بابن المناصف (ت620هـ).

24. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (ت685هـ)، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ط1، 1418هـ.

25. *أنواع الجهاد*،د. محمد راتب النابلسي، تاريخ الاطلاع: 2018/05/24م، الرابط: www.nabulsi.com/blue/ar/art. .

26. *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط5، 1424هـ – 2003م.

27. بحر *العلوم*، أبو الليث نصر بن حمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت373هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

28. *بدائع الفوائد*، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، (ت751هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، إشراف، بكر بن عبد الله بو زيد، مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (د.ت).

29. *البرهان في علوم القرآن*، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، علي البابي الحلبي، ط1، (د.ت).

30. *بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية*، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان أبو سعيد الخادمي الحنفي،(9ت1156هـ)،مطبعة الحلبي، بيروت،1348هـ.

31. *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، (د.ت).

32. *بناء الأسرة المسلمة في ضوء القرآن الكريم والسنة*، خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت،لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.

33. *بناء الفرد وأثره في تكوين الأمم والحضارات*، سلمان بن فهد العودة، تاريخ الاطلاع: الرابط: www.k-tb.com/book/olmaa.

34. *بناء المجتمع الإسلامي*،نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1418هـ-1998م.

35. *بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار*، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن محمد آل سعدي،(ت1376هـ)، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ط4، 2002م

36. *بيان الفرق بين القلب والصدر، الحكيم الترمذي*، (ت320هـ)، يوسف وليد مرعي، مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، عمان، الأردن، ط1، 2009هـ.

37. *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).

38. *تاريخ الفاروق وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب*، محمد رضا، القاهرة، مكتبة الجامعة المصرية، ط1، 1936م.

39. *تاريخ بني إسرائيل(من عصر إبراهيم حتى عصر موسى عليهما السلام)*، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية، الجزء الأول،1999م.

40. *تبصرة المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم(أنواعه، شروطه، أسبابه، مراحله، أهدافه)*، علي محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات الشارقة، ط1، 1422هـ-2001م.

41. *التبيان في تفسير غريب القرآن*،ابن الهائم أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي أبو العباس شهاب الدين ابن الهائم، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1423هـ.

42. *التحرير والتنوير(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)*، محمد الطاهر بن محمد بن حمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، 1984م.

43. *تحفة الأحوذي*، شرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري،(ت1353هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت

44. *التحفة العراقية في الأعمال القلبية ويليها أمراض القلوب وشفاؤها*، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، مكتبة المنار، ط1، 1408هـ-1987م.

45. *تربية الأولاد في الإسلام*، عبد الله ناصح علوان، دار السلام، القاهرة، ط34، 1429هـ-2008م.

46. *تربية النفس*، فتحي عيساوي، تاريخ الاطلاع: 2018/03/02م، الرابط: www.alukah.net. 1435هـ

47. *تفسير الإمام الشافعي*، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن نافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي ،(ت204هـ)، تحقيق: أحمد بن مصطفى الفران، دار التدمرية، السعودية، ط1، 1427هـ-2006م.

48. *تفسير التستري*، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري(ت283هـ)، جمع أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ.

49. *تفسير الشعراوي (الخواطر)*، محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (د.ط)، 1997م.

50. *تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (ت1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.

51. *تفسير القرآن العظيم*، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (ت 774 هـ)، دار ابن حزم، طبعة جديدة ومنقحة ومرتبة، ط1، 1420هـ - 2000هـ

52. *تفسير القرآن*، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي(ت489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1418هـ-1997م.

53. *تفسير المراغي*، أحمد بن مصطفى المراغي(ت1371هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى،1365هـ-1946م.

54. *التفسير الميسر*، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، السعودية، ط2، 1430هـ - 2009م.

55. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ.

56. *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، (د.ت).

57. *التفسير الوسيط*، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1422هـ.

58. *التكافل الاجتماعي في القرآن*، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991م.

59. *تنمية المجتمع من منظور إسلامي*، إبراهيم عبد العزيز إبراهيم محمد السمري، بحث مقدم لنيل جائزة الألوكة الثانية، قسم الدراسات والأبحاث،1432هـ-2011م.

60. *التوبة إلى الله معناها حقيقتها وفضلها وشروطها*، صالح بن غانم السدلان، الرياض، دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط1، (د.ت).

61. *التوحيد*، ابن رجب الحنبلي،المحقق، صبري بن سلامة شاهين، دار القاسم للنشر، الرياض، ط1،1415هـ.

62. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين الشافعي أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري(ت804هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ-2008م.

63. *التوقيف على مهمات التعاريف*، عبد الرؤوف بن الميناوي(ت1031هـ)، المحقق،عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى،1410هـ-1990م.

64. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي،(ت1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 1420هـ-2000م.

65. *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ.

66. *جامع الأصول من أحاديث الرسول*، مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير،(ت606)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مكتبة دار البيان، ط1، 1995م.

67. *جامع البيان في تأويل القرآن*، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م

68. *جامع البيان في تفسير القرآن*، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الإيجي الشافعي، (ت 905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ - 2004م

69. *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(صحيح البخاري)*، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق،محمد زهير بن ناصر الناصر،دار طوق النجاة، ط1،1422هـ.

70. *الجامع لأحكام القرآن*، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ،القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964 م.

71. *الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي*، أو الداء والدواء، الفقيه محمد بن أبو بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي الحنبلي ابن قيم الجوزية، خرج أحاديثه وحققها، عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، ط3، 1417هـ- 1996م.

72. *الجوهر النفيس في شعر محمد بن إدريس*، محمد إبراهيم سليم، (د.م)، مكتبة ابن سينا، ط1، (د.ت).

73. *حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، مطبعة المدني، القاهرة .

74. *الحسد دراسة قرآنية*، طاهر عبد الرحيم محمد عزام، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، 2001م

75. *حقوق الزوجين المشتركة*،د. وهبة الزحيلي، ورقة مقدمة إلى مؤتمر تمكين الأسرة في الشريعة الإسلامية، جامعة دمشق، كلية الشريعة،(9-10)رجب 1429هـ، حتى (12-13) يوليو 2007 م.

76. *حقيقة القلوب في القرآن الكريم*، السيد العلوي، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط1، لبنان، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، 1424هـ-2003م.

77. *حلاوة الإيمان*، أبو ريحانة محمد بن سيد بن عبد العظيم الجنزوري تاريخ الاطلاع: 2018/03/24م، الرابط: www.alukah.net.

78. *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني،(ت430هـ)، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط2، 1974م.

79. *الحياة في القرآن الكريم*، أحزومي جزولي، دراسة موضوعية، دار طويق للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ-1997م.

80. *خصائص الأمة الإسلامية*، جمال المراكبي، تاريخ الاطلاع: 2018/01/17م، الرابط، www.alukah.net.

81. *الخلاصة في فقه القلوب*، علي بن نايف الشحود، السعودية، (د.ن)، ط1، 2007م.

82. *درج الدرر في تفسير الآي والسور*،أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار،(ت471هـ)، المحقق، وليد بن صالح الحسين،إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، ط1، 1429هـ-2008م.

83. *دعوة القرآن إلى إصلاح الأسرة والمجتمع*، د. رياض قاسم، أ. فايز حسان أبو عمرة، www.iugaza.edu.ps/ara/research.

84. *الرسالة القشيرية*، عبد الكريم بن هوزان عبد الملك القشيري،(ت465هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط1، (د.ت).

85. *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، شهاب الدين بن محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت1270 هـ)، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

86. *الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية،(ت751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

87. الروض الأنيق في سيرة أبو بكر الصديق، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط1، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).

88. *روضة العقلاء ونزهة الفضلاء*، الإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي،(ت354هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد،محمد عبد الرازق حمزة، محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، 2004م، (د.ت).

89. *زاد المسير في التفسير*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت 597هـ)، تحقيق: عبد الرازق المهدي، ط1، 1422هـ.

90. *زاد المعاد في هدي خير العباد*،الإمام أبو بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية، ضبط نصه، شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1430-2003م.

91. *زبدة التفسير*، محمد سليمان عبد الله الأشقر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر،1428هـ-2007م.

92. *الزهد الكبير*، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي،(ت458هـ)، تحقيق: عامر حيدر، مؤسسة الكتب الثقاية، بيروت، ط1،1996م.

93. *الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة،(المجموع الرائق من الوصايا والزهديات والرقائق)*، ربيع بن هادي عمير المدخلي، ط1، (د.م)، (د.ن)، 1433هـ-2012م.

94. *الزهد*، أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد جلال شرف أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية الآداب، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1981م.

95. *سددوا وقاربوا*، عبد الرحمن الدوسري، تاريخ الاطلاع: 2018/05/30م. الرابط: www.alukah.net..

96. *السلسلة الصحيحة*، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها وفوائدهان أبو عبد الرحمن محمد بن ناصر الدين بن الحجاج نوحبن نجاتي بن آدم الأشقودرتي الألباني(ت1420هـ)، مكتبة المعارف للنسخ والتوزيع، الرياض، ط1، (د.ت).

97. *سلسلة تأملات في آيات قصة وصايا لقمان لابنه*، مصطفى العدوي، السعودية، مكتبة مكة، ط1، (د.ت).

98. *السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن الكريم والسنة*، جملات محمود نايف الجرايدة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ-2010م.

99. *سنن ابن ماجة*، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.

100. *سنن أبو داوود*، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت275هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، بيروت.

101. *سنن الترمذي*، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى(ت279هـ)، أحمد محمد شاكر.

102. *سير أعلام النبلاء*، للإمام أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي(ت748هـ)، (د.م)، بيت الأفكار الدولية، (د.ت).

103. *شخصية المسلم*، د. محمد راتب النابلسي، تاريخ الاطلاع: 2018/03/17م، الرابط: www.nabulsi.com/blue/ar/art.

104. *شرح رياض الصالحين*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين،(ت1421هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.

105. *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1398هـ-1978م.

106. *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت573هـ)، المحقق، د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد

الله، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر،دمشق – سورية، ط1، 1420 هـ – 1999 م.

107. *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت393هـ)، تحقيق، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط4، 1407 هـ – 1987 م.

108. صحيح *ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي أ[و حاتم الدارمي البستي(ت354هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ–1993م.

109. *صفوة التفاسير*، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1417هـ – 1997م.

110. *صيد الخاطر في التخلي من الأمراض النفسية والتحلي بالآداب الشرعية والأخلاق المرضية*،(ت597هـ)، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، عناية حسن السماحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط3، 1433هـ–2012م.

111. *الطبقات الكبرى*، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد،(ت230هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1968م.

112. *طريق الهجرتين وباب السعادتين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ) ، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط2، 1394هـ .

113. *العدل في الحكم(القواعد والصفات والآثار) دراسة قرآنية*، جمال جميل مهيوب عبد الله، إشراف، د. خالد نبوي سليمان حجاج، ماليزيا، 1434هـ–2013م.

114. *العدل وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع*، خالد بدير بدوي، تاريخ الاطلاع: 2018/01/19م، الرابط: https://eslamiatt.blogspot.com .

115. *عقيدة التوحيد وما يضاضدها من الشرك الأصغر والأكبر والتعطيل والبدع وغير ذلك*، صالح الفوزان، دار القاسم، ط1، (د.ت).

116. *العقيدة الواسطية*، شيخ الإسلام ابن تيمية، شرح محمد بن صالح بن محمد بن العثيمين(ت421هـ)، خرج أحاديثه، سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط6، (د.ت).

117. *العلم نبراس الحياة*، مثنى الزبيدي، تاريخ الاطلاع: 2017/12/18م، الرابط: www.alukah.net.

118. *غرائب التفسير وعجائب التأويل*، محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين الكرماني يعرف بتاج القراء(ت505هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

119. *الغفلة في ضوء القرآن الكريم*، *دراسة موضوعية*، إيمان الرياشي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة،.

120. *الغفلة مفهومها وأسبابها*، سعيد بن علي بن وهب القحطاني، تاريخ الاطلاع: 2018/02/15م، الرابط: www.alukah.net، 1427هـ.

121. *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي،(ت795هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط1، 1417هـ-1996م

122. *فتح البيان في مقاصد القرآن*، أبو الطيب محمد صدّيق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي،(1307هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ-1992م.

123. *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت 1250هـ)، اعتنى به يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1428 - 2007م.

124. *فضل العلم وآداب طلبه وطرق تحصيله وجمعه*، أبو عبد الله محمد بن سعيد أرسلان، دار أضواء السلف، القاهرة، ط1، 1429هـ-2008م.

125. *فقه السيرة، دراسات علمية منهجية لسيرة المصطفى عليه السلام وما تنطوي عليه من عظات ومبادئ وأحكام*، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط3، (د.ت).

126.*فن التدبر في القرآن*، عصام بن صالح العويد، مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، السعودية، ط3، 1431هـ-2010م.

127.*فوائد التقوى من القرآن*، ابن العثيمين، الرياض، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط1، 1428هـ.

128.*في ظلال القرآن*، سيد قطب، دار الشروق، طبعة جديدة،المجلد الخامس، 1972م.

129.*قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر*،الفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، المحقق، عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1983م.

130.*القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت817هـ)، تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م.

131.*قبس من نور القرآن الكريم(سورة الفاتحة، البقرة، آل عمران)* دراسة موسعة تحليلية لأهداف ومقاصد السور الثلاثة، محمد علي الصابوني، بيروت، دار القلم، ط1، 1998م.

132.*القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة*، جمال الدين محمد شرف،دار الصحابة للتراث بطنطا، ط4،1432هـ-2010م.

133.*قصص القرآن دروس وعبر*، سعد يوسف محمود أبو عزيز، (د.م)، (د.ن)، ط1، 1420هـ-1999م.

134. *القلب وأحواله في القرآن الكريم*، عبد الكريم بليل، تاريخ الاطلاع: 2018/03/27م الرابط: www.alukah.net

135.*القلب ووظائفه في الكتاب والسنة*، سلمان زيد سلمان اليماني، دار ابن القيم، ط1، 1414هـ-1994م.

136.*قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل*، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق، دار القلم، ط1، 1400هـ-1980م.

137.*قواعد قرآنية*(50قاعدة قرآنية في النفس والحياة)،د. عمر عبد الله المقبل،مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، السعودية، ط2 ،1432هـ-2011م.

138. *القوة في الإسلام*، موقع السكينة، 2018/03/15م، الرابط.www.ssakina.com.

139. *القوة في القرآن الكريم*، رائد عبد الرحيم عاصي، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة النجاح، نابلس، 2009م.

140. *كتاب فيه الزهد والمقالات، وصفه الزاهدين*، أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشير بن الأعرابي الشهير بأبي سعيد الأعرابي(ت340هـ)، دراسة وإشراف ومراجعة ا.عامر النجار، تحقيق: خديجة محمد كامل، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1998م.

141. *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (538هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1430هـ - 2009م.

142. *الكشف والبيان عن تفسير آي القرآن*، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبي إسحاق، (ت 427هـ)، تحقيق، الإمام أبو محمد عاشور، مراجعة، أ. نظير الساعدي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م.

143. *كيف أجاهد نفسي*، بدرية الراجحي، تاريخ الاطلاع: 2018/01/18م، الرابط: www.ktibat.com.

144. *اللالىء البهية في شرح العقيدة الواسطية*، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، شرحه معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق: عادل بن محمد مرسي رفاعي، الجزء الأول،دار العاصمة، ط1، 1431هـ-2010م.

145. *لباب التأويل في معاني التنزيل*، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن، (ت 741هـ)، تصحيح، محمد علي شاهين، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.

146. *لباب النقول في أسباب النزول*، عبد الرحمن بن أبو بكر جلال الدين السيوطي(ت911هـ)، ضبطه الأستاذ، أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (د.ت).

147. *اللباب في علوم الكتاب*، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت 575هـ)، تحقيق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998 م.

148. *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت711هـ)،دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ.

149. لطائف الإشارات، تفسير القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت465هـ). تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ط3، (د.ت).

150. *مباحث في علوم القرآن*، مناع بن خليل القحطان، (ت1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 1421هـ-2000م.

151. *مجالس التذكير من كلام الخبير*، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي(ت1359هـ)، علق عليه وخرج أحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416هـ-1995م.

152. *مجاهدة النفس على ترك الشهوات المحرمة*، شريف سلطان، تاريخ الاطلاع: 2018/07/25م www.alukah.net.

153. مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية(ت728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حمد بن قاسم، ط2، السعودية، مجمع الملك فهد. 1995م

154. مجموع *رسائل ابن رجب*، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي،(ت795هـ)، تحقيق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، القاهرة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2003م

155. *محاسبة النفس والازدراء عليها*، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي، تحقيق: المعتصم بالله أبو هريرة، مصطفى بن علي بن عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.

156. *محاسبة النفس*، عبد الرحمن العايد، تاريخ الاطلاع: 2018/05/06م، الرابط: www.islamlight.netalaeed.

157.*محاسبة النفس*، وحيد عبد السلام بالي، تاريخ الاطلاع: 2018/04/17م، شبكة الألوكة، الرابط: www.alukah.net..

158.*المحاسبة*، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد النشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ-2009م.

159.*محاسن التأويل*، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، (ت1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ.

160.*محاضرات إسلامية هادفة*، عمر الأشقر، دمشق، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ-1997م.

161.*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، (ت 542هـ)، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

162.*مختار الصحاح*، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا ط5، 1420هـ - 1999م.

163.*مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير*، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط1، (د.ت).

164.*مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م.

165.*مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، وأبو البركات عبد الله بن أحمد بن حمود حافظ الدين النسفي، (ت710هـ)، خرج أحاديثه يوسف علي بدوي، دار الكلم الطيب، ط1، 1419 - 1998هـ.

166.*المدخل*، ابن الحاج أبو عبد الله محمد بنمحمد العبد المالكي الفاسي،(ت737هـ)، القاهرة، مكتبة دار التراث، ط2، (د.ت).

167. *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري(ت1414هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2002م.

168. *مسند أحمد*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت241هـ)، المحقق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.

169. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،(صحيح مسلم)،* مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

170. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت 770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

171. *المصنف في الأحاديث والآثار لأبي شيبة*، أبو بكر بن أبي شيبة عبدالله بن محمد بن إبارهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت235هـ)، المحقق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ط1، 1459هـ.

172. *معارج القدس في مدارج النفس،* أبو حامد محمد بن حمد الغزالي الطوسي،(ت505هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1975م.

173. *المعاصي وأثرها على الفرد والمجتمع*، حامد المصلح، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية، 408هـ-409هـ.

174. *معالم الأسرة المسلمة في القرآن الكريم*، شيرين زهير أبو عبدو (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2010م.

175. *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، محي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت510هـ) المحقق، عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،1420هـ.

176. معجم *التعريفات*، العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،(ت816هـ)، المحقق، محمد صديق منشاوي، دار الفضيلة.

177. معجم *الفروق اللغوية*، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت395هـ)، تحقيق، الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ.

178. *المعجم الكبير*، سلمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني،(ت360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، (د.ت).

179. معجم *اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

180. معجم المصطلحات والفروق اللغوية(الكليات)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي،(ت1094هـ)،قابله على نسخة خطية، د. عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط2، 1409هـ-1998م.

181. *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف*، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية،1364هـ.

182. *المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة*، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، بيروت، دار الدعوة، ط2، (د.ت).

183. معجم *مقاييس اللغة*، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، المحقق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1399هـ - 1979م.

184. *مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير*، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

185. *المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم*، عبد الكريم بليل، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، (د.ت).

186. *مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، العلامة الإمام شيخ الإسلام علم العلماء الأعلام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن القيم الجوزية(ت571هـ)، الجزء الأول، دار نجد للنشر والتوزيع، الرياض، 1402هـ-1982م.

187. *مفتاح تدبر القرآن والنجاح في الحياة*، خالد عبد الكريم محمد، الرياض، (د.ن)، ط2، 1428هـ-2007م.

188. *مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة* ، خالد اللاحم، السعودية، الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط2، 2007م.

189. *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد(الراغب الأصفهاني)،المحقق، مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، (د.ت).

190. *من وصايا الرسول*، طه عبد الله العفيفي، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1405هـ-1985م.

191. *منهاج الزهد في حياة الرسول* ﷺ، السيد إبراهيم أحمد الألوكة، تاريخ الاطلاع: 2018/03/23م، الرابط: www.alukah.net.

192. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي(ت676هـ)، دار إحياء الترلث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.

193. *منهج القرآن الكريم في تقويم سلوك العصاة*، شادي بن عبد الرحيم بن سعيد ناقرو، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية، 1431هـ-2010م.

194. *المنهج النبوي في بناء القيم في العهد المكي*، علي الصلابي، تاريخ الاطلاع: 2018/01/28م، الرابط: مدونات الجزيرة blogs.aljazeera.net/blogs.

195. *منهجيات في الإصلاح والتغير* ،د. صلاح سلطان، دراسة تأهيلية تطبيقية سورة الكهف، سلطان للنشر، ط1، 1429هـ-2008م.

196. *موسوعة الأخلاق الإسلامية، مجموعة من الباحثين*، إشراف الشيخ، علوي بن عبد القادر السقاف، تاريخ الاطلاع: 2018/02/07م الرابط،www.dorar.net.

197. موسوعة *الأخلاق والزهد والرقائق(قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)*، ياسر عبد الرحمن، مؤسسة اقرأ، الجزء الثاني، ط2، 1428هـ-2007م.

198. موسوعة *فقه القلوب*، محمد إبراهيم التويجري، بيروت، بيت الأفكار الدولية، 2006م.

199. موسوعة *مصطلحات الإمام الغزالي، رفيق العجم*، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى،2000م.

200. *النبوة والأنبياء دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم وأثرهم في تفسير مفاهيم الشر بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة والجدة والتحقيق* ، محمد علي الصابوني، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، ط3، 1985م.

201. *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت 597هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان–بيروت ط1، 1404هـ – 1984م.

202. *نصائح ذهبية لعلاج المعاصي*، عبد الدايم كحيل، تاريخ الاطلاع: 2018/01/10م، الرابط: www.kaheei7com.

203. *نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم*، صالح بن عبد الله بن حميد، السعودية، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط4، (د.ت).

204. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبو بكر البقاعي(ت885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، (د.ت).

205. *النفس البشرية*، أسامة أحمد، تاريخ الاطلاع: 2018/01/17م، الرابط: www.paid.net.

206. *النفس في القرآن الكريم*، أحمد عمر هاشم، تقديم فضيلة الشيخ متولي الشعراوي والشيخ محمد الغزالي، (د.م)، دار الفيصل، ط1، (د.ت).

207. *النفس وحقيقتها في القرآن الكريم*، رانيا محمد عزيز نظمي، (د.م)، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، ط1، 2006م.

208. *النهاية في غريب الحديث والأثر*، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير،(ت606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، بيروت، المكتبة العلمية، 1394هـ–1979م.

209. *الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجملة من فنون علومه*، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د، الشاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429 هـ – 2008 م.

210. *هكذا عاشوا مع القرآن قصص ومواقف*، أسماء بنت راشد الرويشد، السعودية، مؤسسة آسية للاستشارات والتدريب، ط1، 1432هـ-2011م.

211. *هكذا علمتني الحياة*، مصطفى السباعي، القاهرة، المكتب الإسلامي، ط2، 1418هـ-1997م.

212. *الوابل الصيب من الكلام الطيب*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق، سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة ، ط3، 1999م.

213. *وجل القلب*، أمير الدميري، تاريخ الاطلاع: 2016/12/21، الرابط: www.alukah.net.

214. *الوجوه والنظائر في القرآن الكريم*، مقاتل بن سليمان البلخي،(ت150هـ)،المحقق، حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للتراث، بغداد، ط1،1427هـ-2006م.

215. *الوجوه والنظائر*، أبو هلال العسكري،(ت 400هـ)، المحقق، محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1428هـ-2007م.

216. *وحدة الأمة الإسلامية فريضة وضرورة* تاريخ الاطلاع: 2018/03/06م، الرابط: almoslim.net/node/117222.

217. *الوصايا العشر في سورة الأنعام، دراسة موضوعية*، عبده محمد علي سحلول، (سالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الأزهر، القاهرة، 2002م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	109	79
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ ... ﴾	143	205
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	179	9
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ ... ﴾	189	102
﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	195	210
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾	196	63
﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾	197	108،43
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي... ﴾	206-204	71
﴿ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾	221	182،181
﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾	229	184
﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	244	206
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ... ﴾	246	198
﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ ... ﴾	247	198
﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾	255	10
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ... ﴾	256	130
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ... ﴾	285	206
آل عمران		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ... ﴾	7	91

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ ... ﴾	8	131
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ... ﴾	14	211،124
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ ... ﴾	18	172
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ ... ﴾	30	144
﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾	49	9
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	102	103،102
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ... ﴾	103	212
﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ ... ﴾	104	188
﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ... ﴾	107-105	208
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾	110	212،188
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ... ﴾	118	73
﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ ... ﴾	120	110
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ... ﴾	126	43
﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا ... ﴾	135 - 136	119
﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ... ﴾	154	24
﴿بِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا ... ﴾	159	90،49
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	200	209

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا ... ﴾	135	140، 194
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا ... ﴾	142 -143	71
﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾	145	69
﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بِكُفْرِهِمْ﴾	155	74
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ ... ﴾	175	45
المائدة		
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ ... ﴾	2	192
﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾	8	197،166
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ... ﴾	13	59
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ ... ﴾	15-16	151
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ﴾	30	82
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ ... ﴾	38	206
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ... ﴾	41	48
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ... ﴾	65	109،102
﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ... ﴾	78-79	189
الأنعام		
﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾	25	86
﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمْ... ﴾	43	59

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾	56	141
﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ... ﴾	63	34
﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ ... ﴾	70	76
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	110	22،21
﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾	113	21
﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ ... ﴾	122	41،9
﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾	125	41
﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ ... ﴾	148	113
﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ... ﴾	165-161	150
﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ... ﴾	151	66
﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ ... ﴾	152	196
﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ... ﴾	153-151	150
الأعراف		
﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ ... ﴾	2	25
﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً ... ﴾	3	67
﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	16	152
﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ ... ﴾	26	107
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ ... ﴾	33	191

الصفحة	رقمها	طرف الآية
123	24-25	﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ...﴾
75	74	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا...﴾
149	89	﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَّعْوَتُكُمَا فاستقيما﴾
27	92	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيْكَ بِبَدَنِكَ﴾
		هود
166	38- 39	﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ ... ﴾
132	47	﴿و نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ ... ﴾
115	67	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾
116	81-83	﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ* فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا ... ﴾
116	94	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ ... ﴾
149، 152	112	﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾
21، 22	120	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾
		يوسف
82	9	﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ ... ﴾
51، 139	23	﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ ... ﴾
51	24	﴿ولَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِها لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ... ﴾
52	31	﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾
54	32	﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾	128	132
الإسراء		
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾	9	190
﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ ... ﴾	25	26
﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰئِكَ ... ﴾	36	171،155
﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى ... ﴾	39	67
﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ ... ﴾	46	87
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ ... ﴾	82	95
الكهف		
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	7	107
﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن... ﴾	14	50
﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُه فُرُطاً﴾	28	140،83
﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ... ﴾	46	212
﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِى وَمَا ... ﴾	56	162
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ... ﴾	57	87
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُباً ﴾	60	173
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً*إِنَّا مَكَّنَّا ... ﴾	88-83	202
﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ ... ﴾	95 - 98	202

الصفحة	رقمها	طرف الآية
46	35	﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا ... ﴾
190	41-40	﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ ... ﴾
117	41	﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا ... ﴾
11	46	﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾
60	53	﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ... ﴾
171	54	﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ... ﴾
135	78	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾
		المؤمنون
44	8	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾
86	63	﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾
96	68	﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ﴾
		النور
84	23	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا ... ﴾
86	50	﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ... ﴾
160	52	﴿ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾
		الفرقان
21	32	﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾
140	43	﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾

الصفحة	رقمها	طرف الآية
75	35	﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾
28	41	﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾
115	46	﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ ... ﴾
25	56	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا ... ﴾
		فصلت
87	5	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا ... ﴾
148	6	﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾
149	30	﴿إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا﴾
155	32-30	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ... ﴾
		الشورى
130	11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
206	13	﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا ... ﴾
151	15-14	﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ ... ﴾
124	20	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ... ﴾
92	25	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾
13	52	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا ... ﴾
		الجاثية
110	19	﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ... ﴾	22	161،40
الحشر		
﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾	13	24
﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾	14	11
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ... ﴾	18	143
الممتحنة		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾	1	161
الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾	4	207
﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ... ﴾	5	91
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	10	34
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ ... ﴾	11-10	210
الجمعة		
﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ... ﴾	11	210
المنافقون		
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾	3	75
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾	9	76

طرف الآية	رقمها	الصفحة
العصر		
﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	1 – 3	191
الضحى		
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾	8-6	165
الفلق		
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ *مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ *وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ*ومِنْ ... ﴾	5-1	80

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم